Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

جامعة مؤتة
عمادة الدراسات العليا

مشاهد يوم القيامة / دراسة أسلوبية

إعـــداد الطالب
أنس عوض القمـــول

إشراف
الأستاذ الدكتور زهير المنصور

رسالـــة مقدمـــة إلى عمادة الدراسات العليـــــا
استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجـــة الماجستير
فـــي الأدب قســـــم اللغـــة العربيـــة وآدابهـــــا

جامعة مؤتة، 2006

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة مؤتة
عمادة الدراسات العليا

MUTAH UNIVERSITY
Deanship of Graduate Studies

نموذج رقم (14)

إجازة رسالة جامعية

تقرر إجازة الرسالة المقدمة من الطالب أنس عوض القمول الموسومة بـ:

مشاهد يوم القيامة في القرآن الكريم دراسة أسلوبية

استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في اللغة العربية.

القسم: اللغة العربية.

	التوقيع	التاريخ	
أ.د. زهير أحمد منصور		2006/8/3	مشرفاً ورئيسا
أ.د. عبد القادر مرعي الخليل		2006/8/3	عضواً
أ.د.موسى سامح ربابعه		2006/8/3	عضواً
د. يوسف عواد القماز		2006/8/3	عضواً

عميد الدراسات العليا
أ.د. أحمد القطامين

MUTAH-KARAK-JORDAN
Postal Code: 61710
TEL :03/2372380-99
Ext. 5328-5330
FAX:03/ 2375694
e-mail: dgs@mutah.edu.jo sedgs@mutah.edu.jo
http://www.mutah.edu.jo/gradest/derasat.htm

مؤته – الكرك – الاردن
الرمز البريدي: 61710
تلفون: 03/2372380-99
فرعي 5328-5330
فاكس 03/2 375694
البريد الالكتروني
الصفحة الالكترونية

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

الإهـــــداء

إلى كل الذين قدموا لي العون والمساعدة أهدي هذا العمل.

أنس عوض القمول

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete Documents

الشكر والتقدير

الحمد والشكر لله وحده، فهو المتفضل على جميع عباده، والهادي إلى سبل الخير والرشاد، وقد قيل : ومن لا يشكر الناس لا يشكر الله، فأجد من الواجب عليَّ اعترافاً بالجميل، وردّ الفضل لأهله، أن أتقدم بالشكر الجزيل، إلى أيادي الخير والعطاء التي امتدت إليّ بالعون والمساعدة مخلّفة أثراً جلياً في ثنايا الدراسة، وأشدُّه الموصول لأستاذي الفاضل الأستاذ الدكتور زهير المنصور، الذي عاش معي هذا العمل خطوة خطوة، يوجِّه ويسدِّد ويذكِّر، وكان المعين والنصير على تحمّل أعبائه، وتجشُّم عناء إتمامه، متحلياً بسعة الصدر على ما أنهل من بحر علمه وأُكثر، وبطول الصبر على ما أسترشد من منارة فكره وأستزيد.

ولا يفوتني أن أواصل بالشكر والتقدير السادة أعضاء لجنة المناقشة، الأستاذ الدكتور موسى ربابعة والأستاذ الدكتور عبدالقادر مرعي، والدكتور يوسف القماز، الذين تشرفت بوضع هذا العمل صوب تمحيصهم مقدراً ملاحظاتهم الحصينة، وتوجيهاتهم اللطيفة، التي لا أشك قيد أنملة أنني سأستنير بها، وألتمس منها قوت العلم وأستزيد.

كما أتوجه بالشكر إلى عاملي مكتبة جامعة مؤتة، مديرها، وموظفيها، على تعاونهم الملحوظ أثناء جلب المصادر والمراجع، من حيث توفيرها وتسهيل استخراجها.

وإنْ أنسَ لا أنسى أن أتوجه بالشكر الوافر للمُعلمين : محمد الذنيبات، وعصام الذنيبات من مركز بغداد، لما لهم من أياد بيضاء جليّة في طباعة البحث وتنسيقه.

وأرجو ختاماً أن ينفعني الله تعالى بهذا العمل، وأن ينفع به الناس، ويجعله خالصاً لوجهه الكريم، فهو حسبي ونعم الوكيل.

أنس عوض القمول

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

فهرس المحتويات

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

PDF Complete
Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

الملخص

مشاهد يوم القيامة/ دراسة أُسلوبية

أنس عوض عليان

جامعة مؤتة، 2006

حاول البحث الكشف عن كنه ظاهرتي الالتفات والحذف في البلاغة العربية ، من حيث تحديد مصطلحيهما، ومجالاتهما، وبيان أنظار علماء العربية من بلاغيين ومفسرين في شواهدهما، ثم الكشف عن دواعي المصير إليهما في مشاهد يوم القيامة، وتلمس خفايا دلالاتهما المختلفة التي تقدم الكثير من الأسرار والنكات.

وقد جاء البحث في ثلاثة فصول، اشتمل الفصل الأول على المقدمة التي تناولت أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، والهدف الذي تسعى الدراسة لتحقيقه، والمنهج العلمي المتبع فيها، ثم تناول موضوعات يوم القيامة مشتملاً على ما اختلف فيه من أمور وقضايا يتعلق بعضها بأحداث ذلك اليوم، والآخر بأمور تفسيرية، ومن ثم عرض وجوه الخلاف فيها، وإبداء الرأي حولها.

وخُصِّص الفصل الثاني لدراسة ظاهرة الالتفات، مصطلحها، وحدودها، وفائدتها الفنية، وموقعها بين علوم البلاغة، ثم تضمن دراسة لمجالاتها ضمن مشاهد يوم القيامة، بعد الاستفادة من وقفات العلماء السابقين إزاء بعض شواهدها، ثم إبداء الرأي في ذلك المقام.

وتناول الفصل الثالث ظاهرة الحذف في مشاهد يوم القيامة، بمنهج مماثل لسابقه في الالتفات، مصطلحاً، وأبعاداً، ودلالةً، وتم اكتناه أبعادها وسبر أغوارها الدلالية ضمن آيات يوم القيامة، واشتمل الفصل على خاتمة تضمنت أهم النتائج التي توصلت لها الدراسة.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

Abstract

Views of Resurrection Day/Stylistic Study

Anas Awadh 'Alian

Mu'tah University, 2006

This research attempted to discover the essence of both apostrophe phenomena and omission in Arabic rhetoric from identifying their two terms, domains and the views of the Arabic scholars as rhetors and interpretOrs in their evidences, then discovering their fate motivations in the views of resurrection day, touching the various hidden evidences which produce many secrets and puns.

This research comes into three chapters; the first chapter includes the introduction which dealt with the topic importance, reasons of its selection, the goal the study seeks to achieve, the scientific approach, then, the research dealt with the topics of resurrection day including the controversial matters and issues which some of them relate to the events of that day, and interpretation matters, then showing their difference aspects and presenting the opinion on them.

The second chapter is assigned to study the apostrophe phenomena, its term, limits, its artistic advantage, its location among rhetotic sciences, a study of its domains within the views of the resurrection day by considering the attitudes of the past scholars towards some of its evidences, then producing the opinion in this aspect.

The third chapter dealt with the omission phenomena in the views of resurrection day with an identical methodology of consideration concerning the term, the dimensions and evidence, also it includes its dimensions and its deep evidences within the verse of resurrection day, the chapter includes a close concerning the most significant results approached by the study.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

الفصل الأول
مشاهد يوم القيامة في القرآن

1.1 المقدمة

في العربية ظواهر تثير انتباه الباحث، وتتطلب منه الوقوف والتأمل، وتشدُّ النظر إليها، إذ يبدو وجه المخالفة فيها بيناً للأصل، ولعل ظاهرتي الحذف والالتفات تقومان على مخالفة جلية يتطلبها الدرس الأسلوبي الحديث ، ولا سيما ظاهرة الحذف التي تكاد أن تكون مهملة في مظان الدراسات الأسلوبية الحديثة، إلا ما يدور في فصول الدراسات البلاغية من تعليقات موجزة –بشكل ملحوظ- اعتمدت على النهج البلاغي القديم الذي يقف عند حدود التمثيل على الظاهرة، ويتعدى ذلك أحياناً قليلة لبيان الغاية البلاغية دون ربطها بالسياق، واستكشاف أبعاد الأسلوب فيها، أما ظاهرة الالتفات فقد عانت اضطراباً في المصطلح، والمجال، والفائدة، والنّسب لفروع البلاغة أبعدها أحياناً كثيرة عن حدودها ودلالاتها، حيث كانت موطن خلاف عند البلاغيين استمر في سلسلة توطدت في فصول ا لدراسات الحديثة، فهذا التجافي وذلك الاضطراب دفعا الباحث دفعاً لدرس شذرات الحذف، وإرساء جوانب الالتفات.

ولعل ما شدّني إلى ذلك الموضوع إلى جانب ما سبق - ما لحظت في هاتين الظاهرتين من غايات ونكات تتعدى ما وقف عنده البلاغيون والمفسرون، الذين طالما انحازت وقفاتهم على شواهد تينك الظاهرتين نحو التعليل النَحْوي والصرفي، الذي يقوم على التوفيق اللغوي بين طرفي المخالفة في الالتفات، وجلب القواعد التأويلية التي تعلل نقص التركيب في الحذف، ونحو تحديد الغايات الذي يعتمد على عرضها، ثم التمثيل عليها بالشواهد المناسبة ممنهجين ذلك على سبيل المثال - بالأغراض التي يؤديها حذف الفاعل، والأغراض التي يؤديها حذف المفعول به ... وغيرها التي لا تتناسب – من خلال ما تم الوصول إليه - مع ما تؤدي المخالفة من أسرار ونكات تتعدى ذلك أحياناً كثيرة في معجز البيان الخالد -كما سنلحظ فيما بعد -.

وانطلاقاً من هذا الطرح حاول الباحث اقتناص الموطن الملائم لاستجلاء بعض خفاياه من خلال هاتين الظاهرتين، فوجد مشاهد يوم القيامة في القرآن الكريم موطناً قد أدّى فيه الأسلوب -بشكل عام- دلالة ليست بالهينة إلى جانب اللفظ، وقد يعزى ذلك لما

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

يكثر في تلك المشاهد من تأدية غا يات منها: التوبيخ، والتقرير، والتحبب، والوعيد، والتنزيه، والتفخيم... التي تخاطب الشعور والإحساس أكثر مما تخاطب العقل، لتصبح بذلك حكر الأسلوب يؤازره اللفظ لا حكر اللفظ يؤازره الأسلوب، وخير دال على ذلك ما لحظناه من تأدية الأسلوب غايتين مختلفتين في موطنين مخت لفين، على حال تشابه السياق الذي يساند الأسلوب في كلا الموطنين، بل إن الأسلوب قد أدى ظلالاً دلالية تبتعد أحياناً كثيرة عما يؤديه اللفظ.

أما عن ارتباط آيات يوم القيامة بظاهرتي الالتفات والحذف على وجه الخصوص، فإن تلك الآيات قد جمعت من الموضوعات ما كثُر فيها ا لتقابل والتضاد: المؤمنون والكافرون، الجنة والنار، الثواب والعقاب، ...الأمر الذي يدعو -والشيء يعرف بضده- للتحول المباشر للحديث عن الطرف الآخر بعد الحديث عن الأول، لبيان عظم المفارقة وشدة التباعد، مما يستدعي تحولاً مرافقاً في الأسلوب لمناسبة الطرف المتحدث ع نه، فيكون شيوع الالتفات، كما إن هذه الآيات قد كثرت في السور المكيّة الموسومة بقصر آياتها وتناسق فواصلها، الأمر الذي يستلزم القصور على بعض الألفاظ وإسقاط بعضها ليلتئم السجع، ولا تطول الآيات.

وبذلك تهدف الدراسة إلى سبر غور الأثر الدلالي لظاهرتي الالتفات والحـ ذف في مشاهد يوم القيامة، والكشف عمّا تزخر به خفايا مخالفة الأصل في هاتين الظاهرتين من إيماء وإيحاء يخرجان عن دائرة الحصر التي أحيطت حول الظاهرتين.

وقد سلك الباحث في معالجة الموضوعات والقضايا مسلك المنهج العلمي الذي يجمع بين المنهج القائم على البحث والاستق صاء في استخراج الشواهد، وتفصيلها ضمن مجالاتها المتعددة، والآخر المعتمد على التحليل الأسلوبي في معالجة ما تكنّه خفايا ظلالها الدلالية.

ولعلّ من المفيد في هذا المقام الإشارة إلى أن الشواهد التي أشير إليها في الحاشية، قد تم الاستغناء عن الإشارة لبعضها -في مجالات قليلة- التي ربت إلى عدد يصعب إيراد جميع شواهده في الحاشية، وذلك كالالتفات بين الغيبة والخطاب، وبين الغيبة والتكلم، وحذف المبتدأ، والفاعل في حال بنائه للمفعول، والمفعول به.

وقد أفادت الدراسة من مصادر ومراجع كثيرة، كان في مقدمتها : مفتاح العلوم للسكاكي، والمثل السائر في أدب الكاتب والشاعر لابن الأثير، وكتاب الطراز المتضمن

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز للعلوي، كما أفادت الدراسة من بعض كتب التفسير ومن أهمها : الكشّاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للزمخشري، والتفسير الكبير للفخر الرازي، وإرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود، وبعض المراجع والدراسات الحديثة.

أما متن الدراسة فقد وقع في ثلاثة فصول وخاتمة، ابتدأ بفصل (مشاهد يوم القيامة في القرآن الكريم)، الذي آثرت دراسته بعد تأرجحٍ بين الاستغناء والدرس لشعورٍ بانفصال موضوعه ع ن موضوعي الفصلين اللاحقين هدف الدراسة، انتهى بضرورة بيان موضوعات ما استجمعت من آيات متفرقة في ثنايا الكتاب المعجز، معرّجاً على ما اختلف فيها من أمور وقضايا تتطلب عرض الخلاف حولها وإبداء الرأي.

وتناول الفصل الثاني دلالات الالتفات وخفاياه في مشاهد يوم القيامة تحت عنوان(الالتفات في مشاهد يوم القيامة)، حيث انبثق عن العنوان الرئيس مجالات فرعية حملت: الالتفات بين الضمائر، وبين الأعداد، وبين الصيغ، وبين الأدوات، وبين الألفاظ المعجمية، وقمت بعد محاولة إرساء الاضطراب الذي رافق الظاهرة في الموروث البلاغي مصطلحاً، وف ائدةً، ومجالاً بمحاولة استكناه بعض غايات شواهد تلك المجالات وربطها بالأسلوب السياقي الذي وردت فيه.

أما الفصل الثالث فقد خُصّص لظاهرة الحذف في مشاهد يوم القيامة، بمنهج مماثل لسابقه إرساء لمصطلح الظاهرة، ومجالاتها، وفائدتها، ومعالجة شواهدها، واعتمدت في تقسيم ه على منهج الشكل والإعراب الذي سبقنا إليه النحويون والبلاغيون القدماء، بعد أن كان همّي الشاغل البحث عن علاقات أخرى تربط شواهد تلك الظاهرة، كالعلل والمسوّغات -مثلاً-، أو ما يجمع بعضها من غايات ودلالات، إلا أنني آثرت ذلك المنهج لما له من ارتباط وثيق الصلة بالدلالات والنكات التي تقدمها شواهده، حيث نجد أحياناً كثيرة -مثلاً - ارتباط غاية حذف الموصوف بكونه موصوفاً، لا بكونه شيئاً آخر ضمن مجال آخر -فيما لو كان التقسيم حسب منهج مختلف كالغايات مثلاً-، كما إن غايات الحذف قد تشعبت واختص كثير من شواهده بأحدها بشكل منفرد، مما يعيق منهجة الحذف من خلالها لزخم الغايات.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

2.1 موضوعات يوم القيامة

تحتل مشاهد يوم القيامة جزءاً كبيراً من القرآن الكريم، فهي تبرز بين فواصل آياته تفصيلاً دقيقاً لأحداث آخر الأيام ،وأي يوم ذلك؟ إنه يوم القيامة ، قيامة لكل ما خلق الله تعالى في هذا الكون ، ما نعلمه وما لا يعلمه إلاّ هو، يوم تذهل فيه كل مرضعة عمّا أرضعت، وتضع كل ذات حمل حملها، وتتشقق السماء، وتُسَيَّر الجبال، وتتناثر النجوم، وتُفَجَّر البحار ... لهذا كله، ولكثير غيره، طال حديث القرآن عن اليوم الآخر: البعث، والحشر، والحساب، والجنة، والنار.

والناظر في مشاهد يوم القيامة في القرآن، يرى بحق أن الله الحق سبحانه وتعالى يصور فيها أحداث يوم القيامة تصويراً ليس في مقام الوصف فحسب؛ بل في مقام المحسوس الملموس للعقول، فتشخص الأبصار إلى تلك الصور التي أبرزها الله سبحانه وتعالى، فتراها وكأنها ملموسة محسوسة، الأمر الذي استدعى اهتمام الدارسين والباحثين إلى جانب أهمية ذلك اليوم - لأنْ يمحصوا أحداث ذلك اليوم بالدرس الكثيف، والبحث الحثيث، لذا حاولنا توجيه دراستنا موضوعات هذه الآيات لما شاك في ثناياها من أمور وقضايا تتطلب الدرس، وتتمثل هذه الموضوعات فيما يلي:

1.2.1 النفخ في الصور:

لقد تحدثت بعض الآيات على أنه (نفخ)، وتحدثت بعضها على أنه (صيحة)، وتحدثت بعضها على أنه (نقر).

أما الآيات التي ذكرت أنه نفخ فهي كثيرة، منها قوله تعالى : {وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ}(1)، وقوله تعالى:{وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ }(2). وأما الآيات التي ذكرت أنه (صيحة) كثيرة أيضاً، منها قول الحق تبارك وتعالى :

(1) سورة النمل، آية87.

(2) سورة الزمر، آية68.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

{مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ}(1)، وقوله تعالى: {إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ}(2). وذُكر النقر في قوله تعالى: {فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ}(3).

وليس من تطابق بين الصيحة والنفخ، ذلك إن الصيحة عبارة عن صوت (4)، أما النفخ فهو إخراج هواء (5) ينتج عنه الصوت، أي إنَّ الهواء الخارج (النفس) بحد ذاته لا يكون له صوت، وإنما الصوت ينتج عنه، ولعل المراد في ذلك -والله أعلم بمراده- أن النفخ يحدث صوتاً شبيهاً بالنداء أو الصيحة.

وأما عن الآيات التي ذكرت أنه نقر، فقد ذكر القرطبي (ت711هـ-1311م) أن "النقر: صوت يرافق النفخة الأولى، وهي نفخة الصعق لقوله تعالى: (فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ)، أي: الصور، فإذا نفخ فيه للإصعاق جمع بين النقر والنفخ لتكون الصيحة أشد وأعظم، ثم تأتي بعد ذلك نفخة البعث من غير نقر؛ لأن المراد إرسال الأرواح من ثقب الصُّور إلى أجسادها لا تنقيرها من أجسادها"(6).

وفي بيان الصُّور الذي ينفخ فيه فقد وقع خلاف، فذهب أبو عبيدة (ت210هـ-825م) إلى أن الصُّور: هو الأجساد التي ينفخ فيها لتعاد إليها الأرواح، اعتماداً على قراءته أن الصُّور: جمع صورة، حيث يقال: سُوَرُ المدينة جمع سورة، والصوف جمع صوفة، مشيراً بذلك إلى أن الجمع يناسب الأجساد، وليس القرن (7)، وذهب القرطبي إلى أنه القرن، معتمداً على أنه لو كان المراد بالصور أجساد البشر

---

(1) سورة يس، آية 49.

(2) سورة يس، آية 29.

(3) سورة المدثر، آية 4.

(4) ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد (ت711هـ - 1311م)، (د.ت)، لسان العرب المحيط، إعداد وتصنيف يوسف الخياط، دار لسان العرب، بيروت، لبنان، ج3، ص685.

(5) المصدر السابق، ج3، ص685.

(6) القرطبي، أبو عبدالله محمد بن أحمد (ت671هـ - 1272م)، 1402هـ - 1982م، التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة، تحقيق أحمد حجازي السقّا، ط2، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان، ج1، ص223.

(7) أبو عبيدة، معمر بن مثنى التميمي (ت210هـ - 825م)، (د.ت)، مجاز القرآن، عارضه بأصوله وعلّق عليه محمد فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ج1، ص196.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

لما صح أن يقال : {ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى}[1]؛ لأن الأجساد تنفخ فيها الأرواح عند البعث مرة واحدة[2].

ولعلنا نستبعد ما أشار إليه أبو عبيدة؛ لأن الصور مفرد وليس جمعاً، فجمع صورة صُوَرٌ وليس صُوْراً، فيقول تعالى : {وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ}[3]، فصوَّرناكم صُوَرَاً وليس صُوْر، إضافة إلى أن صيغ الآيات التي ذكر فيها لفظ الصور تدل على أن معنى الصور ليس أجساد البشر، قال تعالى: {يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا}[4]. فلو كان معنى الصور أجساد البشر لما صح التناسب بين أسلوب الغ ائب المستخدم مع الصور وأسلوب الخطاب المستخدم مع الناس المخاطبين، على حين كون الصور هو أجساد المخاطبين أنفسهم . وقد دل على أنه قرن ما جاء في الحديث الشريف عندما جاء الأعرابي إلى الرسول صلى الله عليه وسلم - يسأله: ما الصُّورُ؟ فقال – عليه السلام -: "قَرْنٌ يُنْفَخُ فِيهِ"[5].

ومما في مشاهد يوم القيامة المتحدثة عن النفخ في الصور ما يثير الجدل والاهتمام عدد النفخات في الصور؛ فقد ذهب بعض أهل العلم إلى أن عددها نفختان: نفخة البعث، ونفخة الصعق[6]، معتمدين على الإشارة إليهما في قوله تعالى : {وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ }[7]،

---

(1) سورة الزمر، آية68.

(2) القرطبي، التذكرة في أحوال الموتى، ج1، ص224.

(3) سورة الأعراف، آية11.

(4) سورة النبأ، آية18.

(5) ابن حنبل، أبو عبدالله أحمد بن حنبل (ت241هـ - 855م)، 1419هـ - 1998م، مسند أحمد بن حنبل، بيت الأفكار الدولية، الرياض، السعودية، مسند المكثرين، ص493، رقم 6507.

(6) الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد (ت505هـ - 1111م)، 1406هـ - 1986م، إحياء علوم الدين، تحقيق هيئة التأليف والتحقيق والترجمة في دار قتيبة، ط 1، دار قتيبة، بيروت، لبنان، ج4، ص742؛ القرطبي، التذكرة في أحوال الموتى، ص183، 184.

(7) سورة الزمر، آية68.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

وقوله أيضاً: {يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ}(1)، فالراجفة:النفخة الأولى، والرادفة: النفخة الثانية، إضافة لما جاء في الحديث الشريف:"مَا بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أَرْبَعُونَ"(2).

ونقول في ذلكإن الاعتماد على هذه الأدلة لا يثبت بالدليل القاطع أن عدد النفخات اثنتان، وذلك لما نلحظه في آيات أخرى من إشارة لوجود نفخات أخرى غير النفختين السابقتين، ومن ذلك قوله: {وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ}(3)، وقوله تعالى: {ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ}(4)، وقوله تعالى: {يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا}(5).

فلعدم شمول الشواهد في الآيات يكون الاستدلال ناقصاً، إضافة إلى أن الناظر في الآيات السابقة يجد أن النفخ في كل منها كان في موقف ووضع مختلف عن الآخر، ففي المشهد الأول (فزع)، وفي الثاني (بعث)، وفي الثالث (جمع)، وكل موقف جاء مقروناً بالنفخ بشكل مستقل عن الآخر، وذلك يبعد -إذا أريد وضع احتمال - أن يكون الفزع والصعق نفخة واحدة، أو البعث والحشر، إلى جانب أن الفزع والصعق شيئان مختلفان يحدث كل منهما بشكل منفرد، فالفزع: هو الخوف الشديدالذي يأخذ بعضاً من الوقت، ويتعدى أحياناً إلى أوقات طويلة إذا ما استمر المصدر المسبب في بث ما يثير الفرق والذعر(6)، والصعق: هو الموت السريع المفاجئ(7)، فكيف سيحدثان مع بعضهما في آن واحد؟ في حين إنه عندما ينفخ في الصور للصعق يموت كل مخلوق بشكل سريع وكأنه صُعِقَ كهربائياً، ونحن نعلم أن الفزع في ذلك الموطن لا يشك في استمراره لمدة ليست بالقصيرة لمناسبة هول ذلك

---

(1) سورة النازعات، الآيتان6، 7.

(2) مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج (ت261هـ-874م)، 1392هـ-1972م، صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، ط2، دار إحياء التراث، بيروت، لبنان، ج4، باب ما بين النفختين، ص2270، رقم 141.

(3) سورة النمل، آية87.

(4) سورة الزمر، آية68.

(5) سورة النبأ، آية18.

(6) ابن منظور، لسان العرب، ج3، ص1093.

(7) المصدر السابق، ج3، ص442.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

المقام؛ فأين هو وقته؟ ولو سلمنا بأن عدد النفخات اثنتان : نفخة الصعق، ونفخة الفزع، فأي منهما ما ورد في الآية التالية؟ قال تعالى : {وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا}(1). إن النفخ في هذه الآية يدل على جمع الناس، وفي نفخة الصعق يموت كل من على الأرض، وفي نفخة البعث يحيا كل من مات، فما علاقة الجمع بموت الناس أو إحيائهم؟ ألا يدل ذلك على أن هنالك نفخة أخرى -أو نفخات غير هاتين النفختين؟ وقد دل على ذلك ما جاء في الحديث الذي روي عن النبي صلى الله عليه وسلم -أنه قال : "... ثُمَّ يُنْفَخُ في الصُّورِ ثَلاثُ نَفَخَاتٍ: نَفْخَةُ الفَزَعِ، ونَفْخَةُ الصَّعْقِ، ونَفْخَةُ القِيَامِ لِرَبِّ العَالَمِينَ"(2)، في حين إنه لم يأت -في حدود علمنا- حديث يصرّح بأ نهما نفختان، والاحتجاج بالحديث السابق وهو (ما بين النفختين أربعون)، لا يدل بشكل واضح على أنهما نفختان فقط، فقد تكونان نفختين معينتين من عدد النفخات الذي يزيد على اثنتين.

ولا نقطع في ذلك بتحديد عدد النفخات، وإنما نلقي الضوء على بعض الأدلة التي تنير الطريق للوصول إلى حقيقة واضحة في ذلك المجال.

2.2.1 البعث والنشور:

البعث: هو المعاد الجسماني والروحي (3) بتلك النشأة الغيبية التي دُلّ عليها بشهود نشأة الإيجاد من العدم؛ فحيث إننا قد مارسنا تذوق الحياة الأولى، فيمكننا أن نقرب إلى تصورنا حياة الإعادة، قال تعالى : {نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنْشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَى فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ}(4)، لذا كانت النشأة الأخرى بأسلوب آخر غير أسلوب الإيجاد الأول للإنسان، لكون اختلاف الأسلوب يشعر

---

(1) سورة الكهف، آية99.

(2) ابن راهويه، أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم بن مخلد الحنظلي (ت283هـ - 853م)، 1412هـ - 1991م، مسند إسحاق بن راهويه، تحقيق عبد الغفور عبد الحق البلّوشي، ط1، المدينة المنورة، السعودية، ج1، ص85.

(3) الأشقر، عمر، 1415هـ - 1995م، القيامة الكبرى، ط6، دار النفائس، عمان، الأردن، ص51.

(4) سورة الواقعة، الآيات60 -62.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

بكون كلتا النشأتين من صرف تشريعه تعالى، وليس من مقتضيات دوران الطبيعة المنشأة، فمثلت إعادة الخلق بنمو النبات ليشق الأرض، ويرتفع فوق سطحها، قال تعالى: {وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ}(1)، وأشير إلى ذلك في الحديث الشريف بقوله صلى الله عليه وسلم -: "... ثُمَّ يُنْزِلُ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً، فَيَنْبُتُونَ كَمَا يَنْبُتُ البَقْلُ"(2).

ولا يقف الاستدلال على تلك النشأة بمفارقة أسلوبها عن أسلوب النشأة الأولى، بل يكون أيضاً في اختلاف أسلوب تلك النشأة بين العباد ذاتهم، وذلك بتمثيل ينمُّ عن تناسب بين أعمالهم وصفاتهم من جهة، وأعمالهم وصورة بعثهم من جهة أخرى، ومن ذلك ما نجده من تناسب بين صورة الكافرين -عند خروجهم من القبور- والجراد المنتشر، لما في ذلك من علاقة تشبيهية بين الكافرين والجراد، فيقول تعالى: {خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِي يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ}(3). حيث نلحظ ارتباط الكافرين في انتشارهم عند الخروج بانتشار الجراد دون المؤمنين، ولعلهم بذلك يمثلون الجراد في شراسته وعدوانه على النبات خاصة، لذلك تم الربط بين الاثنين.

وصورة أخرى مُثّل فيها خروجهم من القبور بسرعة كبيرة بإسراعهم في الدنيا إلى الأنصاب* يعبدونها، فيقول تعالى: {يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ}(4).

فهؤلاء الخارجون من القبور يسرعون كأنما هم ذاهبون إلى نُصُبٍ يعبدونه، وفي هذا التهكم تناسق مع حالهم في الدنيا، فقد كانوا يسرعون إلى الأنصاب يعبدونها، فهاهم يسرعون يوم القيامة إسراعهم ذاك، ولكن شتان ما بين هذا وذاك!

---

(1) سورة يس، آية51.

(2) مسلم، الصحيح، ج4، باب ما بين النفختين، ص2271، رقم 2955.

(3) سورة القمر، الآيتان7، 8.

* الأنصاب: مفردها نُصُب، وهو كل ما عبد من دون الله، انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج3، ص644.

(4) سورة المعارج، آية43.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

ومن القضايا التي كثرت فيها الأقوال، وتضاربت الآراء، قضية البعث، أهي بالأجساد والأرواح، أم بالأرواح فقط؟ ولا نحسب إجابتنا على هذا السؤال بالذي يحسم الأمر، ويرفع الخلاف فيه، بل إنه ربما وسّع من شقة الخلاف، وأضاف إلى المقولات المتخالفة مقولة، ومع ذلك فإن الإمساك عن القول لا يخفف من حدة الخلاف، فلا بد من إبداء الرأي . وما يقبله العلم والمنطق في ذلك كون المعاد شاملاً للجسد والروح، ويؤيد ذلك ابن رشد (ت595هـ-1198م) مشيراً إلى أن معاد الجسد دون الروح لا يلائم الإسلام بوجه، ومعتقده معتقد كاذب [1]، وذلك ما أكده ابن تيمية (ت728هـ-1198م)[2]. وهناك من الآراء ما انقاد خلف اعتبار الروح هي ما يبعث يوم القيامة دون الجسد، مثل ما ذهب إليه عبد الكريم الخطيب في (التفسير القرآني للقرآن)معتمداً على الآية في قوله تعالى : {يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ}[3]، لامحاً فيها صورة البعث التي يكون عليها الناس يوم القيامة، وأنها حياة أشبه بحياة الطير، حيث تنطلق أرواحهم التي تلبس أجساداً شفافة - إلى العوالم العليا على هيئات بشرية[4].

ولا يكفي في العقيدة ما ذهب إليه الخطيب، ذلك إن تمثيل الناس بعد بعثهم بصورة الفراش المنتشر لا يدل على بعث أرواحهم دون أجسادهم؛ لأن المشبه به (الفراش) لا يحلق في الهواء بالروح دون الجسد، ولو تجاوزنا ذلك فإن وجه الشبه المسوق في رأي الخطيب - هو الانتشار وليس التحليق، وليس في الانتشار من علاقة ترتبط بالروح دون الجسد، ولعل الشمول فيما أشار إليه ابن تيمية وابن رشد، ومما يبين ذلك قوله تعالى: {ضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ قُلْ يُحْيِيهَا

(1) ابن رشد، أبو الوليد محمد بن أحمد (ت595هـ 1198م)، 1419هـ-1998م، تهافت التهافت انتصاراً للروح العلمية وتأسيساً لأخلاقيات الحوار، مدخل ومقدمة تحليلية وشروح محمد عابد الجابري، ط 1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ص591.

(2) ابن تيمية، أبو العباس تقي الدين أحمد بن عبدالحليم (ت728هـ-1327م)، 1421هـ-2000م، مجموع فتاوي شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، تحقيق مصطفى عبدالقادر عطا، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، مجلد2، ج4، ص162.

(3) سورة القارعة، آية4.

(4) الخطيب، عبدالكريم (د.ت)، التفسير القرآني للقرآن، دار الفكر العربي، مجلد7، ج27، ص558، 559.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ} (1)، فليس ثمة خلاف في أن الجسد هو ذلك الكيان من اللحم والدم والعظم الذي يشكّل المظهر المادي للإنسان، وأن إعادة أحد أجزاء ذلك الكيان تدل على إعادته كاملاً، وقد أشار إلى ذلك ما جاء في الحديث الذي روي عن أبي هريرة أن النبي قال: "ثُمَّ يُنْزِلُ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً، فَيَنْبُتُونَ كَمَا يَنْبُتُ البَقْلُ" (2).

ومهما يكن من أمر الخلافات، فإن العبرة من آيات البعث في مشاهد يوم القيامة، هي دفع الناس إلى الإيمان بالله ورسالته، وحضّهم على أن يعملوا صالحاً، ليجدوا جزاءهم صافياً، ومكانهم سامياً، ودرجتهم عالية، فإذا عرف الإنسان أنه مبعوث، وقائم بين يدي الله، فإن ذ لك سيدفعه إلى تجويد الأعمال وإتقانها وعدم تأخيرها عن وقتها، ويو م يدرك الناس هذه العقيدة على وجهها الصحيح، ويعرفونها تمام المعرفة، سيقومون بدور إيجابي في الحياة، وسيزول من العالم كل ألوان الطمع والجشع والاستغلال.

3.2.1 الحشر

المراد بالحشر: جمع الخلائق كلهم إلى الموقف بعد بعثهم وإخراجهم من بطن الأرض(3) وما إنسان إلاّ وارده بأسلوب يقتضيه ميزان أعماله، يقول تعالى: {يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا} (4)، والمراد بـ (أفواجًا): أُمماً وجماعات(5)، وما تقسيم الناس يوم القيامة للحشر زمراً وجماعات، إلاّ لأنْ تحشر كل جماعة أو زمرة بطريقة مختلفة عن الأخرى، وغير قليل من آيات القيامة ما يشير إلى ذلك الاختلاف، ومن

---

(1) سورة يس، الآيتان 78، 79.

(2) مسلم، الصحيح، ج4، باب ما بين النفختين، ص2270، رقم 2955.

(3) الميداني، عبدالرحمن حسن، 1408هـ-1988م، العقيدة الإسلامية، ط5، دار القلم، د مشق، سوريا، ص653.

(4) سورة النبأ، آية 18.

(5) القرطبي، أبو عبدالله محمد بن أحمد (ت671هـ-1272م)، 1405هـ-1985م، الجامع لأحكام القرآن، اعتنى به وصحّحه هشام سمير البخاري وحققه أحمد عبدالعليم البردوني، دار إحياء التراث، بيروت، لبنان، مجلد10، ج19، ص175.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

ذلك ما نلحظه في حشر الكافرين، فيقول تعالى : {وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا}[1]، وقوله أيضاً: {وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى}[2].

إنه جزاء من جنس العمل، وكأس كذات الكأس، ولكن الكيل أوفى، ومن أوفى من الله؟! فالكافرون أعرضوا عن ذكر الله في الحياة الدنيا، ونسوا آياته، وعطّلوا جوارحهم عن الإيمان به سبحانه وتعالى، لكن الله تعالى أهانهم في هذا اليوم العسير، وأعاشهم في ذل ورعب ومهانة، وأعمى عيونهم فهم لا يبصرون، حيث أتتهم آياته تعالى فتعاموا عنها، وكذلك يحشرون عمياً جزاءً وفاقاً.

ومقابل هذه الصورة البشعة للحشر نجد صورة المتقين التي تنم عن شدة المفارقة بين الحالين؛ وعظم التباعد، فيقول تعالى : {يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا }[3] فهم لا يحشرون على أقدامهم ولا يساقون سوقاً، ولكنهم يؤتون بنوق من نوق الجنة، فيقعدون عليها حتى يقرعوا باب الجنة . وإيراد (وفداً) يدل على أنهم يسبقون الناس إلى حيث يدعون إليه، فهم لا يتباطئون[4].

وما يزيد دقة التباين في الحشر ما جاء في الحديث الشريف الذي رواه المقداد بن الأسود رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم - يقول: "تُدْنَى الشَّمْسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْخَلْقِ، حَتَّى تَكُونَ مِنْهُمْ كَمِقْدَارِ مِيلٍ، فَيَكُونُ النَّاسُ عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ فِي الْعَرَقِ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى كَعْبَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى حَقْوَيْهِ *، وَمِنْهُمْ مَنْ يُلْجِمُهُ الْعَرَقُ إِلْجَامًا "[5]، فالتحكم في كمية العرق يدل على الدقة في مساواة الجزاء للعمل، فتصل المساواة إلى

([1]) سورة الإسراء، آية 97.
([2]) سورة طه، الآيات124-126.
([3]) سورة مريم، آية85.
([4]) القرطبي، التذكرة في أحوال الموتى، ج1، ص223.
* الحقوان: الخاصرتان، انظر: ابن منظور، ج1، ص686.
([5]) مسلم، الصحيح، ج4، باب في صفة الجنة يوم القيامة، ص62، رقم2196.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

اختلاف مستوى العرق الذي يغطي الناس في الحشر، فمنهم ما يغطي العرق كعبيه، ومنهم ما يصل عرقه إلى ركبتيه، وأعلى مستوى ما يرتفع عرق بعضهم ليتعدى مستوى الفم والأنف، رغم وجودهم جميعاً في مكان واحد.

ومع تلك الدقة فإنه لا يستطيع أحد أن يقطع على وجه اليقين بكيفية الحشر، أو كيفية البعث، فالذي لا ريب فيه أن هذا اليوم عسير حقاً على الكافرين غير يسير، فيه من مشاهد الهول ما فيه، إنها أهوال يوم القيامة.

ومهما يكن من أمر الإطالة في فروق الحشر بين المؤمنين والكافرين، فالمسافة طويلة، والأدلة أطول، إلاّ أن الجانب الثاني الذي نود الوقوف عنده هو ما يحشر من الخلائق، هل تحشر جميعها؟ الإنسان، والدواب، والطير، أم الإنسان فقط؟

الحقيقة إن هذا الموضوع فيه آراء وجدال، فقد اختلف أهل العلم في حشر البهائم، فذهب ابن عباس (ت68هـ-687م)إلى أن حشر البهائم: هو موتها[1]، ووافقه الضحّاك (ت105هـ-723م)[2] في ذلك وذهب ابن تيمية إلى أنه: جمعها يوم القيامة للفصل بينها[3]، اعتماداً على قوله تعالى: {وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ}[4]، وقوله تعالى: {وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ}[5].

نقول في ذلك إن معنى الحشر المعجمي: هو الجمع[6]، كما إن هذه اللفظة وردت في كثير من الآيات دالة على ذلك المعنى، فكيف ستدل في هذا الموضع على الموت؟ إضافة إلى أن التفصيل لأنواع الحيوانات الذي يظهر في آيات الحشر عند

([1]) ابن عباس، أبو العباس عبدالله بن عباس (ت68هـ - 687م)، 1421هـ-2000م، تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص637.

([2]) الضحّاك، أبو القاسم (ويقال: أبو محمد) بن مزاحم الهلالي (ت105هـ - 723م)، 1419هـ-1999م، تفسير الضحّاك، جمع ودراسة وتحقيق محمد شكري الزاويتي، ط1، دار السلام، القاهرة، مصر، ج2، ص939.

([3]) ابن تيمية، مجموع الفتاوي، مجلد2، ج4، ص127.

([4]) سورة الأنعام، آية38.

([5]) سورة التكوير، آية5.

([6]) ابن منظور، لسان العرب، ج1، ص641.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

ذكر البهائم (وما من دابة ... ولا طائر)، إنما يدل على أن هذه الحيوانات سوف تحشر؛ لأنه لو كان المقصود هو الموت لما تم ذلك التفصيل، وإنما ذكر الموت دون تفصيل؛ لأنه معروف أن كل من عليها فان، دون بيان فناء كل مخلوق على حدة أو فصيلة، ويشير إلى ذلك ما جاء في الحديث الذي رواه أبو ذر الغفاري، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه رأى شاتين تنتطحان، فقال :"يَا أَبَا ذَرٍّ هَلْ تَدْرِيْ فِيْمَ تَنْتَطِحَانِ؟ قَالَ: لا، قال:لَكِنَّ اللهَ يَدْرِيْ، وَسَيَقْضِي بَيْنَهُمَا "[1]، فالعبارة الأخيرة تدل على أن الدواب ستحشر، لكون الحشر سابق للحساب والجزاء.

وفي بيان هيئة البشر عند حشرهم يوم القيامة يحضرنا بعض الأسئلة، هل يحشرون حفاة عراة؟ أم فيما ماتوا فيه من ثياب؟ أم هناك ثياب جديدة خاصة بالحشر؟

لقد وقف عمر الأشقر عند هذه القضية مؤيداً حشر الناس يوم القيامة حفاة عراة، اعتماداً على الحديث الذي روي عن النبي صلى الله عليه وسلم -أنه قال: تُحْشَرُوْنَ يَوْمَ القِيَامَةِ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلاً "*[2][3]، وذلك في مقابل حديث آخر يدل على أن كل إنسان يبعث في ثيابه التي مات فيها، وهو ما روي عن أبي سعيد الخدري أنه لما حضره الموت دعا بثياب جدد، فلبسها، ثم قال : سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم - يقول:"إِنَّ المَيِّتَ يُبْعَثُ فِي ثِيَابِهِ التِي يَمُوتُ فِيها"[4].

وليس في اعتقادنا أن بعث الإنسان يوم القيامة في ثيابه التي يموت فيها يوضع في قبالة عرائه عند الحشر؛ حيث إن ما بين البعث والحشر من الأزمان، والأهوال

([1]) ابن حنبل، المسند، مسند الأنصار، ص1578، رقم 21769.

* غرلا: قلفاً، أي: غير مختونين، انظر: ابن منظور، ج2، ص981.

([2]) البخاري، أبو عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري (ت256هـ-869م)، 1400هـ-1979م، صحيح البخاري، تحقيق محب الدين الخطيب وآخرين، ط 1، المطبعة السلفية، ج 4باب الحشر، ص 196؛ مسلم، الصحيح، ج4، باب فناء الدنيا، ص2194، رقم2860.

([3]) الأشقر، القيامة الكبرى، ص60.

([4]) البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين (ت458هـ-1065م)، 1415هـ-1995م، السنن الصغرى مع حاشيته المسماة بغية المتقي في تخريج سنن البيهقي، حقق نصوصه وقدم له وصنف حاشيته وعلّق عليه بهجة يوسف حمد أبو الطيب، ط 1،دار الجيل، بيروت، لبنان ، ج1، باب تلقين المريض إذا حضره الموت، ص 395، رقم932.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

PDF Complete
Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages

الكفيلة بالعراء بعد الكسوة ما لا يبلغه تصور عاقل، فلربما أن الإنسان يبعث في ثيابه، ثم يعرى عنها في موقف الحشر، ويشير إلى ذلك أن الشواهد المسوقة في ذلك المجال لم تشر فيهما لعراء الناس في البعث والحشر معاً . ومن ذلك ما روى ابن العباس عن النبي صلى الله عليه وسلم -أنه قال: "... إِنَّ أَوَّلَ الخَلَائِقِ يُكْسَى يَوْمَ القِيَامَةِ إِبْرَاهِيمُ الخَلِيلُ "[1]، وقوله تعالى: {وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى}[2]، وقوله أيضاً: {كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ}[3]*، لذا فإن اللباس في البعث وعدمه في الحشر لا يوضعان في موطن التضارب؛ لأن كلاً منهما في موقف مستقل، ووضع مختلف عن الآخر.

4.2.1 أهوال يوم القيامة في الكون

يحدّثنا القرآن عن أهوال ذلك اليوم التي تَشْدَهُ الناس، وتشدُّ أبصارهم، وتملك عليهم نفوسهم، وتزلزل قلوبهم، يحدثنا أن الأرض تُزلزلُ وتُدكُّ، والجبال تُسيّر، والشمس تُكوّر وتذهب، والبحار تُفجّر وتُسجَّر، والسماء تنشقُّ وتمور، والشمس تذهب... إلى غير ذلك.

ولعل أبرز ما يصور تلك الأهوال من مشاهد القيامة، ويجعلها في مقام الملموس المحسوس للعقول، ما حدد الحديث الذي رواه ابن عمر -رضي الله عنه- عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: "مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ كَأَنَّهُ رَأْيُ عَيْنٍ، فليقرأ: {إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ}[4]، و{إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ}[5]، و{إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ}[6]"[7]، أي: سورة التكوير، والانفطار، والانشقاق، وذلك مرده أنَّ تلك السور الثلاث أخص بالقيامة، لما فيهما من

---

(1) البخاري، الصحيح، ج4، باب الحشر، ص196، رقم6526.
(2) سورة الأنعام، آية94.
(3) سورة الأعراف، آية29.
* نستدل بالشاهدين الآخيرين على حشر الناس عراة من جنب أن الملابس في الدنيا أموال ولا مال في الآخرة، فتزول الأملاك بالموت وتبقى الأموال في الدنيا.
(4) سورة التكوير، آية1.
(5) سورة الانفطار، آية1.
(6) سورة الانشقاق، آية1.
(7) الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى (ت279هـ-892م)، 1408هـ-1987م، الجامع الصحيح، تحقيق كمال يوسف الحوت، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج5، باب ومن سورة إذا الشمس كورت، ص403، رقم3333.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

انشقاق السماء، وانفطارها، وتكوير شمسها، وانكدار نجومها، وتناثر كواكبها، وخروج الخلق من قبورهم إلى سجونهم أو قصورهم، بعد نشر صحفهم، وقراءة كتبهم، إلى غير ذلك من أفزاع وأهوال يوم القيامة.

وقد اختلف في بيان (تكوير الشمس) في قوله تعالى : {إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ}[1]، فذهب القرطبي إلى أن أصل التكوير : (الجمع)، مأخوذ من كار العمامة على رأسه، فيكوّرها أي لاتها وجمعها، فالشمس تكوّ ثم يمحى ضوؤها، ثم يرمى بها[2]. وذهب ابن عباس إلى أن تكويرها : إدخالها في العرش[3] وذهب الخطيب إلى أنه : ظهورها كالكرة أمام الناس، حيث يشاهدون جميع وجوهها[4].

ولعل ما ذهب إليه القرطبي هو الأقرب إلى الصواب، وذلك لتناسب دلالة التكوير في الآية كما بينه القر طبي مع معناه المعجمي *، الذي بدوره يناسب ما أثبت علم الفلك الحديث من أن الشمس تبدأ بالانكماش التدريجي على نفسها في نهاية مراحل حياتها؛ ويصغر حجمها نتيجة انتفاخها الناتج عن استهلاك غازها الهيدروجيني بمعدل سبع وخمسين وستمئة طنا في الثانية متحولاً إلى غاز الهـ يليوم؛ وبالتالي نفاذ الهيدروجين المسبب لذلك الانكماش بعد الانتفاخ[5]، أما ما أشار إليه المفسرون الآخرون، فإن هذه المفردة لا يمكن أن تعبر عنه، ولا سيما عملية انتقال الشمس وإدخالها في العرش، حيث إن معناها المعجمي يبعدها عن ذلك البعد كلّه.

فيما سبق جانب مما يـ حدث للسماء من أهوال، والى جانب ذلك فإن هذه البحار التي تغطي الجزء الأعظم من الأرض، وتعيش في باطنها عوالم هائلة من

([1]) سورة التكوير، آية1.

([2]) القرطبي، التذكرة في أحوال الموتى، ص241.

([3]) ابن عباس، تنوير المقباس، ص637.

([4]) الخطيب، التفسير القرآني، ج3، ص1467.

* كورت الشمس: جمع ضوءها ولفّ كما تلفّ العمامة، انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج3، ص382.

([5])بوغارتش، آ . ف وآخرون، 1417هـ-1996م، السماء دون غرائب، ترجمة هاشم حمادي، ط 1، منشورات وزارة الثقافة، سوريا، دمشق، ص 65، 66؛ موسى، علي وآخرون، 1414هـ-1993م، علم الفلك مفاهيمه وأسسه، ط3، دار دمشق، دمشق، سوريا، ص43.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

الأحياء، فإنها تُفجر في ذلك اليوم، قال تعالى : {وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ}[1]، فتتشقق جوانبها، وتزول ما بينها من حواجز، ويختلط الماء العذب بالماء المالح، حتى تصير بحراً واحداً[2]. وكذلك العشار، فإنه يطاح بها ما لا يقادر قدره، ولا يكتنه وصفه، فيقول تعالى: {وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ}[3]، ولكن ما العشار؟ وما المقصود بتعطيلها؟

لقد ذهب بعض المفسرين إلى أن العشار : هي الإبل الحوامل، ومعنى تعطيلها: تركها يوم القيامة عندما يرى أصحابها أهوال الموقف العظيم، فلا يعبئوا فيها، ولا يهمهم أمرها[4]. وذهب الرازي (ت606هـ - 1209م)إلى أنها : السحاب، على تشبيه السحابة المتوقع مطرها بالناقة العشراء القريب وضع حملها، وتعطل مما يكون فيها من الماء، فلا تمطر[5].

والحقيقة إن هناك نظرة تكاد تفند الرأي الأول، وهي أن الإنسان في ذلك اليوم إذا كان يتخلى عن أمه وأبيه، وصاحبته وبنيه، فما قيمة التخلي عن هذه الناقة بجانب التخلي عن الأهل والأقارب؟ وأي أهل؟ ! إنهم الوالدان، اللذان بقي الإنسان طوال حياته في طاعتهما، وخدمتهما، وتحملهما في كبرهما، ولا يقف الأمر عند هذا الحد، بل يصل بالإنسان إلى أن يفرح عندما يكون له الحق على أمه أو أبيه أو ابنه أو أخيه، فيقول تعالى: {فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ}[6]. في حين إنَّ الرأي الثاني هو توقف السحاب عن المطر، وعدم نزوله بعد أن كان غزيراً، وانقلاب عوامل الطقس في سرعة عالية جداً ليتغير المُناخ ومعالمه أيضاً، على الرغم من أننا نعلم ما يحتاج

---

(1) سورة الانفطار، آية3.

(2) الألوسي، أبو الفضل (وفي الأعلام: أبو المعالي) محمود شكري بن عبدالله (ت217هـ-732م)، 1422هـ-2001م، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ضبطه وصحّحه علي عبدالباري عطية، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، مجلد10، ج15، ص267.

(3) سورة التكوير، آية4.

(4) ابن عباس، تنوير المقباس، ص637؛ القرطبي، التذكرة في أحوال الآخرة، ج1، ص258.

(5) الرازي، أبو عبدالله محمد بن عمر، (606هـ-1209م)، وورد في إحدى طبعات التفسير أنه توفي في 604هـ) (د.ت) التفسير الكبير، ط2، دار الكتب العلمية، طهران، إيران، ج31، ص67. واختُلف في تاريخ وفاته، فورد أنه 604هـ، وورد أنه 606هـ.

(6) سورة المؤمنون، آية101.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

الطقس من مدة لانقلابه وتغيره، الأمر الذي يوحي بحادث عظيم يناسب أفزاع ذلك اليوم وأهواله.

ومهما يكن من أمر الحديث عن أهوال هذا الـ يوم ووصفها، فإن مما يحتاج الانتقال به من عالم الخيال إلى عالم الواقع، ما ذهب إليه الخطيب من أن هذا الانقلاب في مظاهر الكون هو من عمل الحواس الجديدة التي يعيش بها الإنسان في عالم آخر بعد البعث؛ وهو تغير في مدركات الإنسان الحسية لا تغير في معالم الأرض والسماء، فالإنسان كائن سابح في عالم علوي يرى الجبال وكأنها نسفت، وهي في حقيقتها لم تنسف، شأنه في ذلك شأن من ينظر إلى الأرض من علو شاهق، فتبدو له وكأنها سطح مستوٍ لا أغوار فيه ولا نجود[1].

والواقع إن مثل هذه النظرة مرفوضة جملة وتفصيلاً، وذلك لمعارضتها لما جاء في القرآن الكريم ولما يقبله العلم والمنطق، إذ إن جميع ما جاء في القرآن الكريم من الآيات الدالة على أهوال يوم القيامة في الكون تشير في نصها ومضمونها وأسلوبها إلى أن التغيير يحدث في عناصر الكون المادية ذاتها، وليس في مدركات الإنسان الحسية، {إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ}[2]، و{إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ}[3]، و{إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ}[4]، و{وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ}[5]، و{وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ}[6]، ولو ينجم ذلك عن تحول في المدركات، لما خلا البناء السياقي –مثلاً- من أدوات التشبيه والتمثيل التي تجعل أحداث ذلك اليوم في أسلوب تمثيل لعدم الحدوث الفعلي لها، ثم إن مثل هذه النظرة المسوقة دون اعتبار أدنى دليل تضعنا أمام الاستفسار عن سبب التغير في المدركات، مع وجود القدرة على إحداثه فعلاً في عناصر الكون.

---

(1) الخطيب، التفسير القرآني، ج27، ص556.
(2) سورة التكوير، آية1.
(3) سورة الانفطار، آية1.
(4) سورة الانشقاق، آية1.
(5) سورة التكوير، آية2.
(6) سورة التكوير، آية4.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

5.2.1 الحساب والجزاء:

الجزاء: أن يُوقِفَ الحقُّ تبارك وتعالى عباده على أعمالهم أقوالاً، وأفعالاً، واعتقادات بعد أخذهم كتبهم [1]، ويعرفهم بأعمالهم التي عملوها، وأقوالهم التي قالوها، وما كانوا عليه في الدنيا من كفر وإيمان، فمن جاء بالحسنة فله عشر أمثالها، ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلاّ مثلها، قال تعالى : {فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا}[2]، وفي الآيات الكريمة إشعار ببون شاسع بين فئتي المؤمنين والكافرين، فالمؤمنون حاملو كتبهم بأيمانهم يحاسبون حساباً يسيراً، والكافرون حاملوها وراء ظهورهم يصلون سعيراً، ولكن هل يتبين من اقتران المؤمنين بالحساب وعدم اقتران الكافرين به، أن المؤمنين محاسبون والكافرين غير محاسبين؟

لقد ذكر القرطبي أن الكافر يلقى ربه يوم القيامة و يسأله تعالى عن أعماله، بدليل قوله تعالى : {وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا}[3]، وقوله أيضاً: {أُوْلَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ}[4] وقوله أيضاً : {وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ}[5]، وقوله أيضاً: {فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ، فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ،وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ،فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ}[6][7]، وأشار عمر الأشقر إلى أن حسابهم يوم القيامة توبيخ لهم وإقرار لهم على أعمالهم، وليس حساباً فيه بيان الحسنات والسيئات[8].

([1]) العفيفي، طه عبدالله، 1404هـ-1984، أسباب السلامة من أهوال القيامة، ط 2، دار الجيل، بيروت، لبنان، ومكتبة الزهراء، القاهرة، مصر، ص166.

([2]) سورة الانشقاق، الآيات7-11.

([3]) سورة الأنعام، آية30.

([4]) سورة هود، آية18.

([5]) سورة العنكبوت، آية13.

([6]) سورة القارعة، الآيات6-9.

([7]) القرطبي، التذكرة في أحوال الموتى، ج1، ص343.

([8]) الأشقر، القيامة الكبرى، ص196.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

وما نميل إليه في ذلك ما أشار إليه عمر الأشقر؛ لأن رأي القرطبي بحساب الكافرين الفعلي الذي أكّده مسوِّغاً ما جاء في الحديث الذي روي عن النبي -صلّى الله عليه وسلم - أنه قال ".تَخرُجُ عُنقٌ منَ النَّارِ يَوْمَ الـ قيامَة لَهَا عَيْنَانِ تُبصِرَانِ، وَأُذُنَانِ تَسْمَعَانِ، ولِسَانٌ يَنْطِقُ، يَقُولُ :إنِّي وُكِّلْتُ بِثَلاثَةٍ : بِكُلِّ جَبَّارٍ عَنِيْدٍ، وَبِكُلِّ مَنْ دَعَا مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ، وَبِالمُصَوِّرِينَ "[1]، نقولهه برر توكيل النـار يـوم القيا مـة بالفئات سابقة الذكر بحدوث ذلك بعد العرض والحساب [2]، وذلك لا يعتد بـه؛ لأن توكيل النار بتلك الفئات يدل على توكيلها بأمرهم دون حسابهم؛ لأن عذابهم فيما بعد الحساب أمر محقق، ولا داعٍ لتوكيلها به . إضافة إلى أن الآيات التي اعتمد عليها في إثبات حساب الكافرين تث بت توبيخهم وإقرارهم وليس حسابهم، حيث إن سؤالهم عن أحقيّة ما وعدوا به (أليس هذا بالحق؟)، وعمّا كانوا يفترون (ليسألن يوم القيامة عمّا كانوا يفترون) ليس استفهاماً منه تعالى لطلب المعرفة الحقيقية، وإنما هو توبيخ لهم، وتقرير بسوء مغبتهم وعظم جرمهم . كما إن الاعتداد بقوله تعالى: {فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ} لا يمتّ بصلة لحساب الكافرين، ولا حتى الإشارة إليهم، إذ إن من أشير إليهم في الآية أصحاب الحسنات التـي زادت علـى سيئاتهم، وأصحاب السيئات الطاغية على حسناتهم، والكافرون ليس لهم حسنات.

ومما في مشاهد القيامة ما يبين القصاص يوم القيامة ممن استطال في حقوق الناس، وتعدى على غيره بسلب الأموال، أو الظلم، أو الشتم، أو ...، فإن هؤلاء مما يجازيهم الله تعالى به، هو حملهم أثقالاً مع أثق الهم جزاء ما كسبوا في دنياهم، ومما يبين ذلك قول الحـق سـبحانه : {وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ}[3]، وقوله: {لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ}[4].

([1]) الترمذي، الجامع الصحيح، ج4، باب ما جاء في صفة النار، ص604، رقم2574.

([2]) القرطبي، التذكرة في أحوال الموتى، ج1، ص343.

([3]) سورة النحل، آية25.

([4]) سورة الأنعام، آية31.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

وقد عارض عمر الأشقر أن الإنسان يحمل شيئاً مِنْ أوزار مَنْ أضلهم يوم القيامة، معتقداً أن الله تعالى لا يضع سيئات من اكتسبها على سيئات من لم يكتسبها، ويأخذ حسنات من يعملها وتعطى لم ن لم يعملها معتمداً على قوله تعالى : {وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وزرأُخْرَى}[1][2]، وذهب القرطبي إلى أن الله تعالى يفصل بين الناس في المظالم بالحسنات والسيئاتوأن ما يراد من قوله تعالى : {وَلَا تَزِرُوَازِرَةٌ وزرأُخْرَى}[3]، أي: لا تحمل حاملة حمل أخرى إذا لم تتعد عليها[4].

وما ذهب إليه القرطبي أقرب إلى الصواب، بل هو الصواب بعينه، ذلك إن الله تعالى لم يبين أمور الدين على عقول العباد، وهذه من الأمور غير المبينة بشكل واضح وميسور، ولو كان كل ما لا تدركه العقول مردوداً -لكان أكثر الشرائع مستحيلاً على موضوع العباد، فحمل المضل من أوزار من أضل من باب العدل الذي تقتضيه مخالفة السبب الأعظم لسعيه في المعمورة، وهو نشر الإسلام، وليس إفشاء الفتن وإغواء العباد، وبالتالي يزدوج ذنبه بالضلال والإضلال، فيصح حمل أوزار غيره في مقابلة ذلك الازدواج، ويشير إلى ذلك كون الوزر من المواز رة التي تدل على العون والمساعدة [5] الكائنة في حال الرضا والقبول، وليس في حال الجبر والقسر المناسبين لتحميل الناس أوزار بعضهم لسد المظالم والاعتداءات، الأمر الذي يناقض الاعتداد بتلك الآية في نفي تحميل الأوزار.

ولعل في الاختلاف في بيان الآية (ولا تزر وازرةوزر أخرى) إشعاراً بغموض في الرأي الأول يقابله الوضوح في الرأي الآخر، الأمر الذي يثقل كفة ميزان الرأي وجهة تأييدنا، وما يدل على ذلك أيضاً قوله -عليه الصلاة والسلام-:
مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَعُمِلَ بِهَا بَعْدَهُ، كُتِبَ لَهُ مِثْلُ أَ جْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا، وَلَا

([1]) سورة فاطر، آية18.
([2]) الأشقر، القيامة الكبرى، ص204، 205.
([3]) سورة فاطر، آية18.
([4]) القرطبي، التذكرة في أحوال الموتى، ص310.
([5]) ابن منظور، لسان العرب، ج3، ص918.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

يَنْقُصُ مِنْ أُجُوْرِهِمْ شَيءٌ . وَمَنْ سَنَّ فِي الإِسْلاَمِ سُنَّةً سَيِّئَةً فَعُمِلَ بِهَا بَعْدَهُ، كُتِبَ عَلَيْهِ مِثْلُ وِزْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا، وَلاَ يَنْقُصُ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيءٌ"[1].

وتبين لنا آيات يوم القيامة وقوف أعضاء الإنسان يوم القيامة لتشهد عليه بالحق، بما فعلت في الدنيا من معاصٍ، ومن ذلك قوله تعالى : {حَتَّى إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ}[2]، وقوله أيضاً: {الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ}[3].

فإذا أنكر العبد شيئاً من أعماله أو اعتذر، أمر الله جوارحه فتشهد عليه، فينطق اللسان بما تكلم، وتنطق الأذن بما سمعت، وتنطق العين بما رأت، وتنطق كل جوارحه وجلده بما عمل، وروي عن معاوية بن حيدة القرشي أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: "ثُمَّ إِنَّكُمْ مَدْعُوُّونَ مُفَدَّمَةٌ أَفْوَاهُكُمْ بِالفِدَامِ، ثُمَّ إِنَّ أَوَّلَ مَا يُبِينُ عَنْ أَحَدِكُمْ لَفَخْذُهُ وَكَفُّهُ"[4].

وبيَّن القرطبي السبب في كون عضو الفخذ أول ما يعرب عن الإنسان يوم القيامة من جانبين، أحدهما أنْ يكون ذلك زيادة في الفضيحة والخزي على ما نطق به الكتاب في قوله : {هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ}[5]، والجانب الآخر: أن يكون هذا فيمن يقرأ كتابه ولا يعرف بما ينطق به، بل يجحد، فيختم الله على فيه عند ذلك، وينطق منه هذا العضو أولاً[6]، ويتم بقوله:"إنّ هذا أظهر الوجهين، ويدل عليه أنهم يقولون لجلودهم لم شهدتم علينا؟ فتمردوا في الجحود، فاستحقوا من الله الفضح والإخزاء"[7].

([1]) مسلم، الصحيح، ج4، باب من سن سنة حسنة أو سيئة، ص2059، 2060، رقم 1017.

([2]) سورة فصلت، الآيتان20، 21.

([3]) سورة يس، آية65.

([4]) ابن حنبل، المسند، مسند البصريين، ص1470، رقم 20302.

([5]) سورة الجاثية، آية29.

([6]) القرطبي، التذكرة في أحوال الموتى، ج1، ص342.

([7]) المصدر السابق، ج1، ص342.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

ولعلنا نرى أن الوجه الأول هو الأقرب إلى الصواب، ذلك إن عملهم الفواحش في الدنيا وتمردهم بالدوام عليها استدعى أن يكون هذا العضو أول ما يشهد عليهم عند الحساب، لاقتران هذا العضو ببعض فواحشهم التي طالما استتروا بها عن رؤية البشر غير عابئين بمن يعلم ما تكنّه أعماق النفوس، في حين إن عدم الاعتراف والتمرد في جحودهم في الوجه الثاني لا يستدعي أن يكون عضو الفخذ أول ما يشهد عليهم، فالعلاقة أقرب إلى الصواب في الوجه الأول، وبعيدة عنه في الوجه الثاني.

6.2.1 الحشر إلى القرار:

1.6.2.1 الجنة أو النار:

في ختام يوم القيامة يحشر العباد إما إلى الجنة أو النار، وهما المقر الأخير الذي يصير إليه العباد جميعاً، وقد أخبرنا الرسول –صلى الله عليه وسلم- أنه يطلب من كل أمة في آخر ذلك اليوم أن تتبع الإله الذي كانت تعبده، فالذي كان يعبد الشمس يتبع الشمس، والذي كان يعبد القمر يتبعه، والذين كانوا يعبدون فرعون يتبعونه، ثم إن تلكم الآلهة الباطلة تتساقط في النار، ويتساقط عباداها وراءها في السعير بعد مرورهم على الصراط. قال تعالى: {يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ}(1).

ولا يبقى من البشر إلا المؤمنون وبقايا أهل الكتاب، وفي المؤمنين المنافقون الذين كانوا معهم في الدنيا، فقد قال –صلى الله عليه وسلم- في الحديث الذي رواه أبو سعيد: "إِذَا كَانَ يَوْمُ القِيَامَةِ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ: لِيَتَّبِعْ كُلُّ أُمَّةٍ مَا كَانَتْ تَعْبُدُ، فَلاَ يَبْقَى أَحَدٌ كَانَ يَعْبُدُ غَيْرَ الله سُبْحَانَهُ مِنَ الأَصْنَامِ وَالأَنْصَابِ، إِلاَّ يَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ إِلاَّ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الله مِن بَرٍّ وَ فَاجِرٍ، وَغُبَّرٍ* أَهْلِ الكِتَابِ..."(2).

(1) سورة هود، آية98.

* غبّر: بقايا، انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج2، ص952.

(2) مسلم، الصحيح، ج1، معرفة طريق الرؤية، ص167، رقم183.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

وما ينتظر الناس قبل دخولهم الجنة أو النار هو مسيرهم على الصراط، ولكن ما الصراط؟ وهل هو حقيقي أم مجازي؟

لقد أنكر أحد المعتزلة، وهو القاضي عبدالجبّار*(ت415هـ - 1024م) حقيقة الصراط بصفتي الحدّة والدقّة، زعماً منه أنه لا يمكن عبوره، وإن أمكن ذلك فإن فيه تعذيب للمؤمنين، وأشار إلى أنه طريق بين الجنة والنار يتسع على أهل الجنة ويضيق على أهل النار، معتمداً على قوله تعالى: {اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِيْنَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ}(1)(2)، وأكدَّ القرطبي حقيقته بصفاته السابقة، ومسير الناس عليه يوم القيامة جميعاً(3).

والحقيقة إنَّ من أشار إلى عدم مرور المؤمنين على الصراط فإنه لا يعتمد على دليل واضح يبين ذلك، إذ إن سوق الاستقامة في الاستدلال على سعة الطريق في حال الكافرين لا يعتد به في هذا المجال؛ لأن استقامة الطريق شأنها أن تدل على استواء ذلك الطريق(4) الذي وسم بحدته ودقته، وذلك يتحقق بجعله خالياً من الصعوبات والمعوّقات في حال المؤمنين، لا بجعله واسعاً ، وذلك للانفراد الدلالي لكل من السعة والاستقامة.

فلا يمكن العدول في ذلك عن الحقيقة إلى المجاز، إلا عند الاستحالة، ولا استحالة في ذلك لما فيه من الآثار المروية الدالة، ومن ذلك ما روي عن النبي –

---

* عبدالجبار بن أحمد بن عبدالجبار الهمذاني الأسد أبادي، قاض، أصولي، كان شيخ المعتزلة في عصره، وهم يلقبونه قاضي القضاة، له تصانيف كثيرة، منها : تنزيه القرآن عن المطاعن، والأمالي، وشرح الأصول الخمسة،توفي سنة عشرة وأربعمئة للهجرة، ولا يعرف له تاريخ ميلاد، انظر : الزركلي، خير الدين محمود، 1405هـ-1984م، الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ط6، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ج3، ص273.

(1) سورة الفاتحة، الآيتان6، 7.

(2) المعتزلي، أبو الحسن عبدالجبار بن أحمد (ت415هـ-1024م)، 1408هـ-1988م، شرح الأصول الخمسة، تحقيق وتقديم عبدالكريم عثمان، ط2، مكتبة وهبة، عابدين، مصر، ص737، 738.

(3) القرطبي، التذكرة في أحوال الموتى، ص 232؛ السفاريني، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم (ت1188هـ-1774م)، 1403هـ-1983م، مختصر لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية، حققه وضبطه ونسّقه وصحّحه محمد زهري النجار، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص413.

(4) ابن منظور، لسان العرب، ج3، ص192.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

صلى الله عليه وسلم - أنه قال: "إنَّ الجِسْرَ أَدَقُّ مِنَ الشَّعْرَة، وَأَحَدُّ مِنَ السَّيْفِ"[1]، ومما يدل على ذلك بشكل بسيط أن القادر على إمساكِ الطير في الهواء قادر على أن يمسك المؤمن على الصراط ويمشّيه دون أن يتأذّى. والحقُّ في هذا إنّ من نظر في مثله بنور الله جاز العين إلى المعنى، وحلّ الرمز، وفكّ المعمى. وهم إنما نظروا من حيث هم ومن حيث العقل البشري، ولم ينظروا إلى حديث الله من حيث هو، فغابوا عن الحضور، ومن لم يجعل الله له نوراً، فما له من نور.

2.6.2.1 النـــار:

ما هي النار؟ ومن أصحابها؟ وما ألوان عذابها التي أعدها المنتقم الجبار للذين كفروا، والمشركين، والمنافقين، والذين ضلوا عن سبيله وغرَّتهم الأماني وغرهم بالله الغرور؟ وممَّ يتكون وقودها؟ ومن عمالها وخزنتها؟

كل ذلك نجد له إجابة واضحة وشافية فيما يحدثنا عنه القرآن من بيان ووصف للنار، أما عن وقودها فهو الناس والحجارة، وليس بعجيب أن الله سبحانه وتعالى يجعل الناس والحجارة وقوداً للنار، فسبحان الذي جعل من الشجر الأخضر ناراً، قال تعالى:{ اتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ}[2]. فبصريح الآية الناس والحجارة وقود النار، ولكن لِمَ قرن الناس بالحجارة وجعلت معهم أنداداً في عذابهم في النار؟

الحقيقة إن الحجارة ذاتها مختلف فيها، فقد قال ابن عباس : هي حجارة الكبريت[3]، ووافقه القرطبي[4]، وابن كثير (ت774هـ-1372م)[5]، وقال البيضاوي (ت1305هـ-1372م): هي الأصنام[6].

---

(1) مسلم، الصحيح، ج1، باب معرفة طريق الرؤيا، ص171، رقم302.

(2) سورة البقرة، آية24.

(3) ابن عباس، تنوير المقباس، ص7.

(4) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج1، ص235.

(5) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي (ت774هـ-1372م)، 1415هـ-1995م، تفسير القرآن العظيم، أشرف على تصحيحه علي شيري، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ج1، ص97.

(6) البيضاوي، أبو سعيد عبدالله بن عمر بن محمد الشيرازي (ت1305هـ-1897م)، (د.ت)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، دار الفكر، ص19.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

أما عن سبب إقران الناس بالحجارة، فقد علّل القرطبي ذلك بأن الحجارة خصت بذلك –على اعتبار أنها حجارة الكبريت-؛ لأنها تزيد عن جميع الأحجار بخمسة أنواع من العذاب، هي: سرعة الاتقاد، ونتن الرائحة، وكثرة الدخان، وشدة الالتصاق بالأبدان، وقوة حرها إذا حميت(1)، وذهب البيضاوي إلى أن السبب في ذلك –على اعتبار أنها الأصنام- أن الناس لما قرنوا أنفسهم بالأصنام في الدنيا، ونحتوها، وجعلوها لله أنداداً، وعبدوها من دونه، قرنت هي بأنفسهم في النار لقوله تعالى: {إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ}*(2)(3).

ولعل الرأي الأول –الذي عليه معظم المفسرين- تخصيص بغير دليل، بل فيه ما يدل على تفنيده؛ وذلك لأن الغرض هنا تعظيم صفة النار، والإيقاد بحجارة الكبريت أمر معتاد، فلا يدل الإيقاد بها على قوة النار، أما لو حمل ذلك على باقي الأحجار، فإنه سيدل على عظم أمر النار؛ لأن باقي الأحجار تطفأ بها النيران، فكأنه قيل: تلك النار بلغت من قوتها أن تتقد بالحجارة مطفئة النيران.

ثم إن معدن الكبريت الذي يتخلل بعض الحجارة –ولا سيما الرسوبية- قد فقد من الصفات –حسبما أثبت علم المعادن-ما لا يؤهله لهول عذاب النار- وإن استخدم في إشعال النيران- إذ إنه موصل رديء جداً للحرارة، فإذا أمسك وقرب إلى الأذن بعد إحمائه يسمع له صوت قرقعة نتيجة لتمدد السطح الخارجي لبلورته، بينما يبقى الجزء الداخلي بارداً لم يتأثر، ووصلت رداءة توصيله للحرارة لدرجة استخدامه في صناعة العوازل الحرارية، كما إنه معدن قابل للكسر، وسهل الانصهار، وسريع الاحتراق، أي: لا يدوم لمدة طويلة أثناء احتراقه(4).

ولعلنا بذلك نؤيد ما أشار إليه البيضاوي، ذلك إن حجارة الأصنام من الحجارة العادية التي تناسب عظم أمر النار وهولها.

---

(1) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، مجلد1، ج1، ص235.

* حصب: كل ما ألقيته في النار من حطب وغيره، انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج1، ص649.

(2) سورة الأنبياء، آية98.

(3) البيضاوي، أنوار التنزيل، ص19.

(4) حلمي، محمد عز الدين، 1405هـ-1984م، علم المعادن، ط6، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، ص 255-257.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

أما عن أصحاب النار فهم الذين كفروا، والمشركون، والمنافقون، والذين ضلوا عن سبيله، وما من أحد يتبرّح عذابها إلا وقد عمل ما يلقيه في هوانها، إلا أن أحد المفسرين ذهب إلى أن المراد بورود النار في قوله تعالى: {وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا}[1]: هو دخولها[2]، وكان يستدل بقول الله تعالى عن قوم فرعون: {يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ}[3]، وعلى هذا يترتب أن الجميع يدخلون النار سواء أكانوا كافرين أم مؤمنين، وذهب محمد متولي الشعراوي إلى أن المراد بالورود هنا المرور على الصراط[4].

والأقوى والأظهر هو أن المقصود بالورود: دخول النار، لما يشير إليه ورود الشيء من وصوله في موطنه، وليس بالقرب منه، ولا سيما أن ما أشار إليه الشعراوي لا ينحاز إلى مورد قريب من النار، وإنما يدل على شيء آخر وهو الصراط، ويدل على ذلك ما ذيلت به الآية السابقة، قال تعالى: {وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا}[5]، ذلك إن النجاة تكون بعد وصول الشيء، وكذلك الإبقاء. وقد أشار إلى ذلك ما روي عن جابر أنه –صلى الله عليه وسلم- قال: "إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الجَنَّةِ قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: أَلَيْسَ قَدْ وَعَدَ رَبُّنَا أَنْ نَرِدَ النَّارَ؟ فَيُقَالُ لَهُمْ: قَدْ وَرَدْتُمُوهَا وَهِيَ خَامِدَةٌ"[6].

ولمّا كانت النار مكاناً سوف يعيش فيه أهلها حياتهم الطويلة، كان فيه ما سيقدم لهم من الطعام، واللباس، والشراب، ليكتمل العذاب، ويوافق أنواع معاصيهم المقترفة، فيقول تعالى: {فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ}[7]،

([1]) سورة المدثر، آية30.
([2]) ابن عباس، تنوير المقباس، ص325.
([3]) سورة هود، آية98.
([4]) الشعراوي، محمد متولي، (د.ت)، الدار الآخرة، ص411.
([5]) سورة مريم، الآيتان72، 73.
([6]) ابن أبي شيبة، أبو بكر عبدالله بن محمد (ت235هـ - 849م)، 1409هـ-1988م، المصنف، تحقيق كمال يوسف الحوت، ط1، ج7، ص212، رقم 35429.
([7]) سورة الحج، آية19.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

PDF Complete
Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages

وقال أيضا: {لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا جَزَاءً وِفَاقًا}[1]، وقال أيضاً: {وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا}[2]، وقوله: {إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ طَعَامُ الْأَثِيمِ كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ}[3]، فلباسهم ضيق ملتصق بأجسادهم، يحرق جلودهم وأبدانهم، وطعامهم الغسلين والزقوم، وشرابهم المهل.

وقد اختلف في المهل، فذهب الضحاك إلى أنه: ماء أسود في جهنم[4]، وذهب ابن عباس إلى أنه: ماء كدردي الزيت*، أو الفضة المذابة[5]، وذهب أبو عبيدة إلى أنه: كل شيء أُذيب من نحاس أو رصاص ونحو ذلك[6].

والحقيقة إن الأقرب إلى الصواب هو ما ذهب إليه ابن عباس من أن المهل: هو ماء يشبه دردي الزيت، وما يعضد ذلك ما رواه أبو سعيد الخدري عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال في تفسير (كالمهل)": كَعَكَرِ الزَّيْتِ، فَإِذَا قُرِّبَ إِلَيْهِ سَقَطَتْ فَرْوَةُ وَجْهِهِ فِيهِ"[7].

وشرابهم الآخر في النار هو الحميم والغسّاق، وقد بين ابن عباس أن الحميم: ماء قد انتهى حرّه، والغساق: الماء المنتن أو الزمهرير[8]، وفسّر الألوسي (ت217هـ-732م) الحميم بأنه: الماء الشديد الحرارة، والغسّاق: ماء يقطر من جلود أهل النار من الصديد[9].

ولا اعتراض في بيان الحميم فهو ماء حار عند المفسرين، وكذلك الأمر في تفسير الغسّاق، إلاّ أن أبْيَنَ الرأيين وأوضحهما في بيان الغسّاق، ما ذهب إليه ابن

---

(1) سورة النبأ، الآيات24-26.

(2) سورة الكهف، آية29.

(3) سورة الدخان، آية43.

(4) الضحاك، تفسير الضحاك، ج2، ص545.

* دردري الزيت: ما يبقى في أسفله، انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج1، ص965.

(5) ابن عباس، تنوير المقباس، ص311.

(6) أبو عبيدة، مجاز القرآن، ج2، ص282.

(7) الترمذي، الجامع الصحيح، ج4، باب ما جاء في صفة شراب أهل النار، ص608، رقم2584.

(8) ابن عباس، تنوير المقباس، ص632.

(9) الألوسي، روح المعاني، مجلد10، ج15، ص215.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

عباس في وصفه إياه بأنه منتن، وما يبين ذلك ما رواه أبو سعيد الخدري عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: "لَوْ أَنَّ دَلْوَاً مِنْ غَسَّاقٍ * يُهْرَاقُ ** فِي الدُّنْيَا لأَنْتَنَ أَهْلُ الدُّنْيَا"(1).

هذا جزء يسير من وسائل الحياة في النار من طعام وشراب وثياب، وبيان للنار وعذابها، وصفات أصحابها، فهل من مدَّكر؟!

3.6.2.1 الجنة:

وصف الله تعالى الجنة في كتابه وصفاً يقوم مقام العيان، في غير ما سورة من القرآن، وأكثر ذلك في سورة الواقعة، والرحمن، والغاشية، وسورة الإنسان، وبين ذلك أيضاً نبينا محمد بأوضح بيان، استدلالاً وتفصيلاً لما جاء في القرآن، فقد قال الحق سبحانه وتعالى: {مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى}(2)، فماؤها صافٍ، ولبنها غاية في البياض، وحسن اللون والطعم والريح، وخمرها لذيذ المذاق، وعسلها شديد الصفاء، وقد روى حكيم بن معاوية عن أبيه عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: "إِنَّ فِي الْجَنَّةِ بَحْرَ الْمَاءِ، وَبَحْرَ اللَّبَنِ، وَبَحْرَ الْعَسَلِ، وَبَحْرَ الْخَمْرِ، ثُمَّ تُشَقَّقُ الأَنْهَارُ بَعْدُ"(3).

ولا غرابة في اتصاف الجنة بما سبق وأعظم، فهي بيت عباد الله الصالحين الذين تعاظم جزاؤهم بتعدد مآلهم، ولا سيما بحيازة خائف مقامه تعالى لجنتين، فيقول تعالى: {وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ذَوَاتَا أَفْنَانٍ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ فِيهِمَا

---

* الغسَّاق: ما يسيل من جلود أهل النار وصديدهم، انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج2، ص987.

** يُهراق: يُصبّ، انظر: المصدر السابق، ج3، ص798.

(1) الترمذي، الجامع الصحيح، ج4، باب ما جاء في صفة شراب أهل النار، ص609، رقم 2584.

(2) سورة محمد، آية15.

(3) الترمذي، الجامع الصحيح، ج4، باب ما جاء في صفة أنهار النار، ص603، رقم2571.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ}[1]، ثم قال في السورة نفسها: {وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ}[2].

فما الجنتان في الآية الأولى؟ وما هما في الثانية؟

في بيان أصحاب الجنتين في الآيتين السابقتين جمع الماوردي (ت450هـ-1508م) بين رأيين دون أن يغلِّب أحدهما على الآخر، الأول: إن الجنتين الأوليين في قوله: (ولمن خاف مقام ربه جنتان) للسابقين، والجنتين في قوله: (ومن دونهما جنتان) للتابعين، والثاني: إن الأوليين للمقربين، والأخريين لأصحاب اليمين[3]، وفي رأي القرطبي: إن جميعها لمن خاف مقام ربه[4].

لعلنا نرى أن ما ذهب إليه القرطبي هو ما يقارب الصواب، إذ إن الجنان أربع وجميعها لمن خاف مقام ربه، إلا أن الخائفين مراتب، فالجنتان الأوليان لأعلى العباد مخافة من الله تعالى، والجنتان الأخريان لمن قصر حاله في الخوف من الله تعالى، ومما يدل على ذلك أن الله تعالى ذكر أهل الجنتين الأوليين ولم يذكر أهل الجنتين الأخريين، إذ إن تخصيص الخائف بالجنتين الأوليين وعطف الأخريين الأقل رتبة منهما عليهما دون تخصيصهما بأحد يشعر باندراجهما في جزاء الخائف؛ ولكن برتبة من الخوف تقابل رتبة ذلك الجزاء.

وفي الوقت الذي كانت فيه النار ذات أبواب ودركات، فإن أصحاب الجنة مختلفون في درجات الجنة وأبوابها التي يدخلونها كلٌّ حسب عمله، قال تعالى: {حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا}[5].

([1]) سورة الرحمن، الآيات46-52.

([2]) سورة الرحمن، آية62.

([3]) الماوردي، أبو الحسين علي بن محمد (ت450هـ-1058م)، 1412هـ-1992م، النكت والعيون، راجعه وعلّق عليه السيّد بن عبدالمقصود، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ومؤسسة الكتاب الثقافية، بيروت، لبنان، مجلد5، ص441.

([4]) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، مجلد9، ج17، ص132.

([5]) سورة الزمر، آية71.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

إلا أنه اختلف في عدد أبواب الجنة، فقد ذهب القرطبي إلى أنها تصل في عددها إلى ثلاثة عشر باباً، اعتماداً على حديث عمر بن الخطاب أن الرسول -صلى الله عليه وسلم - قال: "مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الوُضُوءَ، ثُمَّ قَالَ: ثَلاث مَرَّات: أَشْهَدُ أَنَّ لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدَاً عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ، فُتِحَتْ لَهُ مِنَ الجَنَّةِ ثَمَانِيَةُ أَبْوَابٍ، مِنْ أَيِّهَا شَاءَ دَخَلَ"(1)(2).

وذهب ابن كثير إلى أنها ثمانية أبواب فقط، استدلالاً بقوله -عليه الصلاة والسلام -: "مَا مِنْ مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ يَتَوَضَّأُ فَيُبْلِغ أَو فَيُسْبِغ* الوُضُوءَ، ثُمَّ يَقُوْلُ: أَشْهَدُ أَنَّ لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله وَأَنَّ مُحَمَّدَاً عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ، إِلاَّ فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الجَنَّةِ الثَّمَانِيَةُ يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ" (3)(4).

والحقيقة إنَّ ما استدل به القرطبي يقابله الكثير من الأحاديث التي تدل على أن أبواب الجنة ثمانية، ومن ذلك ما رواه عتبة بن عبد السُلَيميّ أن الرسول -صلى الله عليه وسلم - قال: "مَا مِنْ رَجُلٍ مُسْلِمٍ يُتَوَفَّى لَهُ ثَلاثَةٌ مِنَ الوَلَدِ لَمْ يَبْلُغُوا الحِنْثَ، إِلاَّ تَلَقَّوْهُ مِنْ أَبْوَابِ الجَنَّةِ الثَّمَانِيَةِ، مِنْ أَيِّهَا شَاءَ دَخَلَ"(5)، وما روي عن سهل بن سعد أن النبي قال: "فِي الجَنَّةِ ثَمَانِيَةُ أَبْوَابٍ، فِيْهَا بَابٌ يُسَمَّى الرَّيَّانَ"(6)، إضافة إلى أن ما ورد في الحديث الذي استدل به القرطبي لا يدل بشكل كامل على أن أبواب الجنة ثمانية، ذلك إنَّ الفتح في الحديث أسند إلى الجنة وليس إلى أبوابها، فقال: فتحت له من الجنة ثمانية أبواب، ولم يقل: فتحت له من أبواب الجنة ثمانية، الأمر الذي يشي إلى أن تلك الأبواب ليست موجودة، وإنما تفتح بشكل خاص لمن تُوُفِّيَ له ثلاثة أولاد، فهي أبواب جديدة وليست من جملة أبواب الجنة، في حين إنَّ ما اعتمد

---

(1) ابن حنبل، المسند، مسند المكثرين، ص968، رقم13828.
(2) القرطبي، التذكرة في أحوال الموتى، ج2، ص550.
* يُبْلِغ ويُسْبِغ: يُتِمّ، انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج1، ص258، ج2، ص90.
(3) مسلم، الصحيح، ج1، باب ذكر المستحب عقب الوضوء، ص210، رقم234.
(4) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج7، ص106.
(5) ابن حنبل، المسند، مسند الشاميين، ص1275، رقم 17789.
(6) البخاري، الصحيح، ج2، باب صفة أبواب الجنة، ص434.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

عليه ابن كثير يحدد بشكل واضح عدد أبواب الجنة ولا سيما بسوق العدد (ثمانية) معرَّفاً.

وفي الجنة بجانب هذا النعيم المعنوي نعيم مادي محسوس يُكْمِلُ به أهلها جوانب الترف والغدق، فيقول تعالى: {وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزِفُونَ وَفَاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ وَحُورٌ عِينٌ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا}(1)، ومازال بيان ذلك موصولاً في سورة الواقعة، {وَفُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً}(2).

وفي بيان (الفرش المرفوعة) ذهب ابن كثير إلى أنها المفارش، ومعنى مرفوعة: عالية ناعمة(3)، وذهب القرطبي إلى أن الفرش كناية عن النساء اللواتي في الجنة، والمعنى: نساء مرتفعات الأقدار في حسنهن وكمالهن، اعتماداً على أن العرب تسمي المرأة فراشاً ولباساً وإزاراً، وعلى قوله تعالى: {هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ}(4)(5).

ورأي القرطبي هو الأظهر وما يبين ذلك الآيات اللاحقة لهذه الآية، فقد قال تعالى: {وَفُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا عُرُبًا أَتْرَابًا}(6)، فهذه الآيات تبين أن الفرش: هي النساء، فقد وصفهنَّ الله تعالى بأنهنَّ أبكارٌ وأنهنَّ في عمر واحد.

فيا له من متاع عظيم فاق كل وصف وصفة، فها هم أصحاب الجنة يسكنون القصور العالية المشيدة، ولهم أزواج جميلات، ويلبسون ثياباً سندسية من الحرير، وعلى رؤوسهم تيجان وأكاليل من الدر والياقوت، وها هم أصحاب النار يُساقون إلى

---

(1) سورة الواقعة، الآيات10 -26.
(2) سورة الواقعة، الآيتان34، 35.
(3) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج7، ص475.
(4) سورة البقرة، آية187.
(5) القرطبي، التذكرة في أحوال الموتى، ج2، ص560.
(6) سورة الواقعة، الآيات34 -37.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

دركاتها المظلمة، ويتبرّحون فنون العذاب والهوان، لا يأكلون في بطونهم إلا الزقوم، ولا يشربون إلا الغسّاق والحميم.

فهي ألوان متعددة من الثواب والعقاب لا حصر لها، وما تبينه مشاهد القيامة يصعب حصره في هذه الصفحات القليلة، إلا أن ما تم الحديث عنه في وصف الجنة، وما جاء في الفصل بكامله، ما هو إلا على سبيل التمثيل لذلك الموضوع الواسع، الذي لا تُستقصى جوانبه، ولو وقف صاحب أبحاث متخصصة على أطرافه المترامية، وأسرارِه المتشعبة، التي سنحاول سبر بعض أغوارها، واستجلاء بعض خفاياها بفصل لاحق وهو أسلوب الالتفات.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

الفصل الثاني

الالتفات

من المخالفات الأسلوبية التي تُحلِّي التعبير بالدقة والجمال، وتنتقل بالكلام من أسلوب إلى آخر الالتفات، وهو من المصطلحات التي ورد إلى جانبها الكثير من مرادفاتها في الكتب البلاغية، إلى أن استقرت في نهاية المطاف على ما نلحظهُ في مصادرها، حيث في تراثنا البلاغي والنقدي مجموعة من المصطلحات التي وردت لتدل على مضمون الالتفات، من بينها: مخالفة مقتضى الظاهر[1]؛ والاستدراك[2]، والاعتراض[3]، والانصراف[4]، وشجاعة العربية[5]*، والتي أصبح بعضها -فيما بعد- يدل على ظواهر أخرى، ولا سيما مخالفة مقتضى الظاهر والاعتراض.

---

(1) ابن قتيبة، عبدالله بن مسلم (ت276هـ-889م)، 1401هـ-1981م، تأويل مشكل القرآن، شرحه ونشره السيد أحمد صقر، ط3، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص283، 284، 285.

(2) قدامة بن جعفر، أبو الفرج قدامة بن جعفر (ت337هـ-948م)، (د.ت)، نقد الشعر، تحقيق كمال مصطفى، ط3، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ص146.

(3) ابن رشيق، أبو علي الحسن بن رشيق (ت456هـ-1063م)، 1408هـ 1988م، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق محمد قرقزان، ط1، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ج1، ص636.

(4) ابن منقذ، أبو الحارث أسامة بن مرشد بن علي (ت584هـ-1188م)، 1407هـ-1987م، البديع في البديع في نقد الشعر، حقّقه وقدّم له عبد آ. علي مهنّا، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص287.

(5) ابن الأثير، أبو الفتح نصر الله بن محمد بن محمد (ت637هـ-1239م)، 1358هـ-1939م، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق محمد محي الدين، مكتبة الحلبي، مصر، ج 2، ص4؛ العلوي، يحيى بن حمزة بن علي (ت749هـ-1348م)، (د.ت)، كتاب الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، أشرف على مراجعته وضبطه وتدقيقه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج2، ص131.

* وردت مصطلحات، الاعتراض، والاستدراك، وشجاعة العربية، إلى جانب مصطلح الالتفات، وورد مصطلحا مخالفة مقتضى الظاهر، والانصراف دالين بمفردهما على هذه الظاهرة (دون وجود مصطلح الالتفات)، وقد دلت بعض هذه المصطلحات على ظواهر بلاغية أخرى وهي كالآتي:
مخالفة مقتضى الظاهر: مخالفة ظاهر اللفظ معناه، كقولهم عند المدح: قاتله الله ما أشعره، انظر: السيوطي، أبو الفضل جلال الدين عبدالرحمن (ت911هـ-1505م)، 1408هـ-1987م، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، شرحه وضبطه وصححه وعنون موضوعاته وعلّق على حواشيه محمد أحمد جاد المولى، المكتبة العصرية، صيدا، لبنان، ج1، ص331=

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

إلا أن مصطلح الالتفات يعد الأكثر شيوعاً بينها، وتناسباً -بمعناه المعجمي -مع هذه الظاهرة، فتقول المعاجم في معناه : "لَفَتَ الشيء -بفتح الفاء -:لواه على جهة ه، كما تقبض على عنق إنسان فَتَلْفِتُهُ، ولَفَتَ الكلام صَرَفَهُ إلى العُجْمَة، واللّفتاء : الحولاء، واللَّفوت من النساء: التي تكثر التلفت، وأصل اللفت: ليُّ الشيء عن الطريق المستقيمة"(1).

ويكمن تناسب المعنى المعجمي لهذا المصطلح مع هذه الظاهرة في دلالة المادة اللغوية له في عمومها على الانتقال والتحول إلى شيء مخالف للأصل، وهذا هو صلب الالتفات الذي يشير إلى "التحول من أسلوب في الكلام إلى آخر مخالف للأول"(2).

وبناءً على ذلك فإن الناظر في دلالة المصطلحات الأخرى السابقة يجد أن بعضها قد تعدى حدود الظاهرة، وبعضها اق تصر على بعض أجزائها، وآخر انطلق من جانب بعيد عن حدودها بعض الشيء، فلو أخذنا مصطلح (مخالفة مقتضى الظاهر) مثالاً، سنجد من الواقع أن هذه الظاهرة في تحولها عن الأصل - هي مخالفة لمقتضى الظاهر، ولكن هذا المصطلح أوسع من أن يدل على تلك الظاهرة بمفردها، فهو يشمل ظواهر أخرى كثيرة غير الظاهرة التي بين أيدينا، كالحذف، والتقديم والتأخير، والتكرار، والقلب*، وغيرها مما لا يأتي على ظاهر سوق الكلام، أما مصطلح (شجاعة العربية)** فينتحي بدلالته الوضعية عن مضمون الالتفات، بل إنه لا تناسب بين دلالة المصطلحين،

= الاستدراك: رفع توهم يتولد من الكلام السابق رفعاً شبيهاً بالاستثناء، وهو معنى (لكن)، انظر: ابن معصوم، علي صدر الدين، (ت1120هـ-1708م)، أنوار الربيع في أنواع البديع، 1388هـ - 1968م، حققه وترجم لشعرائه، شاكر هادي شكر، ط1، مكتبة العرفان، كربلاء، العراق، ص385.

الاعتراض: هو أن تدرج في الكلام ما يتم المعنى بدونه، انظر : السكاكي، أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر (ت626هـ-1228م)، مفتاح العلوم، 1400هـ-1981م، تحقيق أكرم عثمان يوسف، ط 1، دار الرسالة، بغداد، العراق، ص667.

(1) ابن منظور، لسان العرب، ج3، ص379.

(2) العلوي، الطراز، ج2، ص132.

* الحذف: هو حذف من المفرد والجملة لدلالة فحوى الكلام عليه، ولا يكون إلا فيما زاد معناه على لفظه، انظر : ابن الأثير، المثل السائر، ج2، ص78.

التقديم والتأخير: أسلوب من أساليب علم البلاغة، يتم فيه تقديم ما رتبته التأخير، وتأخير ما رتبته التقديم، انظر : الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج3، ص233.

التكرار: دلالة اللفظ على المعنى مردداً، انظر: ابن الأثير، المثل السائر، ج2، ص157.

القلب: أن يقصد شيئاً ويكون المقتضى بضد ذلك الشيء، انظر: ابن المنقذ، البديع في البديع، ص254.

** ورد هذا المصطلح عند ابن الأثير – إلى جانب الالتفات -، وتعليله في إطلاقه على ظاهرة الالتفات، أن الشجاعة هي الإقدام، فالرجل الشجاع يركب مالا يستطيعه غيره، وكذلك العربية فإنها تختص بالالتفات الذي يعد خروجاً على مقتضى الظاهر، انظر: ابن الأثير، المثل السائر، ج2، ص4.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

فالشجاعة تنبثق عن ا لإقدام وتحدي الصعاب بأسلوب قويم، والالتفات قائم بمضمونه على التحول والانتقال ومخالفة الأصل . ولو سلمنا بتناسب المصطلحين، فإن مصطلح (شجاعة العربية) يتعدى بإطاره الواسع حدود هذه الظاهرة، ذلك إن الشجاعة منسوبة إلى العربية وليس إلى الالتفات.

ولا غرو في ذلك، فأي ظاهرة تختلف مسمياتها ومضمونها في بداية ظهورها إلى حين استقرارها، ووضوح معالمها، وتحديد جوانبها.

ومما هو جدير بالذكر أن وقفات علماء البلاغة قد اضطربت إزاء هذه الظاهرة ومدلولها، إضافة إلى المصطلح، فقد اقتصرت على بعض مجالاتها، واختلفت في إيرادها، حيث نلحظ إد راج بعض جوانبها في موطن لم يدرج فيه بعضها الآخر الوارد في موطن مغاير.

فعند النظر إلى أقدم ما أشير به إلى مصطلح الالتفات، وهو ما يرويه أبو إسحاق الموصلي (188هـ-804م)* عن الأصمعي (ت216هـ-831م)**، قائلاً:

"قال لي الأصمعي: أتعرف التفاتات جرير؟ قلت: وما هو؟ فأنشدني:

أَتنسى إذْ تودِّعُنا سُلَيْمَى   بِعودِ بَشَامَةٍ، سُقِيَ البَشَامُ"***[1]****.

---

* إبراهيم بن هامان الموصلي التميمي، أبو إسحاق النديم، شاعر، فارسي الأصل، انتقل والده إلى الكوفة فولد بها سنة خمس وعشرين ومئة للهجرة، ومات أبوه وهو صغير، فكفله بنو تميم وربوه، فنسب إليهم، وتوفي سنة ثمان وثمانين ومئة، انظر: الزركلي، الأعلام، ج1، ص58، 59.

** عبدالملك بن قريب بن علي بن أصمع، أبو سعيد الأصمعي، راوية العرب، وأحد أئمة العلم باللغة والشعر والبلدان، نسبته إلى جده أصمع، ولد في البصرة سنة اثنتين وعشرين للهجرة، وتوفي فيها سنة ست عشرة ومئتين، انظر: الزركلي، الأعلام، ج3، 162.

*** البشام: شجر طيب الريح والطعم يُستاك به، انظر: لسان العرب، ج1، ص218.

(1) ورد البيت في الديوان بصيغة: أتنسى إذْ تودِّعُنا سُليمى   بفرعِ بَشامةٍ ؟ سُقِيَ البَشامُ

انظر: جرير، أبو حزرة جرير بن عطية بن حذيفة (ت114هـ-732م)، 1390هـ-1970م، ديوان جرير، دار صادر، بيروت، لبنان، ص417.

**** وردت تلك الإشارة بالنقل حكياً عن الأصمعي، دون الإشارة إليها في مؤلفاته، انظر : الباقلاني، أبو بكر محمد بن الطيب، (ت403هـ-1012م)، 1411هـ-1991م، إعجاز القرآن، شرح وتعليق محمد عبدالمنعم خفاجي، ط1، دار الجيل، بيروت، لبنان، ص 151؛ ابن رشيق، العمدة، ج 1، ص639؛ ابن الأثير، أبو الفتح نصر الله بن محمد بن محمد (ت637هـ-1239م)، (د.ت)، كفاية الطالب في نقد كلام الشاعر والكاتب، تحقيق نوري القيسي وآخرين، دار الكتب العلمية، الموصل، العراق، ص191.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

نقول: عند النظر لذلك يلحظ اقتصار مجال تلك الظاهرة على الانتقال من معنى لآخر، وهو انتقال الشاعر من حديثه عن سليمى إلى الدعاء للبشام.

وبتأمل ما ساقه ابن قتيبه (ت276هـ-889م) في بيان هذه الظاهرة نجده يقصر مجالها على الانتقال بين الأعداد، ويدرجها تحت مصطلح المجاز، فهو يقول في كتابه (تأويل مشكل القرآن): وللعرب المجازات في الكلام، ومعناها طرق القول ومآخذه، ففيها الاستعارة، والتمثيل، والقلب، والتقديم والتأخير، والحذف، والتكرار*...، ومخاطبة الواحد مخاطبة الجميع، والجميع مخاطبة الواحد، والواحد والجميع خطاب الاثنين، مع أشياء كثيرة سنراها في أبواب المجاز، وبكل هذه المذاهب نزل القرآن(1).

ففي آخر قوله يتبين إطلاق مصطلح المجاز على مجالات الالتفات بين مجالات الأعداد، وهي مخاطبة الواحد مخاطبة الجميع، والجميع مخاطبة الواحد، والواحد والجميع خطاب الاثنين.

وبالنظر إلى إيراد ابن المعتز (ت296هـ-911م) لجوانب الظاهرة نجد أنه ابتعد عمّا ورد لدى معاصره ابن قتيبة، فقد أوردها -بمصطلح الالتفات- في كتابه البديع تحت باب محاسن الكلام، وعرّفها بقوله: "انصراف المتكلم عن المخاطبة إلى الإخبار، وعن الإخبار إلى المخاطبة، وما يشبه ذلك، ومن الالتفات الانصراف عن معنى يكون فيه إلى معنى آخر"(2).

---

*سبق التعريف بمصطلحات القلب، والتقديم والتأخير، والحذف، والتكرار، أما التمثيل: فهو -كما بيّنه عبدالقاهر الجرجاني- ضروب التشبيه التي يكون وجه الشبه فيها أمراً عقلياً غير حقيقي، أي: غير متقرر في ذات الموصوف إلا بتأول وصرف عن الظاهر، ومثال ذلك القول: لفظٌ كالعسل، فإن الحلاوة التي هي الجامع بين المشبه والمشبه به متحققةٌ في الثاني وليست متحققةٌ في الأول إلا بتأول، انظر: الجرجاني، أبو بكر عبدالقاهر بن عبدالرحمن بن محمد (ت471هـ-1078م)، 1409هـ-1988م، دلائل الإعجاز في علم المعاني، صحَّح أصله محمد عبده، ووقف على تصحيح طبعه وعلَّق حواشيه محمد رشيد رضا، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص54.

(1) ابن قتيبة، عبدالله بن مسلم (ت276هـ-889م)، 1410هـ-1989م، تأويل مشكل القرآن، إعداد ودراسة عمر محمد سعيد، ط1، مركز الأهرام، القاهرة، مصر، ص96.

(2) ابن المعتز، أبو العباس عبدالله بن محمد (ت296هـ-911م)، 1410هـ-1990م، البديع، تقديم وشرح وتحقيق محمد عبدالمنعم خفاجي، ط1، دار الجيل، بيروت، لبنان، ص152.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

ومما يلحظ في كلام ابن المعتز أيضاً أنه لا يمثل الظاهرة بشكلها الكامل، وإنما يتحدث عن جانب منها وهو الانتقال بين الضمائر، مضيفاً إلى ذلك الانتقال من معنى إلى آخر . ولعل الاختلاف بين ابن المعتز ومعاصره يدل على تباين غرضيهما في إيراد الظاهرة، وكأن ابن المعتز كان معنياً بالظاهرة أكثر من معاصره الذي اشتغل بكونها أسلوباً من أساليب العرب الواردة في القرآن الكريم.

ولم يقف اضطراب تلك الظاهرة عند الاختلاف في مجالاتها، بل وصل إلى جعلها تنحو سبيلاً يبتعد إلى ما يدل على الاعتراض، ويظهر ذلك جلياً من خلال تفسير قدامة بن جعفر (ت337هـ-948م) لتلك الظاهرة بقوله:"هو أن يكون المتكلم آخذاً في معنى، فيعترضه إما شك فيه، أو ظن أن رادّاً يردّه إليه، أو سائلاً يسأله عن سببه"(1).

ويظهر جلياً ما سار نحوه قدامة بن جعفر مبتعداً عمّا لدى سابقيه، ذلك إن ما لديهم –وإن تعددت مجالاته - لم يخرج في عمومه عن التحول والانتقال، في حين إن ما أورده قدامةلا يعدو إدراج كلام في آخر ، ولا نظن ذلك من باب الالتفات القائم على التحول من أسلوب إلى آخر.

واستمر ذلك الاضطراب إلى أن خلص مصطلح الالتفات لظاهرة التحول الأسلوبي عند الزمخشري (ت538هـ-1143م)، مبيناً لشواهده في القرآن، ومفسراً لغاياته المتحققة في مواقعه. ويلحظ ذلك جليّاً من خلال وقفاته المستفيضة عند شواهد تلك الظاهرة، ومن ذلك ما كشف غوره عند الحديث عن الالتفات من الغيبة إلى الخطاب في قوله تعالى : ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾(2)، حيث أشار إلى أنه تم التحول عن ضمير الغيبة في قوله (مالك يوم الدين) إلى ضمير الخطاب في قوله (إياك نعبد وإياك نستعين)؛ لأنه لّما ذُكرَ الحق يق بالحمد، وأُجرِي عليه تلك الصفات العظام، تعلق العلم بمعلوم عظيم الشأن، حقيق بالثناء وغاية الخضوع والاستعانة في المهمات، فخوطب ذلك المعلوم المتميز بتلك الصفات، فقيل : إياك يا من هذه صفاته

(1) قدامة بن جعفر، نقد الشعر، ص146، 147.
(2) سورة الفاتحة، الآيتان: 4، 5.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

نخُصُّ بالعبادة والاستعانة، ليكون الخطاب أدلّ على أن العبادة له لذلك التميز الذي لا تحق العبادة إلا به"[1].

وفي تحديد مجال الالتفات كان المشهور عند جمهور العلماء أنه مقتصر على المخالفة في الضمائر :الغيبة، والخطاب، والتكلم [2]، أما ضياء الدين بن الأثير (ت637هـ-1239م) فقد جعل الالتفات يشمل المخالفة بين الضمائر، وبين صيغ الأفعال: الماضي، والمضارع، والأمر[3].

وقد وقف حسن طبل على جوانب ذلك الخلاف مشيراً إلى أن مفهوم الظاهرة يتسع ليشمل ظاهرة التحول الأسلوبي بكل تجلياتها وصورها المتعددة ، معتمداً في ذلك على الدلالة المعجمية للمصطلح التي لا تحصره في بعض جوانب الظاهرة دون غيرها[4].

ونحن إذ نوافقه -إلى جانب ابن الأثير - على ذلك الاتساع لا نقف معه في الاستدلال عليه بالدلالة المعجمية الواسعة، ذلك إن الظاهرة لا تحدد بمصطلحها وإنما المصطلح الذي يحدد بها، كما إن هذه الظاهرة قد عانت من تعدد المصطلحات الذي يجعلها -وإن ارتبطت بأحدها -تشمل جوانباً قد تتسع أو تضيق عمّا يناسب مصطلح الالتفات، ولاسيما الخروج على مقتضى الظاهر، وشجاعة العربية - كما أشرنا سابقاً -.

وفيما نراه أن الذي يوسع دائرة تلك الظاهرة هو أن اشتمالها على بعض مجالاتها التي ذكرها البلاغيون، كالانتقال بين الضمائر، والانتقال بين الأعداد -لا يحول دون وجود مجالات أخرى فيها، كالانتقال بين الصيغ والأدوات، ذلك إنه لم

---

(1) الزمخشري، محمود بن عمر (ت528هـ-1133م)، (د.ت)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، رتّبه وضبطه وصححّه مصطفى حسين أحمد، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ج3، ص202، 203، 218، ج4، ص82.

(2)المصدر السابق، ج 1، ص13؛ الطيبي، شرف الدين الحسين محمد بن عبدالله (ت743هـ-1342م)، 1406هـ-1986، التبيان في البيان، تحقيق توفيق الفيل وآخرين، ط 1، دار ذات السلاسل، الكويت، ص232.

(3) ابن الأثير، المثل السائر، ج2، ص4-14.

(4) طبل، حسن، 1411هـ-1990م، أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية، دار الكتب العلمية، ص22.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

يشترط فيها ما يمنع كون الانتقال بين صيغ الأفعال -مثلاً - التفاتاً، ويسوّغ إدراج الانتقال بين الضمائر في مجالاتها، وإنما كل ما ورد أن الالتفات في تلك المجالات المتداولة ما هو إلا لوجود التحول من أسلوب إلى آخر في شواهدها.

والأمر اللافت للانتباه أن الحصر الذي أدير على تلك الظاهرة قد سرى عند بعض المحدثين بتحديد بعض مجالاتها، ومن ذلك ما أشار إليه أنيس المقدسي عندما عرّف الالتفات بأنه :"الانتقال المفاجئ من صيغة إلى صيغة، أو من ضمير إلى ضمير"[1]، إذ قصره على الانتقال بين الصيغ والضمائر.

وفي بيان الفائدة الفنية لظاهرة الالتفات يرى الزمخشري أن الالتفات يحقق فائدتين إحداهما عامة وهي تطرية * نشاط السامع وجذب انتباهه بهذه التحولات الأسلوبية، والأخرى خاصة بمواقعه الفردية[2] ويرى ابن الأثير أن ما ذهب إليه الزمخشري لا يمكن أن يكون؛ وذلك لأن الفائدة لو كانت إمتاع السامع فهي دليل على أنه يمل من أسلوب واحد، فينتقل إلى غيره ليحدث نشاطاً للاستماع، مشيراً إلى أن ذلك قدح في الكلام لا وصف له، وبيّن أن الغرض الموجب لاستعمال هذا النوع في الكلام لا يجري على وتيرة واحدة، وإنما هو مقصور على العناية بالغرض المقصود في كل موقع[3].

فابن الأثير يفصل الدواعي البلاغية لأسلوب الالتفات، فليست فوائده محددة ترد في هذا الأسلوب كما ترد في الأسلوب الآخر، وليست حكماً عاماً ينطبق على كل أسلوب فيه انتقال إلى أسلوب آخر، بل يؤتى بالالتفات لأغراض بلاغية تفهم من الكلام على حسب الموضوع الذي يرد فيه.

والحق إن النظم الحي يشدُّك إليه، ويحفزك على الانتباه والتفكير والتأمل فيه، ويربّي عندك ملكة التذوق للقول الفني الجميل، ولا يخفى ما في الالتفات من خلق إمكانيات جديدة للتعبير، وكشف عن علاقات لغوية جديدة تصطدم مَعَ ما تربَّى عليه

---

(1) المقدسي، أنيس، "المسوغات العقلية للبلاغة" مجلة المجمع العربي بدمشق، مجلد 30، 1374هـ-1955م، ص38.

* التطرية: التجديد، من طرّيت الثوب، إذا أعدت إليه طراوته، انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج2، ص591.

(2) الزمخشري، الكشاف، ج1، ص14.

(3) ابن الأثير، المثل السائر، ج2، ص5.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

PDF Complete
Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages

الذوق، وما تأسس في معرفة الإنسان الأولية، الأمر الذي سيقدم أبعاداً دلالية تثيـر دهشة القارئ ومفاجأته، وتمارس عليه سلطة من خلال عنصر المفاجأة والغرابة.

ومن الجدير بالذكر أن اختصاص مواقع الالتفات بفوائد منفردة لا يحول دون وجود فائدة عامة لهذه المواقع، وهي تطرية نشاط السامع وجذب انتباهه، فكثير من الظواهر البلاغية تؤدي وظائف خاصة في صورها الجزئية، وتشترك فـي الوقـت نفسه بوظيفة عامة، وإلا فما فائدة علوم البلاغة غير إخراج الكـلام علـى أجمـل صورة وجعله بمذاق فني لطيف أمام المتلقي؟!

ولا وجه لاعتراض ابن الأثير على كلام الزمخشـري، فلـيس فـي كـلام الزمخشريحين قال عن الالتفات تطرية وجذب - ما يشير إلى القدح في الكـلام على ما فهم ابن الأثير؛ ذلك لأنه ليس في رأي الزمخشري ما يدل نصاً بتصـريح، ولا تلميحاً بإشارة على أن الانتقال في الكلام من أسلوب إلى أسلوب –تفنناً- يكـون لملل عند السامع، ولا أن تطرية نشاط السامع وإيقاظ الإصغاء يكون لطول الكلام أو قصره، أو لقبح في الأسلوب وعدم حسنه، بل يفهم من كلامه أن التفنن يكون براعة في البيان، وحركة في التعبير، ويفهم أيضاً أن تطرية السامع إنما يقصد بها التوجـه إليه –مباشرة- بالخطاب في المدح مثلاً، أو في التخصيص، ويفهم كذلك أن إيقـاظ الإصغاء شدّ لانتباه السامع، ودفع للشواغل عنه.

وبإلقاء نظرة على ما عند الزمخشري نجده لم ينفِ الفائدة الخاصة بمواقـع هذه الظاهرة، بل أضاف الفائدة العامة إلى جانبها دون أن ينفيَها.

وإذا أردنا تحديد موقع الالتفات على خريطة البحث البلاغي نجد الاخـتلاف نفسه الذي رافق مسيرة تلك الظاهرة، فقد أورده بعض البلاغيين من حيث إنه يحسن الكلام ويزينه في علم البديع [1]، وجعله آخرون من حيث إنه إيراد المعنــى الواحـد بطرق مختلفة من علم البيان [2]، ومن حيث إنه يشتمل على خاصية التركيب من علم المعاني [3]، وقد أورده السكاكي في علمي البيان والبديع [4].

(1) ابن المعتز، البديع، ص152؛ الطيبي، التبيان في البيان، ص232.
(2) الزمخشري، الكشاف، ج1، ص13؛ ابن الأثير، المثل السائر، ج2، ص4.
(3) قدامة بن جعفر، نقد الشعر، ص146؛ العلوي، الطراز، ج2، ص131.
(4) السكاكي، مفتاح العلوم، ص395، 668.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

ولا غرابة في ذلك، فلم تكن الظاهرة في بداياتها قد استقلت مصطلحاً ولا بياناً ولا وظيفة، وليست هذه الظاهرة فحسب، إنما شمل عدم الاستقرار علوم البلاغة الثلاثة: البديع، والمعاني والبيان، فكان الاضطراب في الفروع حاصلاً . إلا أنه لا بد من رجوح أحد الآراء.

وفي ذلك المجال كان حسن طبل السابق لنا في محاولة توجيه ذلك الخلاف، حيث تعجّب من إبعاد تلك الظاهرة عن علم المعاني مشيراً إلى أن دلالته على أحوال اللفظ العربي[1]، تناظر دلالة مصطلح معاني النحو [2] الذي تندرج تحته -إلى جانب الالتفات- بعض المباحث البلاغية، كالتقديم والتأخير، والحذف، والذكر *...، مستدلاً بذلك على نسب الالتفات إلى علم المعاني[3].

والحق إن في هذه الظاهرة من تحسين الكلام جانب، ومن إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة جانب آخر، و من خاصية التركيب التي يراعى فيها أحوال اللفظ العربي جانب أيضاً، ولكن بالتدقيق في هذه الجوانب الثلاثة نجد أن الأساس أو الابتداء هو التحول في أحوال اللفظ، وهو الذي ينتج عنه تحسين الكلام، وإيراد المعنى بطرق مختلفة، فلما كان السبب الرئيس في حدوث هذه الجوانب الثلاثة هو التحول في أحوال اللفظ : من الغيبة إلى الخطاب، ومن التكلم إلى الغيبة، ومن الإفراد إلى الجمع، كان هنالك دافع لعدم التردد في عد الالتفات من علوم المعاني.

---

(1) القزويني، الإيضاح، ج1، ص84.

(2) الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص44، 45.

*سبق التعريف بمصطلحي : التقديم والتأخير، الحذف، أما الذكر فقد جعله الجرجاني مجازاً، وأشار إلى أن حقيقته في الكلمة أن تعرى من معناها وتذكر ولا يكون لها فائدة سوى الصلة، ويكون سقوطها وثبوتها سواء في اللفظ وليس الدلالة، انظر:الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد (ت471هـ-1078م)، (د.ت)، أسرار البلاغة في علم البيان، صحّحه محمد عبده وعلّق عليه محمد رشيد رضا، دار المطبوعات العربية، ص363.

(3) طبل، أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية، ص29.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

كما إننا نلحظ -على العموم- من خروج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر ما نلحظه من استخدام أساليب الأمر والنهي والاستفهام والنداء * وغيرها التي تخرج عن إطارها المعهود لتؤدي غايات بلاغية في السياق، والتي هي من علوم المعاني، والالتفات يعد خروجاً على مقتضى الظاهر، فما الذي يمنع من عدّه من علوم المعاني؟

ونخلص مما سبق أن الالتفات يتحقق في كل تحول بين أسلوبين ظاهرين في السياق مختلفين في طريقة التعبير، وهذا التحول مرهونٌ بأن يكون على خلاف ما ينتظر السامع ويقتضي السياق تطرية لنشاط السامع وإيقاظاً له، ولتحقيق فائدة أخرى تختص بمواقع التحول الفردية، كما إنه يشترط فيه توحّد المعنى المُعبّر عنه.

ومثال ما استجمع هذه الشروط قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ﴾(1).

فقد عبر الحق سبحانه وتعالى عن ذاته بطريق التكلم في قوله: (يا عبادي)، ثم أعاد التعبير عنه بأسلوب آخر هو أسلوب الغيبة (الله)، وما يقتضيه سوق الكلام ويترقبه السامع، هو استمرار الكلام على طريق واحد هو طريق التكلم، فيقال: (لا تقنطوا من رحمتي)، فعدل عن التكلم إلى الغيبة ضمن ذات المعنى، فتحقق بذلك أسلوب الالتفات، وهو على خلاف ظاهر سوق الكلام.

---

* الأمر: صيغة تستدعي الفعل، أو قول ما ينبىء عن استدعاء الفعل من جهة الغير على جهة الاستعلاء، وقد يستعمل لغير ذلك، كالإباحة، والتعجيز، ...، انظر: القزويني، أبو عبد الله بن محمد بن سعد الدين (ت739هـ - 1338م)، 1322هـ -1904م، التلخيص في علوم البلاغة، ضبطه وشرحه عبد الرحمن البرقوقي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص169؛ العلوي، الطراز، ج3، ص281، 282.

النهي: الكفّ والترك على جهة الاستعلاء، وقد يستعمل في غير ذلك، كالتهديد، والوعيد، ...، انظر: القزويني، التلخيص، ص170.

الاستفهام: طلب المراد من الغير على جهة الاستعلام، وقد يستعمل لغير ذلك، كالتوبيخ، والتهديد، والإنكار، انظر: العلوي، الطراز، ج3، ص286 -291.

النداء: إقبال المدعو إلى الداعي، وقد تستعمل صيغته في غير معناه، انظر: القزويني، الإيضاح، ج 3، ص245.

(1) سورة الزمر، آية53.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

PDF Complete
Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages

وبعد؛ فإن في الالتفات وجوهاً متنوعة من الاستعمالات، تجري على مخالفة قواعد اللغة وأساليب تراكيبها، وهي مخالفة مقصودة، يتوصل بها إلى أهداف ودلالات، وقد حصرت كتب البلاغة والتفسير بعض هذه الاستعمالات، بَيْدَ أنها لم تتوسع في إظهار أبعادها، وتوضيح الأساليب التي تكمن وراءها، وهذا ما سنعطيه الحيّز الأكبر في دراستنا التطبيقية.

1.2 من صور الالتفات في مشاهد يوم القيامة:

يعدُّ الالتفات من الظواهر الأسلوبية والألوان البلاغية التي حفل بها القرآن الكريم عامة، ومشاهد يوم القيامة خاصة، ويدل ذلك على تأدية هذه الظاهرة وظائف بيانية لا حصر لها في معجز البيان الخالد، تُخْرِجُ مجال ا لالتفات من دائرة الحصر التي أدارها كثير من البلاغيين كما أشرنا سابقاً -، لتشمل كلَّ تحول أو انتقال من أسلوب إلى آخر.

وفي ظل هذا الاتساع، وقبل أن ننتقل إلى دراسة الالتفات في مشاهد القيامة، لا بد أن نحدد أبرز المجالات التي يتحقق فيها الالتفات في الآيات عينة الدراسة، لنتوقف في تناولنا التفصيلي لكل مجال إزاء بعض الصور أو العبارات القرآنية التي تنتمي إليه، كي نستجلي بعض ما يومض به هذا اللون البلاغي من قيم وأسرار، عارضين في بعض الصور ما يؤيدها من القرآن، ومستفيدين ممَّن سبقنا إليه المفسرين والبلاغيين.

ويمكن تحديد مجالات الالتفات كما هي في مشاهد يوم القيامة كالآتي:

1. الالتفات بين الضمائر.
2. الالتفات بين الإضمار والإظهار.
3. الالتفات بين تذكير الضمير وتأنيثه.
4. الالتفات بين الأعداد.
5. الالتفات بين الصيغ.
6. الالتفات في الأدوات.
7. الالتفات بين الألفاظ المعجمية.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

وستتوقف الدراسة عند هذه المجالات بالتفصيل.

1.1.2 الالتفات بين الضمائر:

يتحقق الالتفات بين الضمائر كلما تخالف ضميران في المعنى الواحد بعد التعبير بأحدهما عن هذا المعنى لتحقيق مرام وأسرار بلاغية يفتقدها السياق.

وفي هذا المجال نود أن نشير إلى ضرورة الاقتصار على المخالفة بين الضمائر ذاتها دون إضافة إظهار ما سبق إظهاره وإظهار المضمر، اللذين أوردهما حسن طبل تحت باب الالتفات بين الضمائر(1).

ويبين ذلك ما ساقه من أمثلة، ففي إظهار المضمر مثلاً : ﴿وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُم مِّنۢ بَعۡدِ عَهۡدِهِمۡ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمۡ فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ﴾(2)، معتمداً على أن إظهار (أئمة الكفر) بعد إضمارهم هو عدول عن الإظهار إلى الإضمار ضمن باب الالتفات بين الضمائر.

وبتأمل هذه الصورة السابقة يتبين أن هذا السياق ليس من باب الالتفات بين الضمائر، ذلك إنَّ ورود الضمير في بداية السياق، ثم العد ول عنه إلى إظهار الاسم ذاته ليس تحولاً بين الضمائر ذاتها، وإنما هو تحول بين الضمير والاسم الظاهر، وفي تقديرنا أن الالتفات في مجال الضمائر يتحقق في ثلاثة جوانب هي:

أ - بين الضمائر:

1- بين الغيبة والخطاب.

2- بين الغيبة والتكلم.

3- بين الخطاب والتكلم.

ب - بين الإضمار والإظهار.

ج - بين تذكير الضمير وتأنيثه.

ونود فيما يلي أن نتوقف إزاء كل صورة من هذه الصور، كي نستلهم بعض ما تفيض به تجلياتها في البيان القرآني لمشاهد القيامة من خفايا وأسرار:

---

(1) طبل، أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية، ص152.

(2) سورة البقرة، آية59.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

1.1.1.2 بين الغيبة والخطاب:

كثيراً ما عزا المفسرون الالتفات من الغيبة إلى الخطاب لسبب إضمار مقول القول دون بيان الغرض البلاغي من العدول *[1] عن الغيبة إلى الخطاب، بل دون الإشارة إلى الالتفات ذاته أحياناً، ولا نحسب أن تعليلهم هذا يفسر الالتفات، وإنما هو مجرد تسويغ لا يشير إلى الالتفات من الأصل.

ومما يعد في هذا الجانب ظاهرة، هو تكرار الانتقال من وصف مقامات المؤمنين في الجنة، وما يقدّم لهم بطريق الغيبة إلى خطابهم، وقلة سريان ذلك الانتقال في حال الكافرين، ولا سيما عند مقارنة مقاماتهما، ومن مواطن ذلك، قوله سبحانه: ﴿هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ ، جَنَّاتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ الْأَبْوَابُ، مُتَّكِئِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ، وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَتْرَابٌ، هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴾[2]، وفي مقابل هذه الصورة صورة الكافرين في السورة نفسها دون التفات: ﴿هَذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ، جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمِهَادُ، هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ، وَآخَرُ مِن شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ﴾[3]، وكذلك قوله تعالى في وصف مقام المؤمنين : ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ، وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ، كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئاً بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[4].

فقد جرى النسق في المشهدين الواصفين لحال المؤمنين بطريق الغيبة، ففي الأول (لهم، عندهم)، وفي الثاني (المتقين، يشتهون)، ثم تحول عن الغيبة إلى طريق

---

* نستخدم مصطلح (العدول) كبديل للالتفات بمعناه اللغوي الذي نشعر بدلالته على الانصراف عن الشيء إلى الآخر، ونستخدم مصطلحات مرادفة كالانتقال، والمخالفة، وذلك كنوع من تغيير اللفظ الذي لا يبعد مصطلح الالتفات عن دلالته على تلك الظاهرة.

(1) الرازي، التفسير الكبير، ج 29، ص112؛ أبو السعود، محمد بن محمد الحنفي (ت982هـ-1574م)، 1419هـ-1999م، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، وضع حواشيه عبداللطيف عبدالرحمن، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج6، ص351؛ البيضاوي، أنوار التنزيل، ص778.

(2) سورة ص، الآيات 49-53.

(3) سورة ص، الآيات 55-58.

(4) سورة المرسلات، الآيات 41-43.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

خطابهم بـ(هذا ما كنتم توعدون) في الأول، وبـ (كلوا واشربوا) في الثاني دون وجود ذلك الانتقال في حال الكافرين.

وقد اقتصر بعض المفسرين كما ذكرنا آنفاً - على أن جملة مقول المقول محذوفة، حيث يكون التقدير : يقال لهم:هذا ما توعدون..، ويقال لهم : كلوا واشربوا...[(1)].

والواقع إن هذا القول من صميم التوليف اللغوي بين طرفي المخالفة، ولا دخل له في بيان سر ذلك العدول، إذ إن تقدير محذوف في شتى مواطن الالتفات بين الضمائر يفقد الظاهرة مخالفة ظاهر سوق الكلام، لقيامه بمثابة التقديم المهيِّيء لتحولات الأسلوب، والمسيّر لجريانه على ما يقتضيه الأصل، وبالنظر إلى هذه الشواهد نجد أن هناك عدولاً من الغيبة إلى الخطاب في حال المؤمنين، فما تفسير هذا العدول؟ وما علاقة ذلك بعدم وجود هذا العدول مع الكافرين؟

ما من شك أن في الخطاب دلالة آنية على حدوث الفعل، حيث إنك إذا حادثت جماعة أمامك بقولك لهم: كلوا واشربوا، تكون قد أمرتهم الآن بالأكل والشرب، أما إذا تحدثت عن غائبين بأنهم يأكلون ويشربون، فإن تنفيذ ذلك قد يكون آنياً أو مستقبلاً، ويقترب إلى المستقبل، بل يكون مستقبلاً إذا اقترن بما يدل على ذلك، وأكل المؤمنين من خيرات الجنة لاشك في حدوثه مستقبلاً.

وبناءً على ذلك نستطيع القول : إن الله تعالى خاطب المؤمنين وكأنهم في الجنة، وفي ذلك دلالة على تأكيد مكانهم في الجنة دون شك، حيث إنهم عملوا ما يرضي الله، فاستحقوا ذلك المآل، لذلك خاطبهم بلفظ الوعد (توعدون) الذي يعد أقوى ما يستخدم في التأكيد على تحقق الشيء، مشيراً إلى الموعود باسم الإشارة (هذا) الدال على الاحتضار الآني له، لما في الإشارة من إشعار بوجود المشار إليه وقت الإشارة إليه، إضافة إلى ما يوحي به الأمر بـ (كلوا واشربوا) في المشهد الثاني من ذات الاحتضار للمأمور به، الأمر الذي يؤكد ذلك المآل بما لا يظهر في الفعل المضارع والماضي، وأبقى في وصفه مقام الكافرين على أسلوب الغيبة، دون

---

(1)الرازي، التفسير الكبير، ج 29، ص12؛ أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج 5، ص369؛ البيضاوي، أنوار التنزيل، ص604، 778.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

الانتقال إلى خطابهوفي ذلك عدم تأكيد لمقامهم في النار - ليبقي المجال أمامهم مفتوحاً للتوبة، فعدم الانتقال إلى الخطاب إنما يدل على أن الله أراد أن يغفر الذنوب لمن تاب، ويضمّه في جانب المؤمنين، ويؤكد مقامه بما أكده لمقام عباده الصالحين، لذلك جعل أبواب الجنة مفتوحة لأصحابها قبل وصولهم (جنات عدن مفتحة لهم الأبواب)، وأشار إلى دخول الكافرين بفعل الوصول (يصلونها) الدال على وصولهم النار قبل فتح أبوابها، الأمر الذي يشعر بالغاية نفسها في جنب عدم التأكيد في حال الكافرين.

وقد تأكدت لدينا هذه الملاحظة في ضوء ما جاء بعد خطاب المؤمنين في سورة الحجر من بيان لعذاب الله تعالى الأليم الذي أعده للكافرين مسبقةً بمغفرته تعالى الواسعة؛ فيقول سبحانه : ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ ... نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ﴾[1]، فقد قدّم المغفرة على العذاب الذي أعده للكافرين ليبين أن باب التوبة مفتوح، وهذا مما يدل على ما ذهبنا إليه.

ومن مواطن هذا العدول أيضا قوله سبحانه: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَاباً، وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّاباً، وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَاباً، فَذُوقُوا فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَاباً﴾[2].

فقد جرى النسق في الآيات الكريمة بالإخبار عن الكافرين بضمير الغيبة في (كانوا، وكذبوا)، ثم تحول إلى مخاطبتهم في (فذوقوا، نزيدكم)، وقد تنبّه بعض المفسرين إلى هذا العدول، فقال الرازي في بيان سره : "في قوله: (كانوا لا يرجون حساباً) ذكرهم بالمغايبة، وفي قوله : (فذوقوا) ذكرهم بالمشافهة، وهذا يدل على كمال الغضب"[3]، وأشار البيضاوي إلى أن ذلك للمبالغة[4].

(1) سورة الحجر، الآيات 45-50.

(2) سورة النبأ، الآيات 27-30.

(3) الرازي، التفسير الكبير، ج31، ص19.

(4) البيضاوي، أنوار التنزيل، ص781.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

والذي نميل إليه هو ما ذهب إليه الرازي، وذلك لما نلحظه من إشارة لزيادة العذاب في قوله تعالى : (فلن نزيدكم إلا عذاباً)، فما الزيادة في عذاب الكافرين؟ وهل هي مستحقة أم غير مستحقة؟

إذا قلنا: إنّ هذه الزيادة مستحقة لهم كان تركها في أول الأمر إحساناً، والكريم إذا أسقط حق نفسه لا يليق به أن يسترجعه، وأما إذا كانت غير مستحقة لهم كان وصولها لهم ظلماً، وهذا لا يجوز في حقِّ الله، فنريد أن نقول : إن هذه الزيادة لا يمكن أن تكون على وجهها الظاهر، فالله كريم وليس بظلّام للعبيد، ولكن ما بيانها؟ وما دلالة العدول على ذلك؟

في ضوء ما سبق تتجلى القيمة التعبيرية لهذا العدول في أنه عندما تم الانتقال من الإخبار في بداية الآيات عن عذاب الكافرين، وتفاصيل أعمالهم القبيحة، إلى خطابهم بزيادة العذاب، كان ذلك العدول دالاً على تبالغ الغضب، حتى وصل إلى درجة جعل معها ترك زيادة العذاب من قبيل ما لا يدخل تحت الصحة (فلن نزيدكم إلا عذاباً). وقد أشار إلى ذلك التشديد في التهديد من خلال جعل استشعار شدة العذاب بالذوق الذي من شأنه أن يكون مستخدماً لاستكناه ما لذّ وطاب، وليس تباريح العذاب، في حين إن السياق لو جرى على نسق الإخبار ولم يتم العدول، لدل ذلك على الزيادة الفعلية للعذاب، وهو الذي لا يجوز بحقِّ الله تعالى، فلذا كان العدول لكمال الغضب الذي سوّغ في حالة إيراد الزيادة.

ومن المواطن القرآنية للتحول من الخطاب إلى الغيبة قوله تعالى : ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ لَآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ، فَمَالِؤُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ ، فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ، هَذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ﴾[1]*.

---

(1) سورة الواقعة، الآيات 51-56.

* انظر شواهد أخرى، آل عمران، آية 106 الأنعام، آية 128 الحجر، الآيتان 45، 46 الإسراء، الآيتان 13، 14 الكهف، آية 48 الحج، آية 22 المؤمنون، الآيتان 104، 105 الفرقان، الآيتان 17، 18، النمل، الآيات 84، 85، 90 سبأ، آية 42 يس، الآيتان 53، 54 الزمر، آية 16، فصلت، الآيتان 23، 24، الزخرف، الآيتان 67، 68، الدخان، الآيتان 48، 49، الجاثية، آية 31.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

PDF Complete
Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages

ففي الآية الأخيرة تحول إلى طريق الغيبة عن طريق الخطاب الـــذي وردت عليه الآيات السابقة التي تنقل لنا ما يسلَّط على الضالين من الجوع والتهاب النار في أحثهم مما يضطرهم إلى أكل الزقوم * مالئين منه بطونهم؛ مما يزيـــد الحـــرارة والمرارة، فيسلط عليهم للعطش الذي يضطرهم إلى شرب الحميم ** بطريقة مماثلة لشرب الهيم***، ثم كان الانتقال إلى الغيبة ببيان أن فنون العذاب تلك ما يعد لنازل النار يوم القيامة (هذا نزلهم)، وليس المستقر فيها، الأمر الذي يــزداد إزاءه هــول العذاب بجعل خيال المتلقي يسرح في تقدير عذاب المقيم في ذلك القرار بعــد مــا لحظه من هول عذاب النازل سائلاً نفسه : إذا كان عذاب الكافر عند نزولــه النـــار كذلك، فكيف سيكون بعدما استقر به القرار واطمأ نت به الدار؟ وفي ذلك من التوبيخ والتقريع لتلك الفئة ما لا يخفى، ولا سيما بما نلحظه من توثيق الشبه بيــنهم وبــين الهيم بتكرار عملية الشرب (فشاربون شرب - فشاربون عليه)، الأمر الذي يدل على كون الطرفين ذواتاً متفقة في طريقة الشرب، مما حسن معه الانتقال إلى الغيبة أثناء الإشارة المؤكدة لذلك النزل، لما يحققه من تقرير لتلك الغاية لا يتحقق أثناء ســوق التعبير بطريق الخطاب الذي لا يناسب غيبة حالهم، إضافة لما في الغيبة من توجيه لأنظار السامعين تجاه حالهم التي أشير إليها بـــ (هذا) لتتعدد عيون الناظرين تجــاه نزلهم، فيزداد توبيخهم وتقريعهم.

2.1.1.2 بين الغيبة والتكلم:

ومن مواطن هذا العدول قوله سبحانه : ﴿قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ، لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ﴾ (1).

---

* الزقوم: شجر كريه المنظر والطعم، انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، مجلد9، ج17، ص214.

** الحليم: الماء المغلي الذي اشتد غليانه، وهو صديد أهل النار، انظر : القرطبي، الجـــامع لأحكـــام القـــرآن، مجلد9، ج17، ص214.

*** الهيم: الإبل التي بها الهُيام، وهو داء يشبه الاستسقاء، انظر: البيضاوي، أنوار التنزيل، ص712.

(1) سورة الزمر، الآيتان 15، 16.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

فقد عُدِلَ عن طريق الغيبة في (يخوف الله) إلى طريق التكلم في (يا عباد فاتقون)، وكان مُجرى السياق يقتضي قوله: (يا عباد الله فاتقوه).

فلو نظرنا إلى الآية لوجدنا حديثاً عن ظلل الخاسرين يوم القيامة، فهي من نار، ثم بيان أن هذا مما يخوِّف الله به عباده، ثم انتقال إلى التكلم على سبيل تهديد الخاسرين إذا لم يتقوه عز وجل، ولعلنا نلاحظ بناءً على ذلك أن سر هذا العدول يكمن في جانبين: الأول: عندما جرى السياق في بيان ظلل هؤلاء الخاسرين يوم القيامة وأنها من أنواع عذابهم الشديد، ثم بيان أن ذلك مما يخوف الله به عباده يوم القيامة، كان هناك احتياج للانتقال لطريق التكلم؛ وذلك لأن الإغراق في وصف العذاب وإتباعه بأن هذا مما يخوف الله به عباده، قد يؤدي إلى العدول عن تذكر الخالق لهذا العذاب، واقتصار حدود التفكير في نوع العذاب، بل إلى مهابة النار وحب الجنة واختفاء صورة الخالق لهذه الأشياء، ولكن هذا العدول إلى التكلم (فاتقونِ) أفاد تأكيد أنَّ الخوف من الله، والاتقاء هو من عذاب الله تعالى وليس من الظلل أو النار، أو أنواع العذاب الأخرى، وذلك لما في التكلم من إظهار للمتكلم، ودلالة على احتضاره ما لا يظهر بأسلوب الغيبة، أشار إلى ذلك ما في إضافة الاتقاء إلى ذاته (فاتقون) من اختصاص له بالاتقاء لا يتأتى بأسلوب الغيبة.

وأما الجانب الثاني الذي أفاده هذا التحول، فهو التأثير بنفوس العباد لاجتناب ما يوقعهم في العذاب الفظيع، وإبعادهم عن التعرض لما يوجب الخسارة الفادحة، التي هول أمرها بما شرعت به الآيات من إشعار بشدة ذنب الخاسر بشموله لخسارة أهله في جنب خسارة ذاته، وبالتأكيد على اختصاصه بتلك الخسارة (الذين خسروا أنفسهم وأهليهم) من خلال الإشارة إلى الخاسرين بعد حرف التنبيه (ألا ذلك هو الخسران المبين)، التي تومىء ببعد منزلة المشار إليه بالشر، والتسجيل عليه بما تدل عليه الإشارة من احتضاره أثنائها، إضافة لما في توسيط ضمير الفصل (هو)، وتعريف الخسران، ووصفه بالمبين، من الدلالة على كمال هول الخسران ومضاعفته وأنه لا خسران وراءه ما لا يخفى، وقد ضوعف ذلك بجعل الظلل التي شأنها أن تكون وسيلة لإمتاع المستظل باتقاء حر الشمس مكونة من النار التي هي المصدر الأكبر للحرارة؛ وفي تكثيرها بلفظ الجمع (الظلل)، وإحاطتها بالخاسر من

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

تعظيم الدلالة نفسها ما لا يقادر قدره، لذا فإن هول حال الخاسر كان داعياً للانتقال إلى طريق التكلم أثناء خطابه تعالى عباده باتقائه، واجتناب ما يوقع في تلك الخسارة، لما في التكلم الذي أُوزِرَ بالتحول إلى الخطاب من تحول مشهدي يزيد كفاءة إيقاع الأثر في نفس المخاطب والمتلقي، من خلال ما يضفي عليه من إشعار بالحوار المشاهد الذي يناسب جملة التحول بكون ما تقدمه من عظة من الله تعالى لعباده يحتاج طريق التكلم، لبيان غاية اللطف والمرحمة في ندائهم للاتقاء (يا عباد فاتقون) الذي يوحي بتمنيه المتواضع لاتقاء العباد.

ومن المواطن القرآنية التي يتمثل فيها التحول من التكلم إلى الغيبة قوله تبارك وتعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيّاً ، ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيّاً﴾(1).

فقد جرى السياق على بيان كيفية بعض من عذاب الكافرين بطريق التكلم (لنحضرنهم، لنحشرهم، لننزعن)، ثم تحول إلى طريق الغيبة (الرحمن)، فكان مقتضى السياق أن يُقال: (ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد علينا عتيا).

إن المتحدث عنهم قبل العدول هم الكافرون جميعاً، وأما بعد العدول فهم فئة الكافرين الأشد جرماً وعتوّاً، والانتقال إلى الغيبة كان عند الحديث عن هذه الفئة المتقدمة في الكفر، وقد عُبِّر عن هذا الانتقال بأحد أسماء الله تعالى الذي يدل على الرحمة وهو (الرحمن). ويظهر لنا في ذلك أنه عندما كان البيان لهذه الفئة شديدة الإجرام قليلة الرحمة، أُثر الانتقال إلى الغيبة باسمه تعالى الذي يدل على ما يعاكس صفة هذه الفئة المجرمة تماماً، ليكون ذلك أدل وأبين على عظيم كفرهم، وشدة إجرامهم وعدم رحمتهم . فأنت إذا أردت أن تبيّن شيئاً وتبرزه قابلته بضده، أو بما يقدم له إبانة، أشار إلى ذلك سوق إخراجهم من بين صفوف الكافرين بلفظ النزع (لننزعن) الموحي بسحب شيء من آخر بشدة تناسب شدة إجرامهم، ولذلك تم وصف تميزهم في الإجرام بلفظ الشدة وليس الكثرة، فقال : أشد على الرحمن، ولم يقل: أكثر، لما في مقابلة رحمته تعالى بالإجرام من تجاوز حدود النظر في غلو

(1) سورة مريم، الآيتان 68، 69.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

الجرم وإن كان قليلاً، فكون الإجرام في حقه تعالى عظيم بمحض توجيهه له، وليس بازدياده عن حد معين.

ومن مواطن هذا التحول أيضاً قوله سبحانه : ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ، وَعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾[(1)] .

فقد تم العدول عن طريق التكلم في (نسير، حشرناهم) إلى الغيبة في (عرضوا على ربك)، وقد التفت أبو السعود (ت982هـ-1574م) إلى هذا العدول مشيراً إلى أن ذلك من تربية المهابة، والجري على سنن الكبرياء، وإظهار اللطف بالرسول صلى الله عليه وسلم -[(2)]، ونحن إذ نقدر غاية أخرى لهذا العدول لا نخالف ما فيه من تربية المهابة، وتعاظم الكبرياء لله تعالى، وإنما نستبعد توجيه ذلك العدول بالإشارة إلى إظهار اللطف بالرسول صلى الله عليه وسلم -، ذلك إننا لا نجد علاقة بين التحول عن تكلمه تعالى إلى غيبته وإظهار اللطف بالرسول –صلى الله عليه وسلم - في هذا السياق.

ولو نظرنا في تلك الأفعال التي عُدل عن ضمير التكلم فيها الذي أسند إليها لوجدنا أن مدلولها في الآية واضح، فتسيير الجبال يبين ذهابها عن أماكنها إلى أن تذهب وتزول[(3)]، وحشر الناس هو جمعهم في مكان واحد من كل أوب * دون أن يبقى منهم أي أحد [(4)]، ولكن عند النظر إلى طريقة العرض نجد أنها غير محددة (مبهمة بعض الشيء)، فهي إما تدل على تنظيم الناس في صف واحد، أو تنظيمهم باصطفافهم سواءٌ أكانوا في صف واحد أم أكثر، فكلمة (صفاً) الواردة في الآية تحتمل الجانبين، ومن هنا كان الانتقال من التكلم إلى الغيبة، فعندما كانت كيفية العرض مبهمة كان الانتقال بالضمير إلى الغيبة لتكون أدل على ذلك الإبهام، أشار

(1) سورة الكهف، الآيتان 47، 48.
(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج4، ص195.
(3) المصدر السابق، ج4، ص194.
* من كل أوب: من كل طريق ووجهة وناحية، انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج1، ص127.
(4) أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج4، ص194.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

إلى ذلك بناء فعل العرض للمجهول، بعد بناء فعلي التسيير والحشر إلى المعلـــوم، لمناسبة المجهول لذلك الإبهام أيضاً.

وقد تأكدت لدينا هذه الملاحظة في ضوء ما يلي:

لقد ذُيلت كل من الجملتين الأوليين في الآية الأولى بما يوضح ماهية الفعـــل في كل منهما، ففي الأولى (...وترى الأرض بارزة)فـــالمراد ببـــروز الأرض : تحولها إلى كرة ظاهرة ليس فيها معلم لأحد [(1)]، ولا مكان يواري أحداً، وهذا تحصيل حاصل لتسيير الجبال وذهابها ، وفي الثانية (..فلم نغادر منهم أحداً) فـــالمراد : إن الجميع يحشرون دون ترك أحد، وهذا توضيح لكيفية الحشر، فنلحظ أن هذه الأفعال ذُيلت بما يوضحها ويبيّن كيفيتها، في حين إن العرض لم يُذيل بما يوضـــح كيفيتـــه المبهمة.

أما إذا قال قائل:إن الآية التي تدل على العرض قد ذُيلت بما يوضح كيفيته، فقد قال تعالى في نهايتها (لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة)، أي: إنهم يعرضـــون حفاة عراة[(2)]. قلنا: إن مجيء الناس حفاة عراة لم يختص بالعرض فقط، وإنما قـــد يكونون حفاة عراة من وقت خروجهم من القبور، هذا من جانب، ومن جانب آخر، فإن الإبهام الذي نقصده في كيفية الاصطفاف والعرض، وليس في كيفية قدومهم من حيث اللباس أو عدمه.

ويؤدي الالتفات في هذا المجال غايات تختص ببيان اختلاف أســـلوب تلقـــي الجزاء لكل من المؤمنين والكافرين، ومن ذلك قوله تعـــالى : ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ، وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾[(3)]*، وقد عزا أبو السعود ذلك للإيذان بما بـــين مصـــدري التعـــذيب

---

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج5، ص143، 144.

(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج4، ص194.

(3) سورة آل عمران، الآيتان 56، 57.

*انظر شواهد أخرى، النساء، آية 56 الأنعام، الآيتان 128، 129 الكهف، الآيتان 47، 48 مريم، الآيـــات 61، 63، 69، 70، 71 الأنبياء، آية 97 النمل، الآيتان 83، 84 القصص، آيـــة 75 يـــس، آيـــة 16 الزمـــر،=

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

والإثابة من الاختلاف من حيث الجلال والجمال [1]، ولم نؤازر تلك اللفتة لما تتبني عليه من عدم تحديد المصدرين اللذين لا ينتاب توحدهما بمسيرهما إن قصد ذلك - أدق الظنون.

فلعلنا نرى أن المشهد يشير بدلالاته العميقة إلى جانب من الاختلاف في أسلوب سوق الجزائين، وذلك من خلال ما ينبض به السياق من إشارات خفية توحي بعذاب موجه كقصف يعمد به إفناء من احتدت مقاومته، إزاء ثواب يسير على طبيعته المقتضية تقديمه في جزاء العامل لنيله، أشار إلى ذلك سوق جزاء الكافرين بلفظ التعذيب (فأعذبهم)، مقابل سوق جزاء المؤمنين بلفظ وفاء الأجر (فيوفيهم) الذي يومىء بمقابلته المباشرة لجزاء العامل كوفاء الأجير أجره، في مقابل ما يدل عليه لفظ العذاب من التوجيه المقصود، ثم كان وصف العذاب (عذاباً شديداً) الموحي بالغاية نفسها من جنب ما يشعر به التأكيد بالشدة على العذاب من أسلوب جبري لا ينتظر في جزاء العامل الحائز لأجره بيسر، لذا كان إيثار طريق التكلم الموحي بالاحتضار الذاتي لهيبته وجلاله -موائماً لأسلوب عذابهم القاهر إزاء تمام كفرهم وجحودهم، وكان إيثار طريق الغيبة في حال المؤمنين الذي لا يوحي بالاحتضار السابق - مناسباً لجريان جزائهم بأسلوب مباشر طبيعي تقتضيه الحكمة التشريعية في مقابلة أعمالهم، وقد أشار إلى ذلك ما جاء من تذييل لعذاب الكافرين بعد سوق وفاء جزاء المؤمنين و(الله لا يحب الظالمين)، الذي يؤكد الأسلوب نفسه بما نلحظه من نفي حبّه تعالى لتلك الفئة التي وردت بلفظ الظلم (الظالمين) المشير لتجاوزهم حدود الكفر واضعينه مكان الشكر والإ يمان، ولعل ذلك كان باعثاً لإيثار صيغة الإفراد عند سوق عذاب الكافرين (عذابا)، وإيثار صيغة الجمع عند سوق أجر المؤمنين (أجورهم)، لما في إيثار الإفراد من مناسبة لأسلوب العذاب القاهر الذي هو مناط الاهتمام بشدته الفاتكة، بخلاف الجمع المناسب للنظر إلى الفروق الفردية في حال المؤمنين لثبوت الأجر بحد ذاته لديهم . وقد كان ذلك مناسباً أيضاً لتنكير العذاب،

= الآيتان17، 18 غافر، آية 33 فصلت، الآيتان 27، 28 الزخرف، آية 36، الجاثية، الآيتان 34، 35، الملك، الآيتان5، 6، الحاقة، الآيتان10، 11.

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج1، ص377.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

وتعريف الأجر، لما في الأجر المعرّف بإضافته لأصحابه من تأكيد لحيازتهم له، لا يتم في حال التنكير المناسب للأسلوب الجابر في العذاب، لما فيه من إبهام لا يؤكد تلك الحيازة.

2.1.2 الالتفات بين الإضمار والإظهار:

من التصرفات البلاغية التي تحدث في السياق لتحقق أغراضاً بلاغية تكسب الكلام قوة وجمالاً التبادل بين الإضمار والإظهار ، والذي يقوم على مخالفة تؤدي دورها في السياق، وقد ورد عند البلاغيين في ثلاثة مجالات:

1-وضع الضمير موضع الاسم الظاهر: وذلك كما في قوله تعالى : ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾[1]، وقوله أيضاً ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾[2]، وقوله أيضاً : ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ﴾[3][4].

فنلحظ أن الضمائر السابقة (هو) والهاء في (إنه، وإنها) تنبّه إلى ما بعد، فليس هناك اسمٌ ظاهر قبلها تعود إليه.

2- إظهار ما سبق إظهاره: وذلك كما في قول الحق تبارك وتعالى: ﴿وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ﴾[5]، وقوله أيضاً: ﴿بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ﴾[6][7]، فقد تم العدول في هاتين الآيتين إلى الإظهار، ففي الآية الأولى كان السياق يقتضي أ ن يقال: وبه نزل، وفي الثانية: وهي أدهى وأمر.

---

(1) سورة الإخلاص، آية 1.

(2) سورة المؤمنون، آية 117.

(3) سورة الحج، آية 46.

(4)العلوي، الطراز، ج 2، ص142؛ أبو موسى، محمد، 1425هـ-2004م، خصائص التركيب/ دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني، ط6، مكتبة وهبة، القاهرة، مصر، 242.

(5) سورة الإسراء، آية 105.

(6) سورة القمر، آية 46.

(7) العلوي، الطراز، ج2، ص48؛ السيوطي، الإتقان، ج3، ص216.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

3- **إظهار المضمر**: وذلك مثل قوله عز وجل : ﴿فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تَدَّعُونَ﴾[2][3]، فالسياق يقتضي أن يقال: فسحقاً لهم، وسيئت وجوههم.

ولكن ما نلحظه أن المخالفة في هذه الصور الثلاثة غير متطابقة في شمول شروط الالتفات، ففي الأولى لا نرى عنصراً التفاتيا معدولاً عنه ، وفي الثانية نرى انتقالاً إلى الأسلوب نفسه في مقام يقتضي غيره، فهل يمكن عدّ ذلك من الالتفات ؟

لقد وقف حسن طبل عند هذه القضية مشيراً إلى أن صورة إظهار المضمر – فحسب– هي التي تعد من قبيل الالتفات، معللاً ذلك بأنّ المخالفة الالتفاتية لا تكون إلا بين عنصرين ماثلين في التعبير وهذا ما لا يتحقق إلا في صورة إظهار المضمر، أما وضع الضمير موضع الاسم الظاهر، وإظهار ما سبق إظهاره فإن المخالفة فيهما ليست لعنصر لغوي متجسد في الكلام، بل لقاعدة تقديرية في نظام اللغة، وهي أن الضمير لا يذكر إلا إذا كان له مرجع يعود عليه، وإذا ذكر الاسم الظاهر في سياق ما فلا داعٍ لتكرار إظهاره[4].

والحقيقة إننا لا نخالفه هذا الرأي، إلا أننا نرى أن ما ذهب إليه من أن المخالفة في كلتا الصورتين ليست بين عنصرين ماثلين في الكلام، لا ينطبق إلا على الصورة الأولى، وهي وضع الضمير موضع الاسم الظاهر، أما ما يخص صورة إظهار ما سبق إظهاره، فإن فيها عنصراً أول معدول عنه، وهو في قوله تعالى: ﴿بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ﴾[5]، الساعة الأولى، والعنصر الثاني الساعة الثانية.

ولعلنا نرى أن الذي يخرج هذه الصورة من باب الالتفات، هو أنها ليست انتقالا من أسلوب إلى غيره في مقام يقتضي الأسلوب الأول –كما نلحظ في أسلوب

(1) سورة الملك، آية 11.
(2) سورة الملك، آية 27.
(3) السيوطي، الإتقان، ج3، ص218؛ أبو موسى، خصائص التركيب، ص246.
(4) طبل، أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية، ص153.
(5) سورة القمر، آية46.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

الالتفات هو انتقالٌ من أسلوب إلى ذاته في مقـام يقتضـي غيـره ، إذ إن المعوّل عليه في الالتفات هو أن يكون انتقالاً من أسلوب إلى آخر، كالانتقـال مـن الماضي إلى المضارع، أو من الغيبة إلى الخطاب، أو أي انتقال يؤدي إلى اختلاف الطريقين في التعبير.

وفي ضوء ذلك نود أن نقتصر على الإظهار بعد الإضـمار، ونتوقـف إزاء بعض صوره في مشاهد القيامة ومنها قول الحق تبارك وتعـالى : ﴿يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَعَدَ اللّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[(1)] حيث تحول النسق ا لقرآني من التعبير عن المؤمنين و المؤمنات بالضمير المستتر (هم) في يأمرون، ينهون، يقيمون)، إلى التعبير عـنهم بالاسـم الظـاهر (المؤمنين و المؤمنات).

وفي نكتة هذا العدول قال أبو السعود :"هي زيادة التقرير، والإشعار بعليـة الإيمان لحصول ما تعلق به الوعد، وعدم التعرض لـذكر مـا مـر مـن الأمـر بالمعروف، وغير ذلك للإيذان بأنه وعد لكل واحد منهم"[(2)].

والحقيقة إن النفس لا تستريح للتعليلين اللذين أفصح عنهمـا أبـو السـعود، وخصوصـاً ما قال فيه: إن المخالفة للإيذان بأن الوعد شاملٌ لجميع المؤمنين، إ ذ من المحقق وجود العدالة الإلهية بين الم ؤمنين في جزائهم بوجـود هـذه المخالفـة أو عدمها.

وفي بيان غاية العدول نلحظ أن هاتين الآيتين اللتين جاءتـا لبيـان صـفات المؤمنين والمؤمنات وجزائهم -قد سبقتا بآيتين تبينان صفات المنافقين والمنافقـات، ووعده تعالى لهم بدخول النار، فيقول تعالى : ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللّهَ فَنَسِيَهُمْ وَعَدَ الله الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ

(1) سورة التوبة، الآيتان 71، 72.
(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج3، ص169.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

﴿جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾[1]، فنلحظ أن هاتين الآيتين تقابلان السابقتين، ففيهما وصف لأعمال المنافقين وجزائهم، وفي السابقتين وصف لأعمال المؤمنين وجزائهم أيضاً، إلاّ أن الاختلاف هو إضافة الكفّار إلى المنافقين والمنافقات، وعدم وجود أية إضافة في حال المؤمنين والمؤمنات، الأمر الذي يدفعنا إلى القول: إنه تم إظهار المؤمنين والمؤمنات في موضع الإضمار، لرفع التباس أن يكون معهم فئة أخرى، كما في حال المنافقين والمنافقات، ولو جاء السياق بطريق الإضمار لكان فيه إيهام قد يشعر بوجود فئة ثالثة في مقابلة حال المنافقين والمنافقات.

ومن هذه المواطن قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾*[2]. ففي الآية الكريمة عدول إلى إظهار (عبادي) في موضع الإضمار، وفي بيان نكتة هذا العدول نجد عند المفسرين رأيين:

الأول -الذي عليه معظم المفسرين- هو أن الظاهر وضع موضع الضمير دلالة على أن الموصوفين بالاجتناب والإنابة، هم نقادٌ في الدين يميزون الحق من الباطل ويؤثرون الأفضل فالأفضل، فإذا اعترضهم أمران واجب ومندوب اختاروا الواجب[3].

والرأي الثاني - الذي انفرد به الرازي - يقوم على أن المقصود من هذا العدول هو التنبيه على أن الذين اجتنبوا الطاغوت وأنابوا، هم الموصوفون بأنهم الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه[4].

---

(1) سورة التوبة، الآيتان 67، 68.

* الطاغوت: كل ما عُبد من دون الله، انظر: لسان العرب، ج2، ص596.

(2) سورة الزمر، الآيتان 17، 18.

(3) الزمخشري، الكشاف، ج 4، ص120؛ أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج 5، ص385؛ البيضاوي، أنوار التنزيل، ص609.

(4) الرازي، التفسير الكبير، ج25، ص260.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

PDF Complete
Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages

والذي نؤيده هو ما ذهب إليه جمهور المفسرين، حيث لا يخفى ما في السياق من إشعار بملكة التمييز عند هذه الفئة، ولا سيما بقوله : (فيتبعون أحسنه) الذي تظهر فيه صيغة التفضيل التي تدل على التمييز بين هذه الأقوال وإ تباع الأفضل، كما إن تذييل الآية بقوله : (أولئك هم أولوا الألباب) يبين أنهم أصحاب عقول وفكر في التمييز والتفضيل، لهذا وذاك يمكننا أن نؤيد الرأي القائل : إن إظهارهم إنما يدل على أنهم نقادٌ يميزون الحق من الباطل، ويفاضلون أيضاً بين القضايا الدينية، وقد أشار إلى ذلك تكرار تبشيرهم (فبشر العباد) بعد شمول البشرى لهم في قوله : (لهم البشرى)، لما في ذلك من إشعار بتفضلهم على غيرهم بتلك القدرة التمييزية، إضافة إلى ما توحي به الإشارة إليهم بـ (أولئك) من بعد منزلتهم بذلك الفضل، وبتلك القدرة، لذلك أظهرهم بلفظ (عباد) المضاف إلى ذاته تأكيداً للغاية نفسها.

ولعل سائلاً يسأل : ما العلاقة بين الإظهار والبيان السابق ؟ نقول له : إنّ إظهار الشيء يدل على أهميته وتميزه ببعض الأمور عن غيره ، فلما كان هؤلاء العباد منفردين عن غيرهم في التمييز بين الأمور الدينية واختيار أفضلها -كان هناك الداعي لإظهارهم.

ومن تلك المواطن قوله سبحانه : ﴿وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَاباً كَبِيراً وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءنَا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوّاً كَبِيراً﴾[(1)]*، فقد أظهر الله عز وجل (الذين لا يرجون) بعد إضمارهم في سوابق الآيات، وقد بين أبو السعود أن الغرض من هذا الإظهار هو التنبيه بما في حيز الصلة (الذين لا يرجون) على أن ما يحكى عنهم من الشناعة بحيث لا يصدر عمن يعتقد المصير إلى الله عز وجل[(2)].

والحقيقة إن النفس لا تستريح لهذا الرأي، ذلك إن عدم اعتقاد المصير إلى الله يدل على عدم توقعه، وليس على عدم رجائه كما في حيز الصلة -، إذ إن عدم

---

(1) سورة الفرقان، الآيات 19 -21.

*انظر شواهد أخرى، مريم، آية 38، الفرقان، آية 17، سبأ، الآيتان 33، 42، الزمر، آية 17، الملك، الآيتان 27، 11.

(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج5، ص3.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

توقع وقوع الشيء لا يعني عدم رجاء وقوعه، فعدم توقع وقوع أحد الأمرين يعني : "تنظُّر مجيء الآخر دونه"[1]، في حين إن عدم رجاء وقوع أحدهما يعني: الأمل في وقوع الآخر دونه [2]، والتنظر أقرب إلى التأكد من الأمل، وبالتالي فإن احتمالية الوقوع كاحتمالية عدمه في حال الترجي ، بل إن احتمال الوقوع أشد لوجود عدم الترجي له، وكأن هناك إحساساً بوقوعه لكن الأمل بعدم الوقوع ، وإذا سلمنا بذلك فإنه لايصح لنا القول : إن دافع قولهم هذا هو عدم التوقع، وإنما هو عدم الرجاء للاختلاف بينهما.

وتبقى غاية العدول متعلقة بفعل الرجاء المنفي (لا يرجون)، والذي يدل على وجود الأمل في عدم وقوع أمر ممكن وقوعه، فهم يرجون عدم وجود اللقاء ولا ينفون ذلك قطعاً، فيتوقعون الوجود كما يتوقعون عدمه ، وهذه فئة مختلفة عن غيرها من الكفار الذين لا يعتقدون بوجود اللقاء إطلاقاً، بتعاظم ذنبها وإجرامها إزاء الاستكبار على توقع اللقاء.

ولعل ذلك يوصلنا إلى القول : إنّ هذه الفئة من الكافرين الذين وصفتهم الآية التابعة للآية التي نحن بصددها بالمجرمين، لمّا كانت مختلفة عن غيرها من الفئات الكافرة الأخرى باستكبارها على أمر وجود اللقاء، أوثر إظهارُها في هذا السياق لبيان إجرامها في رجائها لعدم لقائه عز وجل، مع أنها متوقعة للّقاء كتوقعها لعدم اللقاء. وما يدل على إفرادها في ذلك إقسامه تعالى بجعل أفرادها من أصحاب الاستكبار والعتو الكبير في آخر الآية (لقد استكبروا في أنفسهم وعتواً عتواً كبيراً)، الدال على غاية قبح ما هم عليه، إضافة إلى ما يوحي به مقالهم بطلب نزول الملائكة أو رؤية الله تعالى (لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا) دليلاً على ذلك اللقاء من مفاوضة إلهية تشعر بغاية غلوهم واستكبارهم بما منَّتهم أنفسهم الخبيثة من أماني لا تكاد ترنو إليها أحداق الأمم؛ ولا تمتد إليها أعناق الهمم.

(1) ابن منظور، لسان العرب، ج3، ص968.
(2) المصدر السابق، ج1، ص1138.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

ومن مواطن هذا العدول أيضاً قوله سبحانه : ﴿فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِن بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾[1]، ففي وضع الاسم الظاهر (الظالمون) مكان الضمير مخالفة اختلف في تعليلها بعض المفسرين:

فيرى بعضهم أن ذلك إشعار بأنه لا ظلم أشد من ظلمهم[2].

ويرى الميداني أن العدول لأجل الإشعار بأن الكافرين يدخلون في عموم الظالمين[3].

وقبل الخوض في هذين الرأيين نود أن نبين أن هذه الآية مسوقة لبيان كيفية قدوم هؤلاء الظالمين الكاذبين، الذين كان منهم من قال : سيدنا عيسى هو ابن الله، وقالوا أيضاً إنه هو الله هبط إلى الأرض[4] -تعالى الله عما يقول الجاحدون علواً كبيراً- فعندما يقدمون إلى الله تعالى يكونون بكامل أسماعهم وأبصارهم مهطعين إليه.

ولعلنا نستبعد الرأي الأول من أن يكون توجيهاً لهذا العدول، ذلك إنه لا يصح لنا القول أن الكافرين يدخلون في عموم الظالمين، إذ إن الكفر صفة كما هو الظلم، وقد يكون الظالم كافراً وقد لا يكون، كما إنه قد يكون الكافر ظالماً وقد لا يكون، فالكفر لا يستلزم كون صاحبه ظالماً، وإذا سلمنا بذلك فإنه لا يصح لنا أن نذهب مذهب أصحاب هذا الرأي.

والرأي الثاني هو الذي نشعر بقربه إلى الصواب، ولكنه يحتاج لبعض التحديد ليدل على هذه المخالفة، فقوله : إن هذه المخالفة إشعار بأنه لا ظلم أشد من ظلمهم لم يتم فيه تحديد هذا الظلم، فقد يكون ظلمهم لأنفسهم، وقد يكون لغيرهم، وفيما نرى أنه ظلمهم لأنفسهم، ولكن كيف الوصول إلى ذلك؟

---

(1) سورة مريم، الآيتان 37، 38.

(2) الزمخشري، الكشاف، ج3، ص17؛ البيضاوي، أنوار التنزيل، ص406.

(3) الميداني، عبدالرحمن حسن، 1420هـ-2000م، معارج التفكر ودقائق التدبر، ط1، دار القلم، دمشق، سوريا، ج7، ص468.

(4) أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج4، ص240.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

لقد ذكر الله تعالى في هذه الآية أن سمعهم يكون شديداً، وكذلك بصرهم حين يأتونه لموقف الحساب وفصل القضاء (أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا)، واستدعى ذلك وصف حالهم المناقض لذلك في الحياة الدنيا، فجاء بيان هذا الوصف بعد الحرف (لكن) الذي يفرق بين الحالين، مبيناً أنهم لم يسمعوا في الحياة الدنيا دعوة الرسل، ولم يبصروا ذلك، فعندما كان سمعهم وبصرهم بأيديهم في الدنيا لم يستخدموهما، ولما كانا خارجين عن طاعتهما في الآخرة سمعوا وأبصروا إلى الله، فتغاضيهم عن السمع والإبصار في الدنيا كان ظلماً منهم لأنفسهم، لذلك تم العدول إلى إظهارهم بلفظ الظلم، لبيان أن غائلة الذنب تقع على صاحبه، وقد أشار إلى ذلك تبالغ سمعهم وأبصارهم، حتى وصلا إلى درجة حق عندها استخدامهم كأدوات للسمع والإبصار (أسمع بهم وأبصر)، وذلك لرغبتهم العارمة في إدراك ما يُدعون إليه إزاء تحققهم من ظلمهم الذاتي في الحياة الدنيا، والله أعلم بمراده.

3.1.2 الالتفات بين تذكير الضمير وتأنيثه:

ومن مواطن العدول عن تأنيث الضمير إلى تذكيره قول الحق تبارك وتعالى :
﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ لَآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ، فَمَالِؤُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ، فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ﴾(1). حيث أوثر تأنيث الضمير العائد على شجر الزقوم في (منها)، ثم عدل عن ذلك إلى تذكيره في (عليه)، وقد بين المفسرون في توجيه ذلك أنَّ تأنيث الضمير في "منها" وتذكيره في (عليه) على المعنى واللفظ(2).

والحقيقة إننا لا نوافق أصحاب هذا الرأي الذي تردد في كتب التفسير لـ سهولة تآلفه مع هذه الصورة ومثيلاتها الأخرى، والذي نراه في توجيه هذا العدول يتضح من خلال البيان التالي:

إن الذي يجب علينا أن نلحظه أن الذي يؤكل ويشرب عليه في هذه الآية هو ثمار شجر الزقوم، فهي ما تملأ منه البطون، وهي ما يشرب عليه من الحميم، لا

---

(1) سورة الواقعة، الآيات 51-54.

(2) الزمخشري، الكشاف، ج 4، ص463؛ أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج 6، ص191؛ البيضاوي، أنوار التنزيل، ص711.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

أغصانها، ولا أوراقها إذا كان لها أوراق -، أشار إلى ذلك جعل المأكول بعضاً من الشجر بسبق حرف التبعيض (من) حيث قال :لآكلون من شجر، ولم يقل : لآكلون شجر، ولو نظرنا إلى الآيتين سنجد أن الثمار في الآية الأولى هي أكثر من الثمار في الآية الثانية، فهي في قوله تعالى : (فمالئون منها البطون) من مجمل ثمار هذا الشجر، أما في قوله :(فشاربون عليه من الحميم) فهو على الثمار التي أصبحت في البطون فقط دون التي على الشجرة، وإذا أردنا إدخال الثمار في الآيتين -بهذا المعنى فسيكون التقدير في الأولى :(فمالئون من ثمارها البطون)، في حين إنه في الثانية:(فشاربون على ثمرها من الحميم)؛ لأن الثمر هنا أقل من الأولى، فنستخدم اسم الجنس (الثمر) الذي يدخل في معناه القليل والكثير مع القليل، وجمع الكثرة (الثمار) مع الكثير، الأمر الذي يتطلب استخدام التأنيث مع جمع الكثرة، والتذكير مع جمع القلة لمناسبة كل منهما للآخر، ولهذا تم العدول، والله أعلم.

4.1.2 الالتفات بين الأعداد:

إن التصرف في الأعداد من التحولات الشائعة في مشاهد يوم القيامة، من حيث التبادل بين الإفراد والجمع، ولكنه يقل بين التثنية والجمع، ويندر بين الإفراد والتثنية، إلاّ أنه من التحولات التي تتنوع دلالاتها وتختلف في تشييع دقائق الإشارات وخفايا المقاصد، لوفاء حاجات الكلام وتقديم الأسرار البيانية.

ومجالات هذا الالتفات كالآتي:

1.4.1.2 بين الإفراد والجمع:

من المواطن التي يتجلى فيها هذا الجانب في قول الحق تبارك وتعالى : ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴾[1]، فما الفرق بين الأكواب، والأباريق، والكأس؟ حيث ذكرت الأكواب والأباريق بلفظ الجمع، وذكر الكأس بلفظ الواحد، ولم يقل: كؤوس.

(1) سورة الواقعة، الآيتان 17، 18.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

لقد توقف كثير من المفسرين إزاء هذا العدول، فقيل في رأي : "هو على عادة العرب في الشرب، يكون عندهم أوان كثيرة فيها الخمر معدة موضوعة عندهم، وأما الكأس: فهو القدح الذي يشرب به الخمر إذا كان فيه الخمر، ولا يشرب واحد في زمان واحد إلا من كأس واحد، وأما أواني الخمر المملوءة منها في زمان واحد فتوجد كثيراً"[1]، وقيل في رأي آخر : إن السبب في ذلك أن الكأس نفسها تسمى خمراً"[2]، وقيل أيضاً في رأي ثالث : "إنما أفردت الكأس؛ لأنها لا تسمى كأساً إلا إذا كانت مملوءة"[3].

وفي رأي رابع لدارس محدث : "... حيث خالف ما يقتضي به المقام من تكثير الكؤوس، وحسن تناسب المعطوفات في صيغة الجمع، مكتفياً بدلالة المفرد على الجنس، ومعرفة القرائن مؤثراً حسن المفرد وخفته..."[4].

والحقيقة إن هذه الآراء جميعها لا تقدم تفسيراً لسر العدول بقدر ما تثير التساؤل حوله من جديد، فعندما ننظر إلى الرأيين الثاني والثالث، فإننا لا نجد فيهما إلاّ ربطاً لدلالة الكأس في الآية بالشراب، لتكرار تعلقها به، دون تعليل ذلك إزاء العدول، كما إن القول في الرأي الثاني :- إن الكأس تسمى خمراً لا يجوز، وإنما - إذا أخذنا به - الخمر هي التي تسمى كأساً؛ لأنها التي أشير بلفظها إلى غير دلالتها لا الخمر، وأما الأول فإننا نرى فيه أقوالاً كثيرة تكاد تفنده، فهذه الكأس الواحدة التي شرب بها واحد في الزمن الواحد، هي أيضاً مسكوبة من إناء واحد، وليس من أكثر من إناء، كما إن تعدد الأواني غير مختص بالشارب ذاته، وإنما هي موضوعة لأكثر من واحد، والآية الكريمة تبين أن الذين يشربون كثيرون، والكأس واحدة -

(1) الرازي، التفسير الكبير، ج29، ص150.

(2) النسفي، أبو البركات عبدالله بن أحمد (ت710هـ-1310م)، 1416هـ-1996م، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، تحقيق مروان محمد الشعار، ط1، دار النفائس، بيروت، لبنان، ج4، ص319؛ الميداني، معارج التفكر، ج8، ص449.

(3) أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج6، ص188.

(4) الخضري، محمد الأمين، 1413هـ-1993م، الإعجاز البياني في صيغ الألفاظ/ دراسة تحليلية للإفراد والجمع في القرآن، ط1، مطبعة الحسين الإسلامية، القاهرة، مصر، ص85.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

بغض النظر عن دلالتها -، أما الأواني الأخرى فمتعددة، وأما الرابع فلا نلحظ فيه إلا بياناً لجمالية هذا العدول، وليس بياناً للسر الذي يفسر العدول.

ولاستكناه سر هذا العدول لا بد أن نعلم دلالة الكأس في الآية، هل هي الزجاجة؟ أم المشروب الذي يوجد فيها؟ لعلنا نلاحظ أن الكأس مأخوذة باعتبار ما فيها، وتدل في هذه الآية وفي غيرها على المشروب، لا على الكأس ذاتها، وتأكدت لدينا هذه الرؤية من قوله تعالى : ﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْساً كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلاً﴾(1) فغير خاف ما تبين هذه الآية من أن ما في الكأس هو المشروب وليس الزجاجة، فلو دلّت على الزجاجة فسيختلف السياق دالاً على شرب ما فيها وليس هي، إضافة إلى اتباعه الكأس في الآية التي نحن بصددها بـ (من معين)، أي:من العيون الجارية (2)، والزجاجة لا تجري وإنما الخمر الذي يوجد فيها.

وقد جرت العادة عند العرب أيضاً على اعتبار الكأس هي المشروب عندما تكون مملوءة به، فيقال: شربت الكأس، ويقصد الشراب.

أما بالنسبة للأكواب والأباريق فلم نعلم ارتباطها بمشروب معين أو حتى بالخمر على حد احتياجنا، فبذلك نصل إلى أن الكأس إناءٌ فيه شراب، يدخل في مفهومه المشروب، أما الأكواب والأباريق فهي آنية لا يشترط في مفهومها أن يكون فيها المشروب، فإذا ثبت هذا فإنا نجد ما يسوِّغ إفراد الكأس من جانبين:

أولهما: عندما ارتبطت الكأس بالمشروب، وكان المشروب يتصف بصفات واحدة لجميع أهل الجنة، فهو كما وضحته الآية اللاحقة لا يصدع شاربه، ولا يذهب عقله، فضلاً عن مذاقه الجميل ورائحته ﴿ لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ﴾(3) أفرد الكأس دون الأباريق والأكواب، موازاة لتوحد ما يدل عليه وهو (المشروب ذو الصفات الموحّدة).

ثانيهما: لما علمنا أن الاعتبار لما في هذا الإناء، وليس للإناء، والذي فيه المشروب، وهو موحد (من نوع واحد) وبما أنه من نوع واحد لا يجمع فلا يصح

(1) سورة الإنسان، آية 17.
(2) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، مجلد9، ج17، ص203.
(3) سورة الواقعة، آية 19.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

أن نقول: شراريب إلا إذا تعددت الأنواع، كذلك إننا لا نقول : (لحوم) لكمية منها من النوع نفسه إلاّ إذا تعددت الأنواع، نقول : إنه لمّا علمنا ذلك كان الانتقال عند لفظ الكأس إلى الإفراد؛ لأن ما تدل عليه لا يجمع، والله هو الأعلم بأسرار كلامه.

وقد تأكدت لدينا هذه الرؤية بعدم ورود الكأس بصيغة الجمع في القرآن الكريم عندما يأتي في السياق الدال على الخمر، الأمر الذي يدل على توحد دلالته، فقال تعالى: ﴿وَكَأْسًا دِهَاقًا﴾[1]، وكذلك قوله: ﴿يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ﴾[2].

والمواطن التي تقدم بعض خواص حواس الإنسان قوله سبحانه : ﴿شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[3]، فقد جاءت لفظة (سمعهم) مفردة، ثم عدل عنها إلى الجمع في مفردتي (أبصارهم وجلودهم).

والحقيقة إن هذه الصورة مما تتكرر في مشاهد القيامة خاصة، وفي القرآن الكريم عامة، فقد جاء في آية تابعة لهذه الآية قوله سبحانه : ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ﴾[4]، وفي آية أخرى قال تعالى: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[5].

وقد لفتت هذه الظاهرة أنظار كثير من المفسرين، فمنهم من فسر كل صورة على حدة، ومنهم من تحدث عنها كظاهرة، فعالج بعض المفسرين إحدى هذه الصور مشيرين إلى عدد من الغايات المختلفة دون تغليب أحدها على الأخريات، ففي رأي الزمخشري أن ذلك يفعل؛ لأنه أمن اللبس في دلالة إفراد السمع على الجمع؛ أو لكون السمع مصدراً والمصادر لا تجمع، أو على أن يقدر مضافاً محذوفاً، أي : وعلى حواس سمعهم[6]، ووافقه الرازي في ذلك مضيفاً احتمالاً رابعاً مؤداه أن

---

(1) سورة النبأ، آية 34.
(2) سورة الطور، آية 23.
(3) سورة فصلت، آية 20.
(4) سورة فصلت، آية 22.
(5) سورة البقرة، آية 7.
(6) الزمخشري، الكشاف، ج1، ص52، 53.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

السبق وأتبع بلفظ الجمع، فكان ذلك مشيراً إلى دلالته على الجمع [1]، وفي رأي البقاعي (ت885هـ-1451م) أن ذلك لعدم تفاوت السمع [2]، وقد بين محمد متولي الشعراوي في تفسيره لظاهرة إفراد السمع وجمع الأبصار في القرآن الكريم "أن الأبصار متعددة، فأنا أرى هذا، وأنت ترى هذا، وثالث يرى هذا، إلى آخر تعدد الأبصار، وإنسان يغمض عينيه فلا يرى شيئاً، ولكن بالنسبة للسمع فنحن جميعاً ما دمنا جالسين في مكان واحد نسمع الشيء نفسه، ومن هنا اختلف البصر وتوحد السمع" [3].

والواقع إنا لا نطمئن لمثل هذه الآراء التي تكررت متفرعة إلى عدد من الآراء الأخر دون تغليب أحدها على الأخريات، فلا يصح لنا أن نعد إفراد الجمع إذا أمن اللبس غاية للعدول عما أُمن اللبس فيه إذا أُفرد في موطن الجمع، إذ إنه لا لبس في دلالة البصر على الجمع فيما لو أفرد في الآية، وكذلك القلب والجلد، كما إن تسويغ العدول بتقدير المضاف المحذوف ليس مقتصراً على السمع، حيث يصح تقديره في حال الأبصار، والقلوب، والجلود فيما لو سيقت مفردة، فيقال: حواس البصر، وحواس...، إضافة لعدم اختصاص السمع بدلالة الجمع قبله وبعده على الجمع فيه، فذلك يدل أيضاً على الجمع في البصر فيما لو أفرد بين جمعين، وكذلك القلوب والجلود، كما إن ما أشار إليه البقاعي لم يتم فيه بيان نوع ذلك التفاوت وعدمه في الأبصار، والقلوب، والجلود، وباختصار فإن معظم الآراء السابقة لا تعدو أن تكون محاولات لتبرير إفراد السمع في الآية، عن طريق الكشف عما يسوّغه في قواعد النحو أو الصرف، أما ما أشار إليه الشعراوي، فينحو بدلالته التفصيلية عن الغاية الملائمة من جانب أن تعدد الأبصار الذي نراه في هذا الرأي هو تعدد في الأبصار ذاتها، وفي الشيء المبصر (المُدرَك)، وهذا شيء تقتضيه

---

(1) الرازي، التفسير الكبير، ج2، ص53.

(2) البقاعي، أبو الحسن إبراهيم بن عمر (ت885هـ-1451م)، 1415هـ-1995م، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، خرّج آياته ووضع حواشيه عبدالرزاق غالب مهدي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،، ج1، ص39.

(3) الشعراوي، محمد متولي، (د.ت)، من فيض الرحمن في معجزة القرآن، مطابع أخبار اليوم التجارية، ص117.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

الطبيعة، إذ إنه لا شك في تعدد الرؤى أو المدركات إذا تعدد المدركون، ومن جانب آخر فإنه إذا تعدد السامعون فقد يتعدد الشيء المسموع، فإذا كثرت الأصوات في مجلس ما فإن كل فرد سيسمع ما يهمه ويرغبه خاصة إذا كان ذلك قريباً منه، بدليل إن الإنسان إذا وُجِّهَ إليه صوتان في آن واحد، فإنه يستطيع أن يميز أحدهما ويدركه وإن كان ضعيفاً -ويستبعد الآخر عن إدراكه، ثم إن الذي يكون مغمضاً عينيه لا يكون أصلاً من المبصرين حتى نطلقه مثالاً لتعدد الأبصار.

والذي نطمئن إليه في تفسير هذا العدول هو ما نلحظه عندما نربط حواس السمع والبصر واللمس - الذي هو مرتبط بالجلد - بقدر مدركات كل منها، ونعني بذلك الكم المدرك الذي تستطيع الحاسة إدراكه في وقت واحد، فلو بدأنا بحاسة البصر نجد أن الإنسان يستطيع أن يرى أكثر من شيء مدرك في آن واحد، فعندما ينظر من النافذة مثلاً يشاهد الشجرة، والسيارة، والحيوان، وغيرها في نظرة واحدة، وفي زمن واحد، وكذلك الأمر بالنسبة للمس، فيستطيع أن يميز الملمس الخشن والناعم في حين واحد، وأيضاً يستطيع أن يدرك كل ما سبق (اللمس، والنظر، والسمع)في آن واحد، ولكن هل يستطيع أن يسمع أكثر من صوت في آن واحد ويميزها ويعرف ما قيل له؟ الحقيقة لا يمكن أن يكون ذلك.

فنصل بذلك إلى أن مدركات البصر متعددة، وكذلك الجلد (اللمس) أما السمع فمدركاته موحدة، ولعل توحيد مدركاته اقتضى إفراده وجمع الأبصار والجلود لتعدد مدركاتهما، والله أعلم.

ومن مواطن الالتفات من الإفراد إلى الجمع قوله سبحانه: ﴿مَا أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾(1)* فقد أفرد العضد في مقام

(1) سورة الكهف، آية 51.

*انظر شواهد أخرى، الأعراف، الآيتان 35، 36 هود، آية 18 الإسراء، آية 71 الكهف، آية 52، طه، الآيات75، 124، 125، 126 المؤمنون، آية 99 الشعراء، الآيتان 100، 101، النمل، الآيتان83، 84، يس، آية54، غافر، آية40، فصلت، آية20، الشورى، آية14، ق، الآيات29، 33، 34.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

الجمع، فالسياق يقتضي (أعضادا)، وقد نقل الألوسي في توجيه ذلك، "وإنما لم يجمع؛ لأن الجميع في حكم الواحد في عدم الصلاحية للاعتضاد"[(1)].

وذهب أحدُ الدارسين المحدثين إلى أن هذا الإفراد في مقام الجمع تهوينٌ من شأن هؤلاء المضلين الذين عبدهم الناس من دون الله، وهم مخلوقون ضعفاء، وهم أقل شأنا وأحقر حالاً وأهون على الله من أن يكونوا جميعاً بمثابة معين واحد[(2)].

والواقع إن هذين الرأيين لا يختلفان، وإنما يتآزران في توجيه ذلك العدول، إذ إن كل منهما يدور حول غاية تهوين هؤلاء المضلين وتحقيرهم، إزاء تعديهم باتخاذ أعضاداً غيره تعالى، من خلال دلالة عدم الجمع على كون تلك الفئة في حكم الواحد في عدم صلاحية الاعتضاد، ولا يخفى ما توحي به الآية السابقة إلى جانب هذه الآية من إيذان بكمال السخط، وإشارة إلى قبائح عمل الضالين في اتخاذ المضلين أولياء بدلاً من الله تعالى: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ، مَا أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ . . ﴾[(3)]، فقد صدّرت الآية الكريمة بذلك الاستفهام الإنكاري التعجبي من اتخاذهم الشيطان وأعوانه أولياء من دونه تعالى، ثم كان إظهار وصف هذه الفئة (الظالمين) في موضع إضمارها ذمّا لهم، وتسجيلاً عليهم بالظلم المناسب لغاية تحقيرهم وتهوينهم، وقد آزر ذلك إظهارهم بصفة الإضلال في موضع الإضمار في (وما كنت متخذ المضلين عضداً)، الأمر الذي يضاعف إظهار هوانهم وقباحة أعمالهم، ولذلك تم إيثار نفي الإشهاد على نفي الشهود، ونفي اتخاذهم أعواناً على نفي كونهم كذلك، حيث إنَّ في ذلك إشعار بأنهم مقهورون تحت قدرته تعالى، تابعون لمشيئته وإرادته فيهم، وأنهم بمعزل عن استحقاق الشهود والمعونة من تلقاء أنفسهم من غير إحضار ولا اتخاذ، الأمر الذي حسن معه الإفراد في مقام الجمع، مبالغة في تهوين تلك الفئة وتحقيرها.

ويقدم هذا العدول غاية أخرى، تتمثل في اطراد الإيقاع الموسيقي بين فواصل الآيات السابقة عليها واللاحقة بها في السورة (أحدا، بدلا، جدلا).

(1) الألوسي، روح المعاني، مجلد6، ج8، ص279.
(2) الخضري، الإعجاز البياني في صيغ الألفاظ، ص63.
(3) سورة الكهف، الآيتان 50، 51.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

ويؤدي الالتفات في هذا المجال وظيفة تعظيم الله عز وجل وتفخيم مقامه، ومنه قوله سبحانه: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ﴾[1]، فقد ابتدأ السياق بالإفراد في (رب)، ثم تحول إلى الجمع في (ارجعون).

وقد أجمع معظم المفسرين في بيان هذا العدول على أن خطاب الله تعالى لفظ الجمع للتعظيم كالقول : فإن شئت حرمت النساء سواكم، ومثله: ألا فارحموني يا إله محمد[2].

فذلك مقال الكافرين عند احتضارهم بعد طول إعراضهم، وإنكارهم البعث، وادعائهم باتخاذ الله ولداً كما وضحت سوابق الآيات -، فيقول تعالى: ﴿ قَالُوا أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَذَا مِن قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾[3]، وكذلك قوله تعالى: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ ﴾[4]، فلما كان الموت كانت الحاجة إلى طلب الاعتذار، ومحاولة العودة إلى الحياة الدنيا بكل ما توصل إليه المقدرة، الأمر الذي كان داعياً بعد إيقانهم بوجود الموت والبعث إلى تعظيمه ومهابته تعالى بكل ما يتأتى لديهم من أساليب الإجلال، والتفخيم بعد معاينة صدق الموعود، فكان الجمع أثناء خطابه تعالى من مقتضيات ذلك المقام الذي يتوجب فيه تهذيب المقال، لإظهار كمال إجلال المخاطب، ومثل ذلك الجمع المساق في مقام التعظيم ما يتكرر في أساليب العرب أثناء خطاب من يظهر إزاءهم من آثار الهيبة والسياسة ما لا يظهر إزاء غيرهم؛ فإذا كان الحال كذلك بين البشر، فكيف سيكون عند خطابه تعالى؟ وقد أشار إلى تلك الغاية إسقاط ياء المتكلم المضافة إلى لفظ الجلالة (الرب)، وكذلك المسندة إلى فعل الإرجاع (ارجعون)، لما في ذلك من إسقاط للمتكلم وتهوين لشأنه في مقام تعظيم المخاطب.

---

(1) سورة المؤمنون، الآية 99.

(2) الزمخشري، الكشاف، ج3، ص202؛ النسفي، مدارك التنزيل، ج3، ص190؛ البيضاوي، أنوار التنزيل، ص460.

(3) سورة المؤمنون، الآيتان 82، 83.

(4) سورة المؤمنون، آية 91.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

2.4.1.2 بين التثنية والجمع:

من المواطن التي تحقق فيها العدول عن التثنية إلى الجمع قوله سبحانه : ﴿قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَكِن كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ، قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِالْوَعِيدِ﴾[1]، فقد تم العدول إلى الجمع أثناء نهيه تعالى الكافر وقرينه المضل له عن الاختصام (لا تختصموا)، الذي يحاول من خلاله كل منهما التماس العذر لنفسه، لتخفيف عذابه، وإيقاعه بصاحبه، وكما نلحظ فإن ذلك مثالاً مسوقاً على تكرار الاختصام مع جميع الكافرين ومضليهم، الأمر الذي ناسب الانتقال إلى الجمع أثناء خطابهم بنهي الاختصام، لما في ذلك من بيان لشموله في موقف الحساب جميع الكافرين ومضليهم، هذا من جانب، ومن جانب آخر، فإن ذلك لبيان أن النهي مقول منه تعالى قولاً واحداً في خطابهم جميعاً دون تكراره إزاء كل ضال ومضل، وقد أشار إلى ذلك جعل ذلك الاختصام في حال سبق تقديم الوعيد الشامل لجميع الكافرين، و جعل ذلك الوعيد بجملة مستتبعة لجملة نهيهم عن الاختصام(وقد قدمت إليكم بالوعيد)، الأمر الذي يدل على تأكيد شمول ذلك في إزاء العلم بشمول تأكيد الوعيد، الذي لا يزجى لكل ضال على حدة، إضافة لما سبق هذه الآية من أمره تعالى بإلقاء جميع الكافرين في جهنم، فيقول تعالى : ﴿أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ﴾[2]، الأمر الذي يدل على ذات الشمول.

ومن مواطن العدول عن التثنية إلى الجمع قوله سبحانه : ﴿قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾[3]، حيث وردت لفظة التأكيد بصيغة الجمع (جميعاً) عدولاً عن التثنية التي تناسب السياق.

وهذا مما اجتمعت حوله آراء المفسرين، وكانت تدور حول بيان أن هذا الجمع موجه لسيدنا آدم وحواء لكونهما أصل الذرية ومنشأ الأولاد؛ فلذلك خوطبا بلفظ الجمع هما وذريتهما[4].

---

(1) سورة ق، الآيتان27، 28.
(2) سورة ق، آية 24.
(3) سورة طه، آية 123.
(4) أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج4، ص315؛ الميداني، معارج التفكر، ج8، ص355.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

والحقيقة إننا نسير في موكب أصحاب هذا الرأي إلا أنا نود أن نشير إلى أن هذا العدول إلى الجمع جاء بلفظ الخطاب، وذريّة آدم وحواء لم يكن ما يوجد منها أثناء الخطاب، فالمقصود خطابهما وذريتهما التي في صلبيهما، وليس الذرية الناضجة كما قد يُفهم ما جاء في التفاسير، فناسب الجمع خطاب آدم وزوجه وذريتهما جمعاء.

ولا يخفى ما في السياق المشير إلى ما يصح أن يعد نقطة البداية لمسيرة الحياة، من حاجة إلى خطاب البشرية جمعاء، بما سيأتي من أمور متعلقة بمصير جميع العباد، من إرسال الرسل، وبيان إتباعهم، والحساب، والحشر، وغيرها من الأمور التي وضحتها الآية التابعة لهذه الآية، فيقول تعالى: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ، وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾[1]، وقد أشار إلى ذلك ما ذُيّلت به الآية التي نحن بصددها (بعضكم لبعض عدو)، فذلك التعادي في أمور الحياة يقصد به البشرية جمعاء وليس سيدنا آدم -عليه السلام - وحواء فقط.

ومن مواطن هذا العدول أيضاً قوله سبحانه: ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ﴾[2]*، فقد أسند فعل الاختصام إلى ضمير الجماعة في (اختصموا) عدولاً عن ضمير التثنية في (هذان خصمان) الذي يقتضيه السياق، وقد اتَّفق المفسرون في موقفهم إزاء هذا العدول مبينين أن الخصم صفة وصف بها الفوج أو الفريق، فكأنه قيل: هذان فوجان أو فريقان يختصمان، فقوله: (هذان) للفظ، و(اختصموا) للمعنى[3].

(1) سورة طه، الآيتان 123، 124.

(2) سورة الحج، آية 19.

* انظر شواهد أخرى، السجدة، آية19، ق، الآيتان27، 28، الرحمن، الآيتان68، 70.

(3) الزمخشري، الكشاف، ج 3، ص149، 150؛ الرازي، التفسير الكبير، ج 23، ص21؛ أبو حيان، محمد بن يوسف الأندلسي (ت745هـ-1344م)، 1422هـ-2001م، البحر المحيط، دراسة وتحقيق وتعليق عادل أحمد عبدالموجود وآخرين، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، مجلد 6، ص334؛ أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج4، ص375؛ النسفي، مدارك التنزيل، ج3، ص147؛ البيضاوي، أنوار التنزيل، ص443.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

PDF Complete
Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages

وسار حسن طبل في وجهة أخرى تبين أن الخصمين ا لمشار إليهما في الآية الكريمة هما في الأصل تلك الفرق المتعددة التي حدّدتها الآية السابقة ع لى هذه الآية؛ وهي قوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾[1]. وأشار بذلك إلى أن التثنية في (هذان خصمان) للدلالة على أن تلك الفرق التي فصّلتها الآية السابقة ستستحيل يوم القيامة إلى فريقين مؤمنين وكافرين، ويدل الجمع على الفريقين ذاتهما عندما كا نا في السابق في طوائف وأديان (الذين هادوا والصابئين والنصارى ...)، واستدل على ذلك باستخدام صيغة الماضي أثناء الجمع في (اختصموا) التي تدل على الاختصام السابق بين هذه الطوائف[2].

ولعلنا نلحظ أن ما ذه ب إليه جمع المفسرين فيه جانب من القول، حيث إن التثنية تدل على المُخْتَصِمين سواءٌ أكانا مفردين أو جمعين، فأنت تقول عن الفردين المختصمين: (اختصما)وتقول عن الفوجين المختصمين : (اختصما)، ثم تضيف بعد ذلك ما يبين نوع المختصمين (فردين أو جمعين)، كما إن كون طبيعة المختصمين فوجين ظاهر ولا حاجة لذلك العدول لتبيينه، ولو أ حتيج لبيانه لكان الاقتصار على التثنية أولى بتأديته على اعتبار أن المختصمين فوجان - من الجمع الذي شأنه أن يدل على تعدد الأفواج، فبالنظر إلى ما ذيلت به هذه الآية وما جاء بعدها نلحظ بياناً لهذين الفوجين، فيقول عز وجل : ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ﴾[3]، وكذلك يقول تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾[4]، إذ هما فئة المؤمنين وفئة الكافرين. وإذا سلمنا بذلك فلا بد أن نؤيد ما أشار إليه حسن طبل، من جنب دلالة الإشارة -والحديث حول خطاب الناس يوم القيامة - في(هذان خصمان) على الاحتضار الآني لهذين الخصمين الذي يعضد وقوفهم في ذلك اليوم في فئتين فقط، لعدم وجود فئة ثالثة، في

([1]) سورة الحج، آية 17.
([2]) طبل، أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية، ص125.
([3]) سورة الحج، آية 19.
([4]) سورة الحج، آية 23.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

مقابل ما تشير إليه الغيبة مع الجمع في (اختصموا) من دلالة على اختصامهم السابق عندما كانوا في طوائف وأديان.

5.1.2 الالتفات بين الصيغ:

لقد شاع الالتفات بين بعض جوا نب هذا المجال في آيات يـوم القيامـة، ولا سيما بين نوعي الفعل : الماضي والمضارع، وبين الفعل المبنـي للمعلـوم والفعـل المبني للمجهول، وورد الانتقال بين صيغ الأسماء على الندرة، ولعل مردَّ ذلك إلـى طبيعة ما تحمل هذه الآيات من قدرٍ حديثٍ يحيط الإنسان معرفة بفنون أفزاع ذلـك اليوم وعرصاته، إضافة لما تعجّ به من أساليب الإرشاد والتوجيه والنهي التي تغلب على إيرادها صيغ الأفعال، وفيما يلي توقف لدى ما يصور هذه التحولات في آيات القيامة، واستجلاء لخفايا دلالاتها:

1.5.1.2 بين صيغ الأفعال:

1.1.5.1.2 بين المضارع والماضي:

فمن طليعهوالتي تصور ذلك الالتفات ما جاء في قول الحق سبحانه : ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ﴾[1].

فقد ابتدأت هذه الآية الكريمة باستخدام الفعل المضارع (يقدم)، ثم تحولت إلى الفعل الماضي (أورد)، وقد أجمع معظم المفسرين في توجيه هذه المخالفة علـى أن ذلك للدلالة على تحقق وقوع فعل الورود دون شك[2]، وقال أحد الدارسين المحدثين: "ويعبر بذلك عن المستقبل بلفظ الماضي، لوضوح الأمر، وارتفاع الإشكال فيه"[3].

والواقع إن هذه الآراء تدور حول رفع الشك في ورود قوم فرعـون النـا ر، وإنه أمر كائن لا محالة، ولا اعتراض على تأكيد دخولهم النار، إلا أن الوقوف على

([1]) سورة هود، آية 98.

([2])الزمخشري، الكشاف، ج 2، ص426؛الرازي، التفسير الكبير، ج 18، ص54؛ أبو حيان، البحـر المحـيط، مجلد5، ص258؛ أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج3، ص349؛ البيضاوي، أنوار التنزيل، ص305.

([3]) علوان، من بلاغة القرآن، ص100.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ذلك أمر لا نوافق عليه، حيث إنه لا بد من بيان القيمة لتلك الغاية في ثنايا السياق، وبيان سبب التأكيد في حال قوم فرعون دون الأقوام الأخرى.

تبين الآيات السابقة لهذه الآية هلاك الأق وام المتقدمة (قوم إبراهيم، ولوط، و شعيب) وما أعد لها من جزاء أخروي إزاء عنادهم وتكذيبهم الرسل، لكن دون أن نلحظ في حالها ذلك العدول الذي ينبئ عن غاية تأكيد العذاب، الأمر الذي يومئ باختصاص قوم فرعون بأمر احتاج ذلك التأكيد، ولربما أنه مختص بشدة عنادهم واستكبارهم على الرسول –عليه السلام- مقارنة مع الأقوام الأخرى، إذ لم تزدهم معاينة عذاب الأقوام السابقة إلا عتواً ونفوراً، أشار إلى ذلك ترتيب اتباعهم أمر فرعون بعد إرسال الرسول وليس بعد دعوته لهم، فيقول عز وجل: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ﴾[1]، الأمر الذي يدل على تبالغ عنادهم بتجاوز ما جاء به الرسول، واتباع أمر فرعون فور قدوم الرسول وقبل قيامه بدعوتهم، مما يشير إلى أن كفرهم أمر محقق غير محتاج إلى الذكر صريحاً، فالأصل أن يقال : ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين إلى فرعون وملئه، فدعاهم إلى الله، فأعرضوا، واتبعوا أمر فرعون، وإنما أنزل الاتباع منزلة الدعوة إشعاراً باستباقهم لرفضه، وذلك تأكيداً لتجاوز استكبارهم حدود المعقول، فكان ذلك الغلو في الاستكبار داعياً لتأكيد ورودهم النار بصيغة الماضي في ذلك الموطن الذي يدل فيه المعنى على الاستقبال، لما فيه من إنزال للحدوث المؤجل منزلة الحدوث الآني، الأمر الذي يدل على مضاعفة تأكيد ما سيحدث حتى وصل إلى درجة تزامن فيها مع ما حدث، وقد أشار إلى ذلك تمثيل فرعون وقومه عند دخولهم النار بالقائد الذي يتقدم الواردة إلى الماء، فلا راد لها لشدة العطش.

وقد تأكدت لدينا هذه الرؤية بقوله تعالى -في الآية اللاحقة للآية التي نحن بصددها-:(واتبعوا في هذه لعنة ...)، الأمر الذي يدل من خلال الإشارة إلى الحياة الدنيا بـ(هذه) على أن الحديث السابق هو ما يدور باطنه حول الحياة الدنيا وليس

(1) سورة هود، الآيتان 96، 97.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

الآخرة، وما يزال فيها، إضافة لما في اتباعهم اللعنة المستمرة من تأكيد لاستكبارهم الذي حسن إزاءه توجيه تلك اللعنة.

ومن مواطن هذا الالتفات أيضاً قوله سبحانه : ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ﴾[1]، ففي هذه الآية عدول عن صيغة المضارع (ينفخ) إلى صيغة الماضي (فزع).

وقد توقف كثير من المفسرين والبلاغيين عند هذا العدول مجمعين على رأي واحد، وهو أن هذا العدول إشعارٌ بصحة وقوع الفزع وأنه كائن لا محالة[2].

ولعلّنا لا نميل لهذا الرأي الذي تردد في كتب التفسير والبلاغة إزاء هذه الصورة وغيرها من الصور، من غير نظر في أسرار كل صورة وخفاياها على حدة، ولا اعتراض على دلالة الفعل الماضي على تأكيد وقوع الفعل في مثل هذه الصور وغيرها، إلا أننا نرى أن هناك من الأسرار التي يحققها العدول إلى الفعل الماضي ما غاب عن أذهان البلاغيين والمفسرين.

فعند النظر إلى دلالة الفعلين اللذين تم الانتقال بين صيغتيهما نجد أن النفخ : عبارة عن خروج ريح يَنتج عنه صوت يستمر لمدة معينة[3]، وأن الفزع : عبارة عن الخوف السريع[4] المفاجئ الذي يحدث كنتيجة مباشرة للنفخ، فالفزع يبدأ أثناء وجود الامتداد للنفخ، أي يحدث تالياً لبدء النفخ، وقبل انتهائه بفترة . فتخيل نفسك لو نفخت بمزمار أو ببوق مزعج بشكل مفاجئ بالقرب من أخيك، فإنه سيفزع فور بدايتك بالنفخ وقبل انتهائك من الا نفس المسبب له، بل إن الزمن قليل جداً بين بداية النفخ

---

(1) سورة النمل، الآية 87.

(2) الرازي، التفسير الكبير، ج 23، ص220؛ ابن الأثير، المثل السائر، ج 2، ص637؛ أبو حيان، البحر المحيط، مجلد7، ص93؛ العلوي، الطراز، ج 2، ص40؛ أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج 5، ص105؛ البيضاوي، أنوار التنزيل، ص 509؛ عرفة، عبدالعزيز عبدالمعطي (1405هـ - 1984م)، من بلاغة النظم العربي/ دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني، ط 2، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ج 1، ص210؛ أبو موسى، خصائص التراكيب، ص266.

(3) ابن منظور، لسان العرب، ج3، ص685.

(4) المصدر السابق، ج2، ص1093.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

والفزع، وهو أكبر بين بداية الفزع ونهاية النفخ، فكأن الفزع يكون أقرب إلى مجاراة النفخ في الحدوث.

وما نريد قوله : لما كان الفزع يبتدئ أثناء النفخ تم التعبير عنه بصيغة الماضي بعد التعبير عن النفخ بالمضارع، لـ لدلالة على امتداد نفخة الفزع لمدة زمنية يحدث أثنائها ذلك الفزع الشبيه بالصعقة الكهربائية، التي تتقارب زمنياً مع التماس المسبب لها، وقد أشار إلى ذلك عدم جريان ذلك العدول أثناء نفخة الصعق (الموت) في قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ﴾[1] الأمر الذي يدل على قصر نفخة الصعق مقارنة مع نفخة البعث، لعدم شهود الإنسان لها إلا في اللحظات القليلة المرافقة لموته، ولم يتم ذلك العدول أيضاً أثناء النفخة الدالة على قدوم الناس للحشر، فيقول تعالى : ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾[2]؛ وذلك لأنهما بمثابة المنبه للجمع الذي لا يحتاج إزاءه ذلك النفخ الطويل المناسب في مقام الفزع.

ومن مواطن هذا الالتفات قوله سبحانه : ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾[3]، فقد جرى النسق في هذه الآية بالتعبير عن أهوال السماء والأرض بصيغة المضارع (نسيّر، ترى)، ثم تم التحول عنها إلى صيغة الماضي عند الحديث عن الحشر في (حشرناهم)قال الزمخشري في توجيه هذا العدول : ذلك للدلالة على أن حشرهم قبل التسيير والبروز "[4]، وأشار كثير من المفسرين والبلاغيين في بيان ذلك إلى أن الغاية هي تحقّق الحشر المتفرع على البعث الذي ينكره المنكرون[5].

---

(1) سورة الزمر، آية 68.
(2) سورة النبأ، آية 18.
(3) سورة الكهف، آية 47.
(4) الزمخشري، الكشاف، ج2، ص726.
(5) أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج4، ص194؛ البيضاوي، أنوار التنزيل، ص394؛ عرفة، من بلاغة النظم العربي، ج 1، ص211؛ عتيق، عبدالعزيز، (1405هـ-1985م)، علم البديع، دار النهضة العربية، لبنان، بيروت، ص155؛ أبو موسى، خصائص التراكيب، ص266.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

ولعلّنا لا نميل لهذه الآراء في تفسير هذا العدول، والتي لا تفسره بقدر ما تثير التساؤل حوله من جديد، فلو أخذنا رأي الزمخشري نجد أنه يضع -في بيانه هذا- الحشر قبل تسيير الجبال، وبروز الأرض؛ أي إنه يتم جمع الناس أولاً في ساحة الحشر التي يتم فيها الفصل بين الناس، ثم يأتي بعد ذلك تسيير الجبال وبروز الأرض، ونحن لا نحتاج لدليل زيادة على ما جاء في القرآن الكريم لبيان أن الحشر هو المرحلة الأخيرة التي يجمع الناس فيها استعداداً للحساب والقضاء، فالآيات التي تدل على أن ما بعد الحشر هو الجزاء وليس التسيير والبروز كثيرة، وأولها الآية التي تتبع الآية التي نحن بصددها فقد قال سبحانه : ﴿وَعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِداً ﴾[1]، وكذلك ما جاء في السورة نفسها ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعاً وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضاً ﴾[2]. فنلحظ من خلال هاتين الآيتين وغيرهما أن ما بعد الحشر هو الحساب وليس التسيير والبروز.

أما فيما يخص ما ذهب إليه بعض المفسرين الآخرين، فقد بينا فيما سبق أن هذا ومثله مما يتكرر في بيان الانتقال من المضارع إلى الماضي دون النظر إلى النكات والأسرار الخاصة التي تنفرد بها الظواهر في مواقعها، ولكن ما غاية هذا العدول؟

لعلنا نلحظ أن الحشر المسوق بصيغة الماضي عطف على رؤية الأرض بارزة، وليس على بروز الأرض، وفي ذلك اختلاف، ففي المعطوف عليه الأول دلالة على اكتمال بروز الأرض؛ لأنها مشاهدة بعد البروز ، أما الثاني فلا يدل على ذلك الاكتمال، حيث إن عطف الحشر بصيغة الماضي على البروز المسوق بصيغة المضارع قد يدل على تزامن الفعلين، أو سبق الثاني للأول، وكما أوضحنا سابقاً أن الحشر تالياً للبروز وليس مزامن له أو مرافقاً، فلذا لما علمنا أن الحشر تالٍ للبروز، وكان المعطوف عليه رؤية الأرض بارزة وليس ذات البروز، حسن العدول إلى

---

(1) سورة الكهف، آية 48.

(2) سورة الكهف، الآيتان 99، 100.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

الماضي، للإيذان بتزامن الرؤية الدالة على اكتمال البروز مع الحشر، حيث إن إتباعها للبروز يدل على تزامنها مع الحشر التابع للبروز لا محالة.

ومن مواطن الالتفات عن الفعل الماضي إلى الفعل المضارع قول الحق تبارك وتعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا﴾[1]، فقد ورد فعل الإنزال بصيغة الماضي (أنزل)، ثم تم العدول عنها إلى صيغة المضارع في فعل رؤية الله تعالى (نرى).

والآية الكريمة مسوقة في بيان تجاوز فئة غير الراجين لقائه تعالى الحد في الظلم والطغيان، حتى اجترأوا على التفوه بطلب رؤيته تعالى إلى جانب رؤية الملائكة دليلاً على وجود اللقاء، فكان ذلك استكباراً منهم وجحوداً ناسب التحول إلى صيغة الاستمرار (نرى) أثناء طلبهم رؤية الله، وذلك للإشعار بكمال استكبارهم وعتوهم، من خلال أن تلك الصيغة توحي باستمرار ذلك الرجاء (رجاء رؤيته تعالى) إزاء استمرار استحالة تحقق المطلوب، الذي يبقى الأمل فيه مستمراً في نفس الإنسان، في حين إن استحالة نزول الملائكة ، مقتصرة على نزولهم على تلك الفئة في الحياة الدنيا فقط، لذلك سيق فعل إنزالهم بصيغة الماضي النافية لعدم نزولهم في سابق العهد، وقد أشار إلى ذلك إيراد الرد على ما اقترحت تلك الفئة من نزول الملائكة فيما يتبع هذه الآية بالرؤية وليس الإنزال، فيقول تعالى: ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ﴾[2] وذلك زيادة في استحالة الإنزال إزاء تبديله بالرؤية، وقد أشار إلى ذلك اختصاص طلبهم من جنب الملائكة بالإنزال وليس الرؤية، واختصاصه من جنبه تعالى بالرؤية وليس غيرها ، لكون رؤية الملائكة محققة -ولا سيما في الآخرة- وإنما الحاجة لنزولهم في الدنيا، ولكون رؤيته تعالى هي مناط الرجاء الذي استحال تحقيقه للكافرين أبداً.

---

(1) سورة الفرقان، آية 21.
(2) سورة الفرقان، آية 22.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

PDF Complete
Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages

ومن ذلك التحول ما يؤكد استحالة تدارك الكافر ذنوبه يوم القيامة، فيقول عز وجل: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ، وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاوُشُ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ، وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِن قَبْلُ وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾(1)*.

فنلحظ في الآية الكريمة إنكار التناول السهل للإيمان يوم القيامة بذلك السؤال الإنكاري (أنى لهم التناوش؟ !)، الذي يمثل حالهم في استحالة محاولة التخلُّص من العذاب بالإيمان بعد فوات الأوان بحال من يريد أن يتناول الشيء من غلوةٍ كتناوله إياه من قرب، وقد أشار إلى ذلك استخدام لفظ (التناوش) الذي يدل على التناول من قرب(2)، وليس لفظ التناول، وضوعف ذلك بربط حالهم في محاولة ذلك بحال فشلهم في تحقيق رجمهم الرسول صلى الله عليه وسلم - بالظن، وتكلمهم في حقه بالمطاعن، الذي مثل بحال من يرمي شيئاً لا يراه من مكان بعيد لا مجال للوهم في لحوقه، الأمر الذي حسن في حاله التحول عن صيغة الماضي (كفروا) إلى صيغة المضارع (يقذفون) مقابلة لاستحالة تدارك الكافر ذنوبه يوم القيامة باستحالة إيقاع الظن والطعونات في شخص الرسول –صلى الله عليه وسلم - في الدنيا؛ الأمر الذي لو تم في حالة جريان السياق بصيغة الماضي (قذفوا) لوشى ذلك ببلوغ المقذوف غايته، وبالتالي تحقق التناوش إزاء تحقق القذف، لذا تم إيثار الفعل المضارع لكونه لا يؤكد بدلالة الاستمرارية على بلوغ تلك الغاية، بل يشير إلى أن استمرار القذف هو لاستمرار الفشل في وصول غايته، بخلاف الماضي الذي يشي إلى انتهاء القذف لبلوغ الهدف المرجو، ولعل ذلك كان باعثاً لسوق رغبتهم العارمة في الخلاص من العذاب فيما يتبع من الآيات - بالشهوة الموحية بتعاظم استحالة ذلك المطلب حتى

(1) سورة سبأ، الآيات 51- 53.

*انظر شواهد أخرى، هود، آية 98 النمل، آية 28 الإسراء، آية 13، الكهف، الآيتان47، 49، طه، الآيتان108، 109 الفرقان، آية 25 سبأ، آية 53 الدخان، الآيات 53، 54، 56 المزمل، آية 14 المرسلات، الآيات 25، 26، 27، النبأ، الآيتان18، 19.

(2) ابن منظور، لسان العرب، ج3، ص741.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

أصبح بمنزلة ما تشتهيه نفوسهم من غير طائل، فيقول عز وجل : ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾[1].

2.1.5.1.2 بين الفعل المبني للمعلوم والفعل المبني للمجهول:

ومن مواطن هذا العدول قول الحق تبارك وتعالى في سورة التكوير : ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ،وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ،وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾[2]، فقد ورد فعل تكوير الشمس بصيغة المبني للمجهول، ثم تم العدول عنها إلى صيغة المبني للمعلوم في انكدار النجوم، ثم تكرر العدول إلى صيغة المجهول مرة أخرى في تسيير الجبال، فما سر هذا العدول؟

علينا أن نبين دلالة كل من تكوير الشمس والانكدار والتسيير حتى يتسنى لنا الخوض في سر العدول، وفي بيان ذلك اجتمع معظم المفسرين في بيان التكوير والتسيير، واختلفوا في الانكدار، فتكوير الشمس كما توجه إليه معظمهم -: هو اللَّف، مأخوذ من تكوير العمامة إذا لفت على أن المراد جمعها ولفها وانمحاء ضوئها، وتسيير الجبال: إزاحتها عن مواقعها[3]، أما الانكدار ففيه رأيان:

الأول: تناثرها وتساقطها على الأرض[4].

الثاني: انقضاؤها أو ظلمتها ، مأخوذ من انكدار الماء[5].

والذي نراه في ذلك أن انكدار النجوم : هو انطفاؤها جزئياً، مأخوذ من الكُدْرَة التي تقول المعاجم فيها أ نها:"اللّون الضارب إلى السواد والغبرة ، والمختلط بالأكدار التي تذهب صفاؤه"[6]، فنقول:انكدر الماء، أي : نزل فيه ما يذهب صفاؤه، أما

---

(1) سورة سبأ، آية 54

(2) سورة التكوير، الآيات 1 -3.

(3)أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج 6، ص383؛البيضاوي، أنوار التنزيل، ص 786؛ الميداني، معارج التفكر، ج1، ص401.

(4) أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج6، ص383.

(5) البيضاوي، أنوار التنزيل، ص786.

(6) ابن منظور، لسان العرب، ج3، ص229.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

بالنسبة إلى القول بأن الانكدار هو التناثر، فلم نجد ما يدل على ذلك في المعنى المعجمي لهذه المفردة.

وإذا سلمنا بذلك فإننا نستطيع بناءً عليه بيان سر العدول في هذه الآية، حيث إننا نرى أن تسيير الجبال يستلزم تغييراً جديداً في نظام تماسك الأرض مع الجبال لم يشهده كل منهما من قبل يوم القيامة، ليتهيأ للجبال أن تسير عن مواقعها مندمجة في الأرض من أعماقها إلى شواهقها، وكذلك الأمر بالنسبة لتكوير الشمس، فإن جمع ألسنة اللهب المتطايرة منها ولفها وانطفائها تغييرات جديدة لم تحدث لها من قبل . أما بالنسبة لانكدار النجوم، فإنه أمر يحدث في ذاتها منذ مراحل نشوئها في هذا الكون، ويتكرر لها في يوم القيامة جميعاً، بغض النظر عن اتفاق الكيفية أو اختلافها، فقد أثبت علم الفلك الحديث "أن النجوم تمر بمراحل الميلاد والشباب والشيخوخة في نشوئها، ثم تنفجر أو تتكدس أو تطمس جزئياً أو كلياً "[(1)]، وبانطماسها جزئيا يذهب صفاؤها وتتكدر.

وبذلك نستطيع القول : إنه عندما كان انكدار النجوم حادثاً في ذاتها في الدنيا أوثر معه استخدام صيغة المبنى للمعلوم، ولما كان التسيير والتكوير أمرين غير حادثين في ذات الشمس والجبال في الدنيا، وإنما في الآخرة وفق نظام وتقدير لا تقتضيه طبيعة كل منها أوثر معهما استخدام صيغة المبني للمجهول.

ومن صور العدول التي تنطوي تحت هذا البيان قوله تعالى : ﴿فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ، وَخَسَفَ الْقَمَرُ، وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾[(2)]، فلعل في إيثار صيغة المعلوم مع برق البصر وخسف القمر دلالة ، على أن البرق والخسف من الأمور الحادثة لكل من البصر والقمر بطبيعته المقدّرة في ذاته منذ وجودهما في الكون حتى الآخرة، وإنما يتكرران يوم القيامة في شكل يعلمه الله ، وإيثار صيغة المجهول مع جمع الشمس والقمر؛ لأن هذا الجمع من الأمور الجديدة في حدوثها لكل منهما.

---

(1) النجار، زغلول راغب، 1425هـ -2004م، من آيات الإعجاز العلمي السماء في القرآن الكريم، ط 1، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ص200.

(2) سورة القيامة، الآيات 7-9.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

وقد تأكدت لدينا هذه الرؤية من معرفتنا بأن فعل الخسف لا يصح إسناده إلى الفاعل (القمر) لأن القمر لا يتحكم بخسفه من ذاته وإنما هو الله المقدر لـذلك، فتجاوز ذلك وإسناده إلى الفاعل (القمر) إنما هو لسر اقتضى ذلك، ولعله ما ذهبنـا إليه.

ومن مواطن الالتفات في هذا المجال ما يبين أن شقاء الكافرين من حصـائد أعمالهم، وأن سعادة المؤمنين من رحمة الله ، فيقول تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ... وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ﴾(1)*.

وغير خافٍ ما يوحي به إسناد الشقاء إلى الكافرين من صرف اختيارهم في سوق الشقاء لأنفسهم عندما تعاموا عن آيات الله تعالى، واستكبروا في أنفسهم بعد أن جاءتهم الرسل، في حين إن سعادة المؤمنين سيقت بصيغة المبني للمجهول، للدلالة على أنها من رحمته تعالى وهدايته لهم، ولعل ذلك كان سبباً في بيان حال الكافرين في النار لهم فيها شهيقاً وزفيراً دون المؤمنين، لما في ذلك من إشعار بأن غائلة الذنب تقع بطريق مباشر على صاحبه، وكأنه عندما عمل المحرمات كـان يجنـي أنواع عذابه التي من بينها حرارة التنفس وشدته، بخلاف رحمته تعالى التي كانـت من فنون كراماته تعالى التي يبقى جزاؤها من مقتضيات تشريعه تعالى فـي وقـت إرادته، كما هي الهداية ذاتها.

2.5.1.2 بين الفعل والاسم:

ومن مواطن هذا العدول قول الحق سبحانه وتعالى : ﴿جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾(2).

---

(1) سورة هود، الآيات 106 -109.

*انظر شواهد أخرى، هود، الآيتان 106، 108، الكهف، آية 31، طه، آية102، النمل، آية87، القيامة، الآيتان7، 8 الإنسان، آية 21 النبأ، الآيتان 18، 19، التكوير، الآيات1، 2، 3، الانفطار، الآيـات1، 2، 3، الانشـقاق، الآيات1، 2، 4، 5، الغاشية، الآيتان، 22، 23، الزلزلة، الآيتان، 1، 2.

(2) سورة الحج، آية23.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

فقد تم العدول عن صيغة الفعل المضارع (يحلون) إلى الاسم (لباسهم)، وقد قال البيضاوي في توجيهه: "غير أسلوب الكلام فيه للدلالة على أن الحرير ثيابهم المعتادة، أو للمحافظة على هيئة الفواصل"[1].

والحقيقة إننا لا نقف مع هذا الرأي الذي ردده غير واحد من المفسرين مجارين البيضاوي، والذي يقف حائراً بين غايتين دون تغليب إحداهما على الأخرى أو جمعهما، هذا من جانب، ومن جانب آخر، فإن الفواصل السابقة لهذه الآية والتابعة غير متناسقة مع فاصلة هذه الآية حتى يؤخذ بتلك الغاية، ولو كانت متناسقة فإن إيراد اللباس بالفعل غير مؤثراً على ذلك التناسق، فلو قيل : ويلبسون فيها الحرير، لأُمِنَ التناسق.

تبين الآية الكريمة كمال مباينة حال المؤمنين لحال الكفرة من خلال سوق بعض الكرامات والهبات في حال المؤمنين التي تشعر بعلو فضلهم وترامي حالهم إزاء فئة الكفرة التي أُورد بيانها في آية سابقة للآية التي نحن بصددها؛ فيقول تعالى: ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُؤُوسِهِمُ الْحَمِيمُ﴾[2]، وكان من بين هذه الكرامات التحلية بأساور الذهب والفضة التي تعد من الحاجات الكمالية التي لا يستلزم وجودها، الأمر الذي احتاج التأكيد على تحليتهم بها، لذلك سيقت بالفعل الذي يجعل تلك التحلية مقصودة بالذات، على خلاف اللباس الذي يعد من اللوازم الضرورية التي يستغنى إزاءها عن ذلك التأكيد لكونه أمراً محققاً غنياً عن البيان، حيث لا يمكن عراؤهم منه، فلذلك سيق بالاسم المناسب لذلك، وذلك كقولك : أعمل هذا، فإنك في هذه الحالة أكدت على العمل ذاته الذي تريد عمله، أما إذا قلت : عملي هذا، فإن العمل في هذه الحالة يكون حادثاً لا محالة، وإنما تريد أن تؤكد أو تبين نوع هذا العمل، وهذا ما حدث في الآية الكريمة، وقد أشار إلى ذلك سبق الأساور والذهب بحرف الجر (من) الدال على التبعيض دون وجود ذلك في حال اللباس؛ وذلك لأن التحلي عندما كان من الكرامات كان ببعض من الأساور والذهب، على خلاف اللباس الذي كان بكل الحرير، لكونه من الضرورات التي تحتاج كمًّا كبيراً لا

---

(1) البيضاوي، أنوار التنزيل، ص442.

(2) سورة الحج، آية 19.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

يتوقف عند إطار الجزء، إضافة إلى ما نلحظه من تفصيل في حال التحلية (من ذهب ولؤلؤ) يناسب قدر المفصّل، د ونما ورود ذلك في حال اللباس، ولعل هذا هو الباعث إلى تقديم بيان التحلية على بيان اللباس، إذ لا يخفى ما في المتقدم من أهمية تجعله يتقلد هذا الموطن، وقد تأكدت لدينا هذه الرؤية بتكرار ورود فعل التحلية في آيات القيامة بصيغة المبني للمجهول، لما في ذلك من توجيه ا لاهتمام للحلي، لكونها من الكرامات المرصودة، فيقول عز وجل : ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَاباً خُضْراً﴾[(1)].

ومن مواطن العدول عن الاسم إلى الفعل قوله سبحانه : ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَى مَكَانَتِهِمْ فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيّاً وَلَا يَرْجِعُونَ﴾[(2)]*. وقد عزا بعض المفسرين العدول عن المصدر (مضياً) إلى الفعل المضارع (لا يرجعون) لتناسب الفواصل[(3)].

والواقع إن هذه أولى الغايتين اللتين يحققهما هذا العدول، والغاية الثانية تتضح عند النظر في هذه الآية من جديد، فنلحظ أن الآية ا لكريمة تبين قدرته تعالى على الإيقاع بالكافرين شتى أنواع العذاب الدنيوي، التي من بينها تجميدهم على أماكنهم فلا يقدرون أن يبرحوها بإقبال ولا إدبار، ولكن السياق قد اختلف بين التقدم في مشيهم الذي ينم عن التقدم في طريقهم في الكفر، والعودة عنه التي تتم عن العودة عن طريق الكفر إلى الإيمان، فقد ورد التقدم في ذات الطريق بالمصدر (مضياً)، وانكسر السياق إزاء العودة عنها إلى الفعل (يرجعون)، الأمر الذي يومئ إلى أنه تم التحول أثناء بيان العودة إلى الطريق القويم بعد العلم الأكيد بعدم القدرة على التقدم والتأخر بسبب المسخ تأ كيداً لشدة استحالة ميلهم إلى هذا الجانب؛ في مقابل رغبتهم العارمة في سلوك طريقهم المعتاد (الكفر)، والذي سيق بالاسم لهوانه عليهم حتى وهم في غاية الحرمان من سلوكه بسبب المسخ، وعلاقة ذلك بكل من الفعل والاسم

---

(1) سورة الكهف، آية 31.

(2) سورة يس، آية 67.

*انظر شواهد أخرى، الحج، آية 23، الروم، الآيتان15، 16، فاطر، آية33 الزخرف، آية 76، الطور، آية20.

(3) أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج5، ص309؛ البيضاوي، أنوار التنزيل، ص587.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

تبدو من حيث إن المصدر (مضيئاً) على متابعة ما تم البدء به، والفعل (يرجعون) يدل على الابتداء بمسار جديد مخالف، الأمر الذي تشتد إزاءه الصعوبة في الحال الثاني، وتزداد السهولة في الحال الأول.

ومن المواطن التي تمثل هذا العدول ما يتم فيه التحول عن الجملة الفعلية إلى الإسمية أو العكس، وذلك كقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا﴾(1).

فقد آثرت الآية الكريمة الجملة الاسمية (مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ) عند نفي جزاء الولد عن والده متحولة عن الجملة الفعلية (يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ) عند نفي جزاء الوالد عن ولده. وقد وقف كثيرون من المفسرين عند هذا العدول، فقال الزمخشري فيه: ذلك؛ لأن الجملة الاسمية آكد من الفعلية ...، والسبب في مجيئه على هذا السنن أن الخطاب للمؤمنين، وعليتهم قبض آباؤهم على الكفر والدين الجاهلي، فأريد حسم أطماعهم وأطماع الناس فيهم أن ينفعوا آباءهم في الآخرة وأن يشفعوا لهم وأن يغنوا عنهم من الله شيئاً، فلذلك جيء به على الطريق الآكد، ومعنى التوكيد في لفظ المولود أن الواحد منهم لو شفع للأب الأدنى الذي ولد منه لم تقبل شفاعته فضلاً أن يشفع لمن فوقه من أجداده لأن الولد يقع على ولد الولد بخلاف المولود فإنه لمن وُلد منك"(2)، وفي رأي للبيضاوي: "إن تغيير النظم للدلالة على أن المولود أولى بأن لا يجزى، وقطع طمع من توقع من المؤمنين أن ينفع أباه الكافر"(3).

وحري بنا أن نشير إلى أن الرأيين السابقين لا يختلفان، وإنما يتعاضدان في بيان هذا العدول، ولكن نود أن نستبعد ما أشار إليه البيضاوي في بداية رأيه من أن تغيير النظم للدلالة على أن المولود أولى بألاَّ يجزى؛ وذلك لأن نفي جزاء كل من الطرفين عن الآخر يوم القيامة سواء، ولو تجاوزنا ذلك مسلّمين باستحقاق أحد الطرفين الأولوية في عدم الجزاء عن الآخر، فإن الوالد هو صاحب ذلك الحق ليس

(1) سورة لقمان، آية 33.
(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج5، ص195؛ البيضاوي، أنوار التنزيل، ص547.
(3) الزمخشري، الكشاف، ج3، ص504.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

الولدورغم ذلك إلاّ أنا نحتاج إلى بيان وجود التأكيد على عدم جزاء المولود في الجملة الاسمية حتى يتسنى لنا الخوض في غاية العدول.

والذي يبين لنا ذلك ما نلحظه في الجملة الفعلية من نفي فعل الجزاء عن الوالد، في حيرالنفي في الجملة الاسمية كان عن المولود من أن يجزى عن والفالغاية في الجملة الفعلية هي نفي فعل الجزاء ، وذلك لتقدم نفي الجزاء على المجزي، في حين إن الغاية في الجملالاسمية هي نفي أن يكون المولود جازياً عن والده وذلك لتقدم المجزي على نفي الجزاء الذي تم في حاله اختصاص المولود بعدم الجزاء، وفي ذلك تأكيد على عدم جزائه.

ففي قولك: لا يفعل زيد هذا، تريد بذلك نفي قيام زيد بهذا الفعل دون غيره من الأفعال، ولكن عند قولك : زيد لا يفعل هذا، أردت بذلك نفي قيامه بذلك الفعل دون قيام غيره به، حيث إنَّ المعنى في القول الأول : لا يفعل زيد هذا وإنما يفعل غيره، وفي الثاني : زيد لا يفعل هذا وإنما يفعله عصام، وكذلك الأمر في حال نفي جزاء المولود عن والده، فقد تم سوقه بالنمط نفسه، واستخدمت الجملة الاسمية المضاعفة لنفي جزاء المولود عن والده.

وبعد أن سلمنا بوجود التأكيد على عدم جزاء المولود، فيتسنّى لنا بيان السبب في ذلك، فنضيف إلى الرأيين السابقين أنه عندما كان المولود حقيقياً بمساعدة والده في الدنيا ودفع الأذى عنه، تم التأكيد على عدم جزائه عن أبيه، ليتبين للناس جميعاً ن لمساعدة الولد والده في الدنيا ود فع الأذى عنه لاتغني جزاءه عنه يوم القيامة ، ولعل ذلك هو الباعث لإسقاط المفعول به (شيئاً) لفعل جزاء الوالد عن ولده، وذكره لفعل جزاء المولود عن والده، إذ في ذكره دلالة على تأكيد عدم جزاء المولود حتى بأقل الممكنات وبأي شكل يتم فيه الجزاء.

ومن تلك المواطن قول الحق سبحانه : ﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾[1] فقد ورد السياق أولاً بالجملة الفعلية (لِيَسْكُنُوا فيهِ) ثم تم التحول عنه إلى الاسمية (مُبْصِرًا) وقد قال الزمخشري في توجيه هذا التحول : "هكذا النظم المطبوع

(1) سورة النمل، آية 86.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

غير المتكلف؛ لأن معنى (مبصراً): ليبصروا فيه طرق التقلب في المكاسب"[1]، وفي رأي البيضاوي: "لِيُبصروا فيه ، فبولغ فيه بجعل الإبصار حالاً من أحواله المجعول عليها لا ينفك عنها"[2].

ولعلنا لا نميل إلى مثل هذه الآراء التي لا تفسر الظاهرة بقدر ما تنطوي على عدم التدقيق في حيثياتها وأسبابها، وخصوصاً ما لاحظناه في رأي البيضاوي الذي لا يعدو أن يكون وصفاً للظاهرة لا بياناً لأسرارها، حيث إننا نعلم أن الإبصار جُعل حالاً من أحوال النهار، وإنما الحاجة لبيان السبب في ذلك، أما بالنسبة لرأي الزمخشري الذي عزا فيه العدول إلى البعد عن التكلف، فإن فيه جانباً من القول، هو أنه لو خشي التكلف في السياق ، لكان من المقدور أن يأتي الإبصار دون إسناده إلى النهار وإجراء النهار، مجرى العاقل، فكان من الممكن القول (مبصرين فيه) أو أية صيغة أخرى لا يسند فيها الإبصار إلى النهار ولكن في هذا الإسناد دلالة أخرى تخرج عن إطار البعد عن التكلف.

والذي نقدره في توجيه ذلك يتضح من خلال ما نلحظه في الجملة الفعلية من جعل السكون سبباً لوجود الليل، في مقابل جعل الإبصار في الجملة الاسمية حالاً من أحوال النهار فأسند الإبصار إلى النهار بصيغة اسم الفاعل –المستخدمة مع العاقل- التي جعل فيها النهار الذي شأنه أن يكون وسيلة في تحقيق الإبصار مبصراً في ذاته؛ وفي ذلك مبالغة في تقريب الإبصار من النهار، ولكن لماذا هذا التقريب؟ ولماذا تقريب الإبصار إلى النهار دون تقريب ضده إلى الليل؟

الواقع إنه ما قرب الإبصار إلى النهار وجعل حالاً من أحواله التي لا ينفك عنها؛ إلا لأنه متعلق بوجود النهار ، حيث إنه لا إبصار في المكان المعتم مطلقاً ، ولم يسلك هذا المسلك في حال الليل لعدم تعلق السكون به مطلقاً، فالإنسان يستطيع أن يسكن في الليل والنهار ، ولعل هذا السبب أيضاً في مجيء الإبصار بصيغة اسم الفاعل، والله أعلم.

---

(1) الزمخشري، الكشاف، ج3، ص386.

(2) البيضاوي، أنوار التنزيل، ص509.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

وقد تأكدت لدينا هذه الرؤية بقوله تعالى : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَداً إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاء أَفَلَا تَسْمَعُونَ، قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَداً إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ، وَمِن رَّحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[1]، فقد جعل الله تعالى الضياء من متعلقات النهار، والسكون من متعلقات الليل، ثم انتقل لبيان اجتماع الليل والنهار في التعلق بالسكون (جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه)، الأمر الذي يعضد دلالة الآية التي نحن بصددها على عدم اختصاص الليل بال سكون، في حين إن تعلق الإبصار بالنهار كان داعياً لتكرار وروده كحال من أحوال النهار، دون ورود الليل إلى جانبه، وما يشير إلى ذلك قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾[2]، وكذلك قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِراً﴾[3].

ونحن إذْ مارسنا في حياتنا القدرة على السكون في الليل والنهار، وعدمها على الإبصار في المكان المعتم مطلقاً (الليل)، لا يبقى أمامنا للاستدلال على ذلك إلا بما أثبتت الدراسات الباحثة في التعرف على أسباب النوم، من أنَّ هرمون الميلاتونين (Melatonine) –وهو هرمون تفرزه الغدة الصنوبرية المختبئة بين كرتي الدماغ- تزداد نسبة تركزه خلال الليل بشكل خاص –عند البعض- مؤثراً بذلك على تعجيل النوم، وفي المقابل فإنَّ مركب البوليفيتيد المعوي المنشط للعروق (Polypeptide intestinal vasoactif) –الذي يؤثر على الأوعية الدموية والأمعاء-، قد أُثبت تأثيره على زيادة معدل النوم في النهار بشكل خاص –عند البعض الآخر- ويكون ذلك سبباً في انقسام الناس إزاء النوم إلى نمطين : نمط الصباحيين، ونمط المسائيين، إذْ إنَّ الصباحيين –وهم قليلون- يستيقظون مساءاً بشكل تلقائي، ويشعرون بأنهم مرتاحون، وينهضون من فراشهم دونما جهد، وعلى خلافهم المسائيين. والمسبب الآخر في ذلك هو ارتفاع درجة حرارة الصباحيين –

(1) سورة القصص، الآيات 71-73.
(2) سورة الإسراء، آية 12.
(3) سورة غافر، آية 61.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

وانخفاض الحرارة يؤدي إلى النوم - في الليل وانخفاضها في النهار، على خلاف المسائيين، إذْ تزداد درجات حرارتهم في النهار[1].

أما بالنسبة للإبصار، فإن حاجة العين إلى الضوء المنعكس عن الأجسام المرئية واللازم لارتسام صورها على شبكية العين وحصول الرؤية لا مراء فيها - ، بل إن العين تتكيف مع كمية الضوء المنعكسة عن هذه الأجسام، فإذا ما كانت الكمية قليلة اتَّسع البؤبؤ من أجل استقبال ما يكفيه من الضوء لحصول الرؤية، وإذا ما توقف مصدر الضوء انعدمت الرؤية[2].

ومن مواطن هذا العدول قوله تعالى : ﴿إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾[3]*، فقد تم التحول عن الجملة الفعلية في بيان جزاء المؤمنين (يجزي الذين آمنوا) إلى الجملة الاسمية في حال بيان جزاء الكافرين (والذين آمنوا لهم شراب من حميم).

لقد شرعت الآية الكريمة بتعليل وجوب المرجع إلى الله تعالى، ببيان أن غاية البدء هي جزاء المكلفين بأعمالهم حسنة أو سيئة، إلا أنا نلحظ أن جزاء المؤمنين جعل السبب المباشر لإعادة الخلق بما نلحظ من اقتران لام السبب بفعل جزائهم (ليجزي الذين آمنوا)، دون جريان ذلك في جزاء الكافرين، وإنما كان في حالهم تفصيلاً للعذاب ينم عن تأكيد له، أشير إليه بما يدل عليه الجمع بين صيغتي الماضي والمضارع في ذلك السياق (كفروا -يكفرون) من بيان لمواظبتهم على الكفر التي تبرر تأكيد العذاب، الأمر الذي يدل على أن الجملة الفعلية عندما كانت واقعة في منزلة سبب إعادة الخلق بمناسبة الفعل في موقع التعليل - كان ذلك دالاً على أن الإثابة هي المقصود الأصلي من تلك الإعادة، وعندما كانت الجملة الاسمية مؤكدة

---

(1) بوربيلي، ألكسندر، 1407هـ-1986م، أسرار النوم /أحدث المكتشفات العلمية، تعريب شبيب بيضون، دار المروج للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ص44، 45، 154، 155.

(2) البدوي، خليل كنش، 1420هـ-1999م، موسوعة الحواس، ط1، دار عالم الثقافة، عمان، الأردن، ص8، 12.

(3) سورة يونس، آية 4.

* انظر شواهد أخرى، البقرة، آية177، المائدة، آية37، النمل، الآيتان89، 90، التغابن، الآيتان9، 10.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

لعذاب الكافر بمناسبتها لغاية التأكيد -، ودالة على كمال استحقاقه للعذاب دون اندراجها في قرن سبب الإعادة، كان ذلك دالاً على أن التعذيب بمعزل عن الانتظام في سلك العلة الغائية للخلق بدءاً وإعادة، وإنما يحيق ذلك بالكفرة على موجب سوء اختيارهم وليس أحد بمسيّر له، ولعل ذلك كان باعثاً لإلباس جزاء المؤمنين بالعدل (بالقسط)، للحاجة للدقة المتناهية في إقامة الجزاء الذي هو سبب إعادة الخلق، دون ورود ذلك في حال الكافرين الذي هو عقاب لمن خرج عن هذا السبب يحتاج تعاظم العذاب إزاء تعاظم الذنب.

3.5.1.2 بين صيغ الاسم:

ومن مواطن هذا الالتفات قوله تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾[1]، فنلحظ المخالفة بين صيغة اسم الفاعل (شاكراً) وصيغة المبالغة (كفوراً)، لفرق بين الشكر والكفر استدعى هذه المخالفة.

وقد بين بعض المفسرين أن هذه المخالفة لمراعاة الفواصل، والإشعار بأن الإنسان قلما يخلو من كفران ما، وإنما المؤاخذ عليه هو الكفر المفرط[2].

وقدم أحد الدارسين المحدثين في ذلك نظرة تزيد البيان اضطراباً، وهي "إن المبالغة التي تنفرد بها الصيغة الثانية دون الأولى، تجسد البون الشاسع بين إقبال الإنسان على الشكر وإقباله على الكفر، فهو لا يخطو خطوة في طريق الشكر إلا وقد خطا في الكفر والجحود خطوات "[3]. نقول: إن هذه النظرة تزيد الاضطراب عند جمعها الناس في زيادة خطوهم في الكفر والجحود مقابلة مع خطوهم في طريق الشكر، حيث إن الآية الكريمة لم تقتصر على إنسان واحد فقط، وإنما تقدم مثالاً يبين سلوك البشر عامة من خلال هذا المثال المسوق، فليس من الممكن أن جميع البشر يخطون في طريق الكفر أكثر من خطوهم في طريق الشكر.

---

(1) سورة الإنسان، آية 3.

(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج6، ص340، 341؛ البيضاوي، أنوار التنزيل، ص774.

(3) طبل، أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية، ص90.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

والذي نطمئن إليه هو ما ذهب إليه المفسرون من أن الإنسان قلما يخلو من الكفر، ولكن المؤاخذ عليه الكفر المفرط ، وتتضح أهمية هذا الرأي من خلال الفرق بينه وبين الرأي الآخر، فهذا الرأي لم يجمع عامة الناس في ميلهم إلى الكفر، بل أفاد أنهم الفئة الغالبة كما إنه لم يجمعهم في التقدم في الكفر بخطوات أكثر من خطوات الشكر كما شاهدنا في الرأي الآخر ، بل أبان أن هنالك فئة غالبة تميل إلى الكفر، وفئة قليلة تعارضه وتميل إلى الشكر، بالإضافة إلى ما نلمسه من دقة في هذا الرأي، حيث إنه لم يقف عند بيان ميل الإنسان إلى الكفر بل أضاف أن الإنسان يحاسب على التوغل في الكفر، وليس مجرد الميل. فنقول في ذلك : عندما كان لدى الإنسان الميل للكفر، وأنه لا يحاسب إلا إذا أوغل فيه، كان ذلك أمراً يجعلنا نوازن بين قدر أعمال الشكر والكفر المحاسب عليها، فأعمال الكفر تزيد على أعمال الشكر عند بعض الناس -بشمولها الميل المسبق لدى الإنسان إلى الكفر، والجزاء متوازن، ولكنه يقل عن أعمال الكفر ويساوي أعمال الشكر، فلعل هذا الأمر الذي من أجله استخدمت صيغة المبالغة مع الكفر واسم الفاعل مع الشكر، والذي قد يكون الباعث لتقديم وعيد الكافرين على بيان حسن حال المؤمنين فيما يتبع هذه الآية - مع كونهم متأخرين عند إيراد كفرهم في الآية التي نحن بصددها، فيقول تعالى : ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَا وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾[1]، لما في تقديم الوعيد من أهمية توحي بزيادة الكفر إزاء الشكر.

ومن ذلك التحول ما أُوثرت فيه صيغة المبالغة في حال الكافرين (الكفّار) بعد التعبير بالاسم الموصول عن المؤمنين (الذين آمنوا)، فيقول تعالى: ﴿فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ﴾[2].

وكما نلحظ فالآية الكريمة تبين استهزاء المؤمنين من الكافرين يوم القيامة، حين يرونهم أذلاء مغلوبين قد غشيتهم صنوف الهوان والصَّغار بعد العزة والكبر، ورهقتهم ألوان العذاب بعد التنعم والترفه، ولكن ذلك من باب مجانسة ذات

---

(1) سورة الإنسان، الآيتان 4، 5.

(2) سورة المطففين، آية 34.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

الاستهزاء الصادر من الكافرين في الدنيا تجاه المؤمنين، فيقول تعالى -فيما يسبق هذه الآية -: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ﴾[1]، لذلك تم ترتيب استهزاء المؤمنين بـ (الفاء) الدالة على تعقيبه كجزاء للكافرين وإثابة للمؤمنين، فلذلك لما كان ذلك جرماً من الكافرين ينبئ عن شناعة ما فعلوا من خلال المبادرة بذلك الاستهزاء تم إيثار صيغة المبالغة (الكفّار) في حال مقابلة استهزائهم، وذلك للإيذان بشدة جرمهم وفداحة تعديهم في حق المؤمنين، وقد أشار إلى ذلك تقديم الجار والمجرور (من الذين آمنوا)، على فعل الضحك، لما في ذلك من قصر فعل الضحك على تلك الفئة، الأمر الذي يضاعف فداحة الجرم بكونه مقصوداً في توجيهه للمؤمنين مع ظهور عدم استحقاقهم له بذلك التقديم الذي يوحي باهتمام بشأنهم ينم عن استغراب قصدهم بالسخرية؛ وذلك كما في تقديمه تعالى على الشك في قوله تعالى: ﴿أَفِي اللَّهِ شَكٌّ﴾[2]، الذي يوحي بإنكار قصده بالشك لغرابته، وقد أشار إلى ذلك أيضاً إيراد الكافرين بلفظ الإجرام الذي فيه من تأكيد التسجيل عليهم بغاية الإجرام ما لا يظهر في لفظ (الكافرين).

6.1.2 الالتفات بين الأدوات:

يتحقق هذا الالتفات عندما تتم المخالفة بين أداتين من نوع واحد أو نوعين مختلفين،أو بذكر إحدى هذه الأدوات ثم حذفها لأسرار وغايات بلاغية تحققها تلك الانتقالات[3]، وهذه الأدوات (كأسماء الشرط، وحروف الجر ، وأسماء الاستفهام وأسماء الإشارة، والضمائر... الخ).

---

(1) سورة المطففين، آية 29.

(2) سورة إبراهيم، آية 10.

(3) طبل، أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية، ص169.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

PDF Complete
Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages

1.6.1.2 بين أنواع الأدوات - سواءٌ أكان ذلك بين نوع واحد منها أو بين نوعين مختلفين :-

ومن مواطن العدول عن الضمير إلى الاسم الموصول، وذلك كقوله تعالى : ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءلُونَ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ، وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾(1)، فقد تم العدول عن الضمير (هم) في حال الإشارة إلى المفلحين، إلى الاسم الموصول (الذين) في حال الإشارة إلى الخاسرين.

نلحظ في هذا الموطن اختصاصاً ذاتياً لكل عامل بجزاء عمله يوم القيامة، لزوال التراحم والتعاطف بين الناس من فرط الحيرة واستيلاء الدهشة، لانشغال كل واحد بنفسه غير عابئ بذويه وأصحابه، مما كان داعياً ذاتياً لاختصاص كل صاحب عمل بجزائه بعد عملية وزن الأعمال المقدّرة وفق مقادير محكمة في مطابقة الجزاء للعمل؛ الأمر الذي كان داعياً للتأكيد على صفات الفريقين المنقسم إليهما البشر عند وزن الأعمال، فسبق الضمير (هم) فئة المفلحين المؤكد لاختصاصهم بصفة الفلاح بعد الإشارة إليهم بـ (أولئك) المشيرة إلى ثبوت التأكيد لتلك الفئة لما توحي به من احتضار المشار إليه؛ أما الخاسرين فقد تم إيرادهم بالموصول المتبوع بفعل الخسارة (الذين خسروا) الملقى على أنفسهم، وذلك إشعاراً بتأكيد مضاعف لإيقاع غائلة الذنب على صاحبه، يوحي به جعل خسارتهم لنعيم الآخرة خسارة لأنفسهم بتضييع زمان استكمالها، وإبطال استعدادها لنيل كمالها، وقد عضد تلك الدلالة جعل عملية وزن الأعمال وزناً لأصحابها، من خلال إسقاط المضاف إلى الموازين (أعماله)، الذي يوحي بكمال اختصاص كل عامل بعمله حتى وصل إلى درجة صح عندها إنزاله منزلة أعماله لشدة اختصاصه بها، إضافة لما يوحي إيراد الفريقين بصيغة الجمع عند الإشارة إليهم بـ (أولئك) بعد إيرادهم بصيغة الإفراد (من خفت موازينه) من دلالة تأكيدية نابعة من التحول إلى الجمع المؤكد لشمول الجزاء جميع الأفراد؛

(1) سورة المؤمنون، الآيات 101 -103.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

ولعل ذلك هو الباعث لذكر خلود الخاسرين في النار فيما يتبع الآيات السابقة - دون خلود المؤمنين، وذلك لمناسبة مضاعفة التأكيد في حالهم.

ومن مواطن هذا الالتفات قول الحق سبحانه وتعالى : ﴿إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لاَيَمُوتُ فِيهَا وَلاَيَحْيَا وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى﴾(1).

في الآية الكريمة الأولى عدول عن الحرف المصدري (إنّ) الوارد في الآية الأولى مع المجرمين إلى اسم الإشارة (أولئك) الوارد في الآية الثانية مع المؤمنين، والأداتان تشتركان في بيان أصحاب الجزا ءين المقررين في الآيتين، بَيْدَ أن كلاً منها نفرد بخصوصية في تأدية ذلك المعنى ، حيث إن الأولى تفيد الإبهام -في هذا السياق -، والثانية تفيد التحديد.

والإبهام في الأولى عضده الإفراد الدال على الجماعة ، فالمقصود كل من يأتي ربه مجرماً، فهذا الإبهام الذي ظهر من خلال وجود الحرف المصدري ، وعدم بيان عدد المجرمين (مفرد أو جمع) -لأن اللفظ يدل على الإفراد، والمعنى يدل على الجمع -، إنما يدل على إبهام مكانة هؤلاء المجرمين، أي إنه عندما كانت مكانتهم عند الله متدنية كان استخدام هذا الإبهام الدال عليها ، حيث إن إبهام الشيء وعدم تحديده يدل على عدم أهميته ، وقد أشار إلى ذلك إيرادهم بلفظ الإجرام المناسب لغاية تهوين مقامهم.

أما التحديد الذي مثله اسم الإشارة للبعيد (أولئك) إنما هو دلالة على منزلة هذه الجماعة الرفيعة ، ومقامهم العالي، بذلك التحديد الإشاري الذي يدل على احتضار المشار إليه الآني على الرغم من دلالة المعنى في المستقبل، مما يزيد تحديده الدال على أهميته،ولعل ما يدل على ذلك إيثارقوله تعالى في نهاية الآية : (لهم الدرجات العلى) على الجنة، في مقابل تحديد مقام المجرمين بالنار، حيث وجَّه التحديد باسم الإشارة (أولئك) تجاه المؤمنين بتبويئهم الدرجات العلى، لا تجاه مقامهم، على حين توجيه التوكيد (إن) صوب مقام الكافرين لا صوبهم، وذلك لمضاعفة تكريم المؤمنين، وا بتعادهم عن الفئة السابقة، وقد ساعد ذلك أيضاً إيرادهم

(1) سورة طه، الآيتان 74، 75.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

بلفظ الجمع (أولئك لهم) بعد إيرادهم بالإفراد (من يأته مؤمناً)، وذلك تأكيداً لعلو منزلتهم في الفضل بشمول ذلك لكل واحد منهم، على خلاف الكافرين الذين أوردوا بلفظ الإفراد المناسب لغاية تهوين مقامهم (فإن له جهنم).

ومن مواطن هذا العدول أيضاً قوله سبحانه : ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾[1]، ففي الآية الكريمة عدول عن حرف الجر (في) إلى حرف الجر (من) المضاف إليه الظرف، وفي ذلك استثمار للتباين بين الأداتين من حيث دلالة كل منهما في إظهار البون الشاسع والمفارقة الواضحة بين الرحمة والعذاب؛ إذ في إيثار الحرف الأول الدال على التحديد المكاني[2] مع الرحمة، وإيثار الآخر المفيد لمعنى التبعيض[3] مع العذاب دلالة على هذا الفرق الكبير بين الطرفين.

لقد سيقت هذه الآية لبيان أن الله تعالى يضرب سوراً يوم القيامة يفصل به بين الكافرين والمؤمنين، ويكون جانب السور الذي يلي المؤمنين من الرحمة ، والجانب الذي يلي الكافرين من العذاب، ونلحظ في إيثار الحرف الأول المفيد لمعنى الظرفية المكانية مع الرحمة تمثيلاً للجانب الذي يلي المؤمنين وكأنه شيء كبير تتوسطه الرحمة، وفي إيثار الحرف الآخر المفيد لمعنى التبعيض مع العذاب تمثيلاً لكون الجانب الآخر كشيء يكون العذاب قد ظهر على محيطه أو جانبه الخارجي.

وصفوة القول: إنه لما كانت الرحمة تخرج من أعماق النفس (نفوس المؤمنين وقلوبهم في الدنيا) أوثر استخدام حرف الجر (في) الذي يدل على ذلك ، ولما كان العذاب شيئاً يظهر على الشكل الخارجي والجوارح (عذاب هؤلاء الكافرين لغيرهم) تم استخدام حرف الجر (من) الذي يدل على جزء معين خارجي لا سيما مع إضافة الظرف (قبل) إليه الذي يدل على الطرف المقابل، أي: الظاهر، وقد أشار إلى ذلك استخدام لفظي الظاهر والباطن وليس الداخل والخارج، لمناسبة الأولين لتلك الغاية، إذ بهما يتجلى فيهما خفاء الرحمة في النفس وظهور العذاب على الجوارح ما لا

(1) سورة الحديد، آية 13.
(2) ابن مالك، جمال الدين محمد (ت672هـ - 1273م)، 1410هـ-1990م، شرح التسهيل، تحقيق عبدالرحمن السيد وآخرين، ط1، دار هجر، مصر، ج3، ص155.
(3) المصدر السابق، ج3، ص155.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

PDF Complete
Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages

يتجلى في الداخل والخارج اللذين لا يتحتم فيهما الخفاء والظهور، فقد يكون ما في الداخل ظاهراً وما في الخارج مخفياً.

ومن مواطن هذا العدول أيضاً قوله سبحانه : ﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ﴾[1]*، فقد تمت المخالفة بين أداتي الجر (إلى، واللام)، والأداتان تتفقان في تأدية معنى وظيفي عام وهو الانتهاء،[2]غير أن لكل منهما خصوصية في تأدية هذا المعنى. والآية الكريمة مسوقة لإلزام الضالين وتبكيتهم؛ بسبب اتباعهم المضلين (الشركاء) غير القادرين على هدايتهم، وذلك من خلال الاستفهام الإنكاري (هل من شركائكم من يهدي إلى الحق؟ !) الموحي بكمال عجزهم عن هداية متبعيهم بأدنى مراتب الهداية، وهو المقتضي هداية المعبود لعبدته إلى ما فيه صلاح أمرهم، فكيف سيتسنى لهم إذن تقديم مطلق الهداية، الأمر الذي كان داعياً لاختلاف السياق عند بيان هدايتهم عنه عند بيان هدايته تعالى لعباده، لبيان كمال المباعدة وشدة المفارقة بين الهدايتين، فقد استُخدم حرف الجر (إلى) في الحال الأولى، لتضمنها معنى انتهاء الغاية دون المبالغة فيه في مناسبة عجزهم عن الهداية، في قبالة حرف الجر (اللام) الذي استخدم حيال هدايته تعالى، لدلالته على أن المنتهى إليه غاية الهداية، وأنه تعالى مختص بها، ولعل في تحرير هذا الحرف (اللام) متصلاً بما بعده دلالة على تلك الغاية لا يكتنهها رسم الحرف الآخر لعدم ملاصقته بما بعده، وقد ضاعف الحاجة إلى تلك المباينة، كون هؤلاء الشركاء ممن لا يهتدي بنفسه فضلاً عن هدايته غيره فيما ذيلت هذه الآية -أفمن يهتدي إلى الحق أحق أن يتبع أمن لا يهدّي؟ !)، ففيه من ترامي حالهم في ذلك العجز ما لا يخفى بنفي الاهتداء عنهم في موطن نفي الهداية؛ لأن نفي الهداية مستتبع لنفي الاهتداء، فمن اهتدى إلى الحق لا يخلو من هداية غيره في الجملة، وأدناها كونه قدوة له بأن يراه فيسلك مسلكه من حيث لا يدري، وقد عضد تلك المباينة عدم وجود الجواب على كلا السؤالين السابقين؛ لأن عدم الجواب ينبئ عن الجواب بالعدم.

---

(1) سورة يونس، آية 35.

* انظر شاهدين آخرين، التحريم، آية8، النازعات، الآيات1 -5.

(2) ابن مالك، شرح التسهيل، ج3، ص141، 147.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

2.6.1.2 بين حذف الأداة وذكرها:

ومن مواطن هذا الالتفات قوله سبحانه وتعالى : ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ﴾(1).

فقد حذفت فاء الترتيب مع الفعل (صلّوهُ) بعد ذكرها مع الفعل (فغلّوهُ)، ثم تكرر ذكرها بعد ذلك مع الفعل (فاسْلُكوهُ).

ولعل ما هو مؤكتضمن الفاء الدلالة الترتيبية، التي يتم من خلالها تنظيم أحداث معينة في وقوعها،ولو نظرنا إلى ترتيب الأحداث في الآيات نجد إغلالهم بعد أخذهموتصليتهم الجحيم بعد وصولها وسلوكهم السلسلة بعد وصولها ، وضمن هذا الترتيب نلحظ أن التصلية في الجحيم أمر مؤكد حدوثه عند وصول ها، حيث لا يوجد عذاب آخر فيها، في حين إن الإغلال غير مؤكد حدوثه عند أخذهم ،إذ ليس كل من أخذ فهو إلى الإ غلال، وكذلك سلوكهم السلسلة، فلا يشترط في من يذهب إلى السلسلة أن يسلكها وإنما قد يكون هنالك عذاب اً آخرفي هذه السلسلة ، أما من ذهب إلى الجحيم فإنه لا بد أن يُصلى فيها.

فما سبق يدفعنا إلى القول نه إعندما كان وقوع التصلية في الجحيم بعد وصولها أمر مقطوع به حذفت معه أداة الترتيب لدلالة السياق والمعنى عليه، وعندما كان الإغلال بعد الأخذ ، وسلوك السلسلة عند وصولها -أمرين غير مقطوع بحدوثهما استخدام أداة الترتيب معهما لبيان ترتيب حدوثهما ، وقد أشار إلى ذلك إيقاع ذلك الحرف الترتيبي قبل السلوك في السلسلة على الرغم من تأدية السياق لظهور حدوثه بعد وصولها دون إنزال الفاء قبله، حيث إن السياق لو جاء : (ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعاً اسلكوه)، لدلّ على ذلك الترتيب من خلال تقديم السلسلة على سلوكها الذي يخصّه فيها، وكأنه قيل لا تسلكوه إلا السلسلة، الأمر الذي يعزز ما ذهبنا إليه من جانب أن إنزال هذه الفاء في موطن يمكن الاستغناء عنها فيه لا بد أن يكون للإيذان بمفارقته عن نوع العذاب السابق وهو تصلية الجحيم من جانب

(1) سورة الحاقة، الآيات 30-32.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

الترتيب المؤكد للتصلية بعد وصول الجحيم؛ ولو تم الاستغناء عن الفاء قبل السلوك لما انفردت التصلية بإسقاطها، وبالتالي عدم الوصول إلى تلك الغاية.

وقد يقول قائل : إن وجود حرف العطف (ثم) قبل (الجحيم صلوه) يحل مكان الفاء، نقول: إن حرف العطف (ثم) جاء ليبين ترتيب تصلية الجحيم بعد الإ غلال، وليس التصلية بعد وصول الجحيم ، ثم إن هذا الحرف قد تكرر في الآية الثالثة (ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه) فلو كان يسد مسد الفاء لما تم ذكرها في هذه الآية.

ومن مواطن ذلك العدول أيضاً قول الحق تبارك وتعالى : ﴿ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ، ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً، فَادْخُلِي فِي عِبَادِي، وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾[1].

لقد وقف المفسرون عند بيان النفس والعباد في الآية الكريمة دون التعرض لبيان الالتفات في حذف أداة الجر في (ادخلي جنتي)وبينوا أن المقصود بالنفس : الروح، ودخولها هو في أجساد البشر وليس جمعهم[2].

واعتماداً على ما أورده المفسرون نجد أن الدخول في الآية الأولى ليس في جمع العباد،وإنما هو في أجسادهم فرداً فرداً، أي: دخولاً محدداً موقعه، في حين إن الدخول في الآية الثانية هو في عموم الجنة ، فلربما أن التحديد في الآية الأولى احتاج استخدام حرف الجر (في) لما له من دلالة على تحديد المكان، في حين إن العموم في الآية الثانية لا يحتاج إلى ذلك التحديد، فتم إسقاط هذا الحرف في حالة .

وقد أشار إلى ذلك ترتيب دخول النفس في أجساد العباد بالفاء (فادخلي) بعد مجيئها إلى الله تعالى، وعطف دخول الجنة على دخول أجساد البشر بالواو، الأمر الذي يعزز ما ذهبنا إليه من جانب وجود الحاجة إلى ترتيب دخول الأجساد بعد عودة النفس وليس دخول الجنة، لكونها المحرك لأجساد البشر بعد عودته إليها، والذي بوجوده يتم دخول الجنة.

---

(1) سورة الفجر، الآيات 28-31.

(2) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج8، ص847؛ أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج6، ص429؛ البيضاوي، أنوار التنزيل، ص798.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

ومن مواطن هذا الالتفات أيضاً قوله سبحانه: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾(1)، وقال سبحانه بعدها بآية: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾(2)، ففي ظل السياق جاء فتح أبواب الجنة مسبوقاً بالواو، وجاء فتح أبواب جهنم مجرداً من هذه الواو.

تبين الآية الكريمة تباعد حالي المتقين والكافرين وترامي مآليهما، من خلال ما نلحظه من فنون الكرامات وجوانب الفضائل المسوقة لإعزاز وتشريف فئة المتقين في قبالة ما يحدق بالكافرين من أنواع الصّغار وأشكال التوبيخ ما يناسب حالهم؛ فكان ذلك داعياً لسوق من الكرا مة والتعظيم في حال المتقين ما لا يحيط به الوصف، ومنه جعل أبواب الجنة مفتوحة قبل وصولهم، الذي أشير إليه بإظهار الواو الحالية قبل الفتح (وفتحت أبوابها) التي تدل على تحقق فعل الفتح دائماً، لكونها حالته الدائمة، وبالمقابل كان حذف الواو في حال الكافرين دالاً عل ى فتح أبواب جهنم بعد وصولهم، لما فيه من الانتظار المربك الذي يناسب قصد توبيخهم وتبكيتهم، أشار إلى ذلك وقوع فعل الفتح في حالهم جواباً للشرط، مما يدل على أن تحققه مشروط بحدوث فعل الشرط وهو قدوم أهل النار، حيث لا تفتح أبوابها إلاّ بقدوم أصحابها.

وقد تأكّدت لدينا هذه الرؤية بما نلحظه من ذكر أبواب النار في حال أمر الخزنة أهلها بالدخول، دون جريان ذلك الذكر في حال أمر الملائكة أهل الجنة بدخولها، فقال عز وجل فيما يتبع الآية المبينة لحال الكافرين :- ﴿قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا﴾(3)، وقال جلّ وعلا فيما ذيلت به الآية المبينة لحال المتقين :- (سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين)، فتم ذكر الأبواب في الآية الأولى، لوقوف إغلاقها عائقاً في طريق الكافرين عند دخولهم النار، الأمر الذي سيترتب عليه فتح

(1) سورة الزمر، الآية 71.
(2) سورة الزمر، الآية 74.
(3) سورة الزمر، آية 72.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

هذه الأبواب أولاً ثم الدخول، ولم يتم ذكرها في الآية الثانية، لعدم وجود عائق إغلاقها في طريق المتقين عند دخولهم الجنة، فيترتب الدخول المباشر للجنة.

فأنت إذا أردت أن تأمر آخر بدخول غرفة مغلقة قلت له :افتح الباب وأدخل ، أو أدخل باب الغرفة فقل إلى السرير مثلاً، أما إذا كانت مفتوحة تقول له : ادخل الغرفة، لعدم وجود عائق إغلاق الباب.

وما يشير إلى ذلك من الحديث الشريف قوله عليه الصلاة والسلام -:"مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُتَوَفَّى لَهُ ثَلَاثَةٌ مِنَ الوَلَدِ لَمْ يَبْلُغُوا الحِنْثَ*، إِلَّا تَلَقَّوْهُ مِنَ أَبْوَابِ الجَنَّةِ الثَّمَانِيَةِ، مِنْ أَيِّهَا شَاءَ دَخَلَ" (1)،ففي وقوف هؤلاء الأولاد على أبواب الجنة في انتظار آبائهم دليل على أنها مفتوحة قبل وصول أهلها إليها.

ومن المواطن التي يتحقق فيها هذا النوع من الالتفات تلك التي يتحول فيها السياق عن تنكير اللفظ إلى تعريفها بـ (أل التعريف)، أو العكس ، وذلك مثل قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ﴾ (2)، حيث جاءت لفظة الطيب معرفة بـ (أل التعريف)، ثم عُدل عن ذلك إلى التنكير بحذف هذه الأداة في (صراط)، فالأصل أن يقال: الصراط الحميد.

والصراط الحميد - كما بينه بعض المفسرين - هو الجنة(3)، وقال بعضهم: هو الطريق المستقيم(4) ولا خلاف في ذلك ، حيث إن الطريق المستقيم يؤدي إلى الجنة، ولكن ما السر في العدول؟

الآية الكريمة مسوقة لبيان أن الله تعالى هدى المتقين في الجنة إلى حمده تعالى على تنفيذ وعده لهم ودخولهم الجنة ،وهداهم أيضاً إلى الطريق المستقيم أو الجنة فالناظر إلى كلامهم الطيب يجد أنه كلام واحد ، فالجميع يحمد الله تعالى على وفاء وعده للمتقين في حين إن الجنة تتعدد سبلها وطبقاتها، فهي ليست واحدة، فهناك

---

* الحِنْث: الإدراك والبلوغ، وهي السن التي يحاسب فيها الغلام بالطاعة والمعصية، انظر : ابن منظور، لسان العرب، ج1، ص734.

(1) ابن حنبل، المسند، مسند الشاميين، ص1275، رقم17789.

(2) سورة الحج، آية 24.

(3) أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج4، ص376.

(4) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج5، ص354.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

PDF Complete
Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages

جنة عدن، وجنة المأوى، وجنة النعيم، ولكل واحدة طريق تؤدي إليها، والذي نعلمه أن المعرفة تدل على شيء معروف محدد، في حين إن النكرة تدل على عمـــوم ، أو شيء غير مخصوص ، فلما كان كلامهم الطيب الذي هداهم الله تعالى إليــه يتوحـــد ويتحدد في اشتماله على الحمد أوثرت المعرفة لتكون عليه أدل، وعنـــدما تعـــددت الجنان وطبقاتها، وتنوعت سبلها أوثرت النكرة لتلائم جميع هذه السبل والطبقـــات، وقد عضد تلك الدلالة ما أشار إليه إسقاط (أل التعريف) من إنزال صفة الحميـــد - الواصفة للصراط - منزلة الشيء المحمود في ذاته، فكأن لفظـــة (الحميـــد) علمـــاً مضافاً إلى الصراط وليس صفة له، الأمر الذي يضاعف من إبهام الموصوف الدال على تعدده حتى وصل لدرجة يعرف عندها بصفته وليس بذاته.

7.1.2 الالتفات بين الألفاظ المعجمية:

يتمثل الالتفات في هذا المجال بين الألفاظ التي تلتقي مع بعضها بعلاقة "شبه الترادف"[(1)]، أو "الترادف الجزئي"[(2)]، والتي تشير إلى اشتراك بعض الألفـــاظ فـــي معنى أساسي عام وتتضمن كل منها فروقاً جزئية خاصة [(3)]، إذ تتداخل معانيها ضمن معنى فضفاض للترادف [(4)] يحول دون وجود مطابقة تامة بين المساحة الدلالية التي يتبؤها اللفظ الأول، والمساحة الدلالية التي يتبؤها رديفه الآخر [(5)]، الأمر الذي يجعل العدول عن أحد الألفاظ إلى رديفه في الدلالة العامة لغاية تقتضيها مناســبة الدلالـــة الخاصة في اللفظ الثاني لسياقه دون الأول، فلفظ (يدخل) يشترك مع لفظ (يلج) في الدلالة الخاصة ، ولكن هناك بوناً في الدلالة الخاصة بينهما مرده إلى تلك الظـــلال

(1) خليل، حلمي، 1416هـ-1995م، الكلمة/ دراسة لغوية معجمية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، ص133.

(2) الخولي، محمد علي، 1421هـ-2000م، علم الدلالة (علم المعنى)، دار الفلاح، عمان، الأردن، ص94.

(3) مجاهد، عبدالكريم، 1406هـ-1985م، الدلالة اللغوية عند العرب، دار الضياء، ص97.

(4) بالمر، ف. ر، 1416هـ-1995م، علم الدلالة/ إطار جديد، ترجمة صبري إبراهيم الســيد، دار المعرفـــة الجامعية، الإسكندرية، مصر، ص97.

(5) عرار، مهدي أسعد، 1423هـ-2002م، جدل اللفظ والمعنى/ دراسة في دلالة الكلمـــة العربيـــة، ط1، دار وائل، عمان، الأردن، ص87.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

الهامشية أو العاطفية التي تكتنف هذين اللفظين، فاللفظ الثاني يشيع على الألسنة في مقامات كثيرة، فيقال :دخل السجن، ودخل البيت جذلاً، أما اللفظ الثاني فإنه يُلْقي بظلال سلبية على الحدث الكلامي، فإذا ما قيل : ولج الرجل بيت جاره، فإن السامع قد يستشعر أن بغية الرجل السرقة أو نيل مطلب ما.

ومن مواطن هذا الالتفات قول الحق تبارك وتعالى : ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيداً عَلَى هَـؤُلاء﴾(1)، فقد عبرت الآية عن قدوم الرسل للشهادة على أقوامهم بالفعل (نبعث)، ثم تم التحول عنه إلى الفعل (جئنا) عند التعبير عن قدوم سيدنا محمد –صلى الله عليه وسلم - للشهادة على الأمة، وكل من الفعلين يدل على معنى القدوم، ولكنهما يختلفان في تأدية دلالة فردية خاصة . وعلينا ألاَّ ننسى التحول في هذين الفعلين من الماضي إلى المضارع.

ما من شك أن في التحول المعجمي السابق، وكذلك التحول الآخر الذي يعضده دلالة على علو مكانته –صلى الله عليه وسلم - وأفضلية شهادته على شهادات الرسل، إلا أنا لا بد أن نبين علاقة العدول بذلك.

فعند النظر إلى الفعل (بعث) الذي أشار إلى قدوم الرسل نجد أنه يدل على قدوم إنسان بأمر من آخر، في حين إن الفعل (جاء) يدل على قدوم إنسان وحده دون أمر، ممليوحي بكمال العناية بشأنه –عليه الصلاة والسلام - من خلال ما يلمس في (المجيء) من إرادة ذاتية لا تلمس في (البعث)، عضد ذلك إيراد قدومه –عليه الصلاة والسلام - بطريق الخطاب المضاعف لتشريفه بجعله شهيداً على الرسل السابقين وأقوامهم، في إزاء أسلوب الغيبة المسوق في حال الرسل الآخرين الذي لا يرقى بهم إلى حد كرامته –عليه الصلاة والسلام - لاقتصار شهادة كل واحد منهم على قومه ، ناهيك عما نلحظه من أسلوب المعية في قدومه –عليه الصلاة والسلام- (جئنا بك) الذي يوحي بارتباطه بقدوم الله عز وجل، ولعل ذلك كان داعياً للإشارة لأمته –عليه الصلاة والسلا م– بـ(هؤلاء) الدال على الاحتضار الآني لتلك الأمة في مقابل غيبة الأقوام الآخرين(عليهم).

---

(1) سورة النحل، آية 89.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

ومن تلك المواطن قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقاً﴾(1)، فقد أُوثر الفعل (نـادوا) عندما أمـر الله تعـالى المشركين بنداء شركائهم، والتُفت عنه إلى الفعل (دعوهم) عندما كـان ذلـك مـن الضالين.

لعل مما نتفق عليه أن النداء قد يستجاب له وقد لا يستجاب، ذلك إنه "دعـاء للبعيد بأرفع صوت "(2)، ونداء البعيد غير محقق الاستجابة، فـي حـين إن الـدعاء يستلزم الاستجابة بحكم عدم القدرة على الدعاء من بعيد وإلا يصبح نداءً . قال تعالى: ﴿إِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾(3)، فعندما قال للضالين بلفظ النداء الذي لا يستلزم الاستجابة: (نادوا شركائي)كان ذلك لبيان أنهم ما زا لوا في حيـرة بـين اسـتجابة شركائهم لهم وعدم استجابتهم، وذلك لما أصابهم من هول الموقـف الـذي جعلهـم يتأملون بأضعف الحلول للخروج منه، في حين إنه عندما قـال عـز وجـل عـن المضلين بلفظ الدعاء : (فدعوهم)، وأتبعه بعدم الاستجابة، إنما كان ذلك دلالة علـى إثبات نفي إعانة هؤلاء المضلين من أضلوا، حيث إن بطلان الاستجابة لهذا الـدعاء الذي يسلتزم الاستجابة دليل على إثبات عدمها، ولعل ذلك مناسب لما في قوله عـز وجل من أسلوب التوبيخ والتعجيز بتأديتهم أمره تعالى بذلك النداء الذي علـم مـن جهتهم خروجه عن إطار الاستجابة، وذلك لشدة كربهم، وفـرط حيـ رتهم الداعيـة للتشبث بأبعد ما توصل إليه المقدرة، إضافة لما يشير إليه اثبات عدم الاستجابة بعد الأمر بطلبها من الفشل المعاين الذي يضاعف غاية التوبيخ والتعجيز.

وقد تأكدت لدينا هذه الرؤية في إيثار الدعوة على النداء في كثير من الآيات التي تشابه هذا المثال من جنب اعتقاد صاحب الدعاء بتلقي الاستجابة، ومنها قولـه عز وجل: ﴿وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ﴾(4)، وقوله أيضـاً: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن

(1) سورة الكهف، آية 52.
(2) ابن منظور، لسان العرب، ج3، ص611.
(3) سورة البقرة، آية 186.
(4) سورة القصص، آية64.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

﴿يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ﴾[1]، وكذلك قوله: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾[2].

ومن مواطن ذلك أيضاً العدول عن فعل الظلم إلى فعل الكفر في قول الحق تبارك وتعالى: ﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ. فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِن يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ)[3]

والآية الكريمة مسوقة لبيان أن الكافرين لهم نصيب من العذاب كنصيب نظرائهم، وهؤلاء النظراء هم سابقوهم الذين كذبوا بالرسل السابقين، فيخبر الله تعالى رسوله محمداً –صلى الله عليه وسلم - عنهم في الآيات التي تسبق هذه الآية أنهم ما أتى عليم رسول إلا كذبوه، وتقوّلوا عليه الأقاويل ﴿كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾[4]، مبيناً له –صلوات الله وسلامه عليه- أن هذه الفئة الكافرة كما هي موجودة الآن كانت موجودة سابقاً، وكأن أفرادها يتواصون فيما بينهم بالكفر والجحود ﴿أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾[5].

ولعل هذا يوصلنا إلى القول أنه لما كان هؤلاء الكافرون يتواصون بكفرهم على مر الزمان كانت الفئة السابقة تظلم الفئة اللاحقة، لذلك تم إيثار فعل الظلم معهم أثناء بيان أن للظالمين منهم ذنوباً كذنوب نظرائهم الظالمين الآخرين، اعتماداً على تتابع الظالم والمظلوم في هذه السلسلة، وفي حين كان الحديث عن وعيدهم بالنار أوثر فعل الكفر لبيان أنهم جميعاً كافرون، من كان ظالماً منهم أو مظلوماً، أشار إلى ذلك ترتيب الويل بالفاء (فويل) الدالة على ثبوته لهم جميعاً بالعذاب العظيم.

وقد تأكدت لدينا هذه الرؤية بالعدول عن الإضمار إلى الإظهار الذي رافق هذا العدول، فإظهار (الذين كفروا) في موضع إضماره جاء للتدليل على أن الظالمين

---

(1) سورة الأحقاف، آية 5.

(2) سورة سبأ، آية 22.

(3) سورة الذاريات، الآيتان 59، 60.

(4) سورة الذاريات، آية 52.

(5) سورة الذاريات، آية 53.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

والمظلومين معذبون، دفعاً للظن بعذاب الظالمين دون المظلومين، أو بتخفيف عذابهم.

ومن مواطن العدول في هذا المجال أيضاً قوله سبحانه : ﴿الْحَاقَّةُ،مَا الْحَاقَّةُ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ،كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ﴾[1]، فقد تم العدول عن لفظة (الحاقة) إلى لفظة (القارعة)، وكلاهما يشترك في معنى واحد هو يوم القيامة، غير أن كلاً منهما يختص موقعه بدلالة تكشف في كليهما عن وجه المخالفة.

يقول المفسرون: إن الحاقة: الحالة الثابتة الوقوع الواجبة المجيء لا محالة، والقارعة: الحالة التي تقرع الناس بفنون الإفزاع والأهوال، والسماء بالانشقاق والانفطار، والأرض بالدكّ والنسف، والنجوم بالطمس والانكدار [2]، واختلفوا في بيان سر العدول فكان في رأي النسفي (ت710هـ-1310م): إن القارعة توضع مكان الحاقة، لأنهما من أسماء القيامة [3]؛ وفي رأي البيضاوي : إن ذلك زيادة في وصف شدة الحاقة[4].

والحقيقة إننا لا نميل لما جاء في الرأي الأول الذي يصف العدول ولا يفسر السر فيه، وذلك لما نلحظه من تبرير لتناوب الألفاظ ذات الحقل المعجمي الواحد، لمحض الانتماء لذلك الحقل، ودون أي إشارة لظل دلالي يرجى من ذلك التناوب، والذي نميل إليه هو ما أشار إليه البيضاوي بكون العدول زيادة في وصف شدَّة الحاقة، ولكننا لا نكتفي بالوقوف على أطلاله، وإنما لا بد من بيان الدلالات العميقة التي ينبض بها السياق مشيراً لتلك الغاية.

لقد ابتدأت الآية الكريمة بصفة الحاقة التي حذف موصوفها إيذاناً بكمال اتصافها بها، حتى جرت تلك الصفة مجرى الاسم ليوم القيامة، ثم كان الاستفهام عمّا هو علم في ارتباطه بتلك الصفة (يوم القيامة) الذي رافق إظهارها في مواطن الإضمار، الأمر الذي يوحي بتهويل أمرها حتى بلغ درجة الإبهام في موطن

---

(1) سورة الحاقة، الآيات 1-4.

(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج6، ص293؛ البيضاوي، أنوار التنزيل، ص755.

(3) النسفي، مدارك التنزيل، ج4، ص418.

(4) البيضاوي، أنوار التنزيل، ص755.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

المعلوم، ثم كان ذلك الاستفهام الآخر (وما أدراك ما الحاقة؟) مؤكداً هول ذلك اليوم ببيان خروجه عن علوم المخلوقات، وتعاظم شأنه، ومضاعفة شدة هوله بحيث لا تبلغه دراية أحد ولا وهمه، وكيفما قدر حاله فهو أعظم من ذلك وأعظم بحيث لا يتسنى الإعلام، ثم كان بيان ما سُئِل عن ماهيته (الحاقة) بالعدول إلى لفظة القارعة التي وصل إزاءها هول ذلك اليوم لدرجة تم عندها بيان ماهية الحاقة ببعض من عذاب الأقوام الذين كذبوا بها وليس ببيان ذاتها (كذبت ثمود وعاد بالقارعة)، الأمر الذي يضيف إلى جانب الهول هولاً مضاعفاً بكون التحول عن بيان الحاقة إلى بيان عذاب المكذبين بها أمراً يستدعيه عظم عذابها الذي حاز بيانها، وكأنها لا تدل على غيره، فلذا كان العدول إلى لفظة القارعة بدلالتها الجالبة لفنون الإفزاع، وبإيقاعها الذي يملأ نفس الملتقي بتلك الدلالة - أمراً مناسباً لتصعيد هول الحاقة، بكونها بمثابة الإجابة عن الأسئلة التي تخللتها متتالية إظهار لفظة الحاقة، وأشارت لذلك الهول بالتدرج الصاعد في إيهام الحاقة الذي أشير إليه بتعدد المسؤول عنه إثر التقدم في الأسئلة (الحاقة، وما أدراك ما الحاقة؟)، ليصل الإبهام ذروته عند البيان بإهلاك بعض الأقوام في استخدام لفظ (القارعة) الذي يضاعف الهول.

ومن ذلك العدول أيضاً قول الحق تبارك وتعالى: ﴿أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾[1]*، ففي الآية الكريمة عدول عن لفظ (جزاء) إلى لفظ (أجر)، والذي نتفق عليه أن اللفظين في هذا الموقع يتفقان في معنى الثواب الذي هو عكس العقاب، ولكن ما سر هذا العدول؟

يقول البيضاوي في توجيه هذا العدول: "إن المتدارك لتقصيره كالعامل لتحصيل بعض ما فوت على نفسه، وكم بين المحسن المتدارك والمحبوب الأجير، ولعل تبديل لفظ الجزاء بالأجر لهذه النكتة"[2] معتمداً في ذلك على الآيتين السابقتين لهذه الآية، وهما قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ

---

(1) سورة آل عمران، آية 136.
* انظر شواهد أخرى، آل عمران، آية 77 الأنعام، آية 128، النحل، آية89، الزمر، آية20، غافر، آية49، الواقعة، الآيتان13، 14، التغابن، آية9، الملك، الآيتان5، 6.

(2) الزمخشري، الكشاف، ج1، ص218؛ البيضاوي، أنوار التنزيل، ص90.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ، وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ، أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ ﴾(1).

وتعرَّض أبو السعود لذلك بقوله :"... والتعبير عن المغفرة والجنة بالأجر المشعر بأنهما يستحقان بمقابلة العمل، وإن كانا بطريق التفضل لمزيد الترغيب في الطاعات والزجر عن المعاصي، والجملة تذييل مختص بالتائبين (ونعم أجر العاملين) حسب اختصاص التذييل السابق بالمحسنين (أولئك جزاؤهم مغفرة)، ناهيك أن مضمونهما دليلٌ على التفاوت النيّر، والتباين الـ بيّن. شتّان ما بين المحسنين الفائزين بمحبة الله -عز وجل - وبين العاملين الحائزين لأجرتهم وعمالتهم"(2).

والذي نراه أن كلا الرأيين لا يفسران العدول في هذه الآية، فالرأي الأول يبين أن هذا العدول لما بين المحسن والمتدارك من فرق، دون أن يبين هذا الفرق في هذه الحالة وبين الأجر والجزاء أيضاً، كما إنه لم يربط بين المحسن وما يناسبه من الأجر أو الجزاء وكذلك المتدارك . أما الرأي الثاني الذي عدَّ فيه أن جملة (ونعم أجر العاملين) تذييل مختص بالتائبين، فإننا نخالفه فيه، ذلك إن التذييل المختص بالتائبين هو ليس هذه الجملة، وإنـ ما الجملة السابقة لها (أولئك جزاؤهم مغفرة وجنات)، ذلك إنهم عندما عملوا الفاحشة واستغفروا جازاهم الله تعالى بمغفرته لهذه الذنوب ثم بدخول الجنة، أما جملة (نعم أجر العاملين) فهي تذييل مختص بالمحسنين الذين استمروا في عبادة الله تعالى، وأضافوا ذلك إلى إحسانهم، فهم عاملون مدى حياتهم، وبالمقابل فإن جملة (أولئك جزاؤهم مغفرة) لا يصح أن تكون تذييلاً مختصاً بالمحسنين؛ ذلك إن الله تعالى لم يذكر من أوصافهم ما فيه شائبة الذنب حتى يذكر في جزائهم المغفرة.

ولاستكناه سر العدول في هذه الآية لا بد أن نعرف مجال دلالة كلٍّ من الأجر والجزاء، فالأجر يكون في النفع دون الضر (3)؛ قال تعالى : ﴿قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ

(1) سورة آل عمران، الآيات 134 - 136.

(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج2، ص35.

(3) ابن منظور، لسان العرب، ج1، ص24.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾[1]، وقال أيضاً: ﴿فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾[2]، وقال أيضاً: ﴿فَلَمَّا جَاء السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْراً إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ﴾[3]، وقال أيضاً: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَادُواْ وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[4]،أما الجزاء فيكون في الضر والنفع[5]، فقال تعالى: ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[6]، وقال كذلك: ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[7].

وبناء على ما سبق فإننا نستطيع القول: إنه عندما كانت جملة (أولئك جزاؤهم مغفرة..) تذييلاً للتائبين أوثر معهم لفظة (الجزاء) التي تناسب مقابلة أعمالهم السيئة والحسنة، لكون الجزاء يحتمل مقابلة النفع والضر، أما عندما كانت جملة (نعم أجر العاملين) تذييلاً للمحسنين أُثرت معهم لفظة (الأجر) التي تناسب مقابلة أعمالهم الحسنة، لكونها لا تقابل إلا النفع، والله أعلم بمراده، وقد أشار إلى ذلك تفصيل جزاء التائب بالمغفرة ودخول الجنة دون أجر المحسن، لما في حال الأول من حاجة لمعرفة مآله بعد التوبة دون وجود تلك الحاجة في حال المحسن الذي أوكد مقامه في الجنة، ولعل إيثار الجزاء في حال التائبين باعثاً لنظم المغفرة المنبئة عن سابق الذنب في سلك الجزاء.

وقد تأكدت لدينا هذه الرؤية بتكرار استخدام لفظة (الأجر) في حال العاملين، فيقول تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾[8]، ويقول أيضاً:

(1) سورة القصص، آية 25.
(2) سورة الطلاق، آية 6.
(3) سورة الشعراء، آية 41.
(4) سورة البقرة، آية 62.
(5) ابن منظور، لسان العرب، ج1، ص456.
(6) سورة العنكبوت، آية 7.
(7) سورة فصلت، آية 27.
(8) سورة المائدة، آية 9.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

﴿إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ أُوْلَـئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾[1]، وكذلك قوله: ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً﴾[2].

9.1.2 متفرقات:

1.9.1.2 بين التثنية والإفراد:

وموطن هذا الالتفات هو قوله تعالى: ﴿إِنَّ كَثِيراً مِّنَ الأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلاَ يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ، يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَـذَا مَا كَنَزْتُمْ لأَنفُسِكُمْ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ﴾[3].

فقد تم إفراد الضمير العائد على الذهب والفضة في (ينفقونها) و(يحمى عليها) في موطن التثنية، ولو نظرنا إلى بداية الآيات السابقة سنجد شروعاً في بيان حال الأحبار والرهبان* في إغوائهم أراذلهم من خلال ما يعملون من تغيير في الأحكام والشرائع لسلب بعض الأموال بطريق الرشوة؛ فيقول عز وجل: (إن كثيراً من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل)، ثم تم الانتقال المباشر إلى بيان حال كانزي الذهب والفضة، دون بيان جزاء المرتشين بعد ذكرهم، وإنما جاء إيراد الجزاء متأخراً بعد بيان حال الكانز فبشرهم بعذاب أليم، يوم يُحمى عليها ...)، الأمر الذي يدل على اندراج الكانز في سلك المرتشي في استحقاق البشارة بالعذاب الأليم وتلقيه، ولعل ذلك داعياً للعدول إلى ضمير نفي الإنفاق المفرد مختصاً بالفضة التي تقل قيمة عن الذهب في قانون التمول، لما في ذلك من تأكيد لاندراج حائز المال قليل الكم والقيمة في سلك الكانز -لأن اندراج ما هو قليل في سلك الكنز يدل على اندراج الكثير- بمماثلته للمرتشي الذي ينعت بالرشوة ويحاسب عليها بأخذه المال

---

(1) سورة هود، آية 11.

(2) سورة الأحزاب، آية 35.

(3) سورة التوبة، الآيتان 34، 35.

* الأحبار: علماء اليهود، والرهبان: مجتهدو النصارى في العبادة، كانوا يأخذون من أموال أتباعهم ضرائب وفروضاً باسم الكنائس والبيع وغير ذلك، ويوهمونهم أن النفقة في ذلك من الشرع والتزلف إلى الله تعالى، انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، مجلد4، ج8، ص122.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

بطريق الباطل قليلاً أو كثيراً، ولعل هذا باعث لتخصيص الكنز بالذهب والفضة بعد إيراد الرشوة بالأموال، وقد أشار إلى ذلك توحد سبيل الرشوة والكنز بما جاء بعد بيان كلا الحالين، ففي الأولى (يصدون عن سبيل الله)، وفي الثانية (ولا ينفقونها في سبيل الله)، الأمر الذي يزيد المماثلة بينهما.

2.9.1.2 في الإسناد:

من تلك المواطن التي يتم فيها التحول في الإسناد ما أُسند فيه الفعل إلى المفعول بعد إسناده إلى الفاعل، وذلك كقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّاً فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقّاً﴾[1].

فقد عدلت الآية الكريمة عن إسناد فعل الوعد إلى المفعول به في (وعدنا) إلى إسناده إلى الفاعل في (وعد ربكم) لو جرى السياق على نمط واحد لقيل: (فهل وجدتم ما وعدكم ربكم؟ !)، وقد عرض كثير من المفسرين لهذا العدول وكانت آراؤهم فيه كالآتي:

فهو في رأي: "إن ذلك يأتي ليشمل كُلَّ ما وعد الله من البعث والحساب والثواب والعقاب، وسائر أحوال يوم القيامة؛ لأنهم كانوا مكذبين بذلك أجمع"[2].

وفي رأي ثانٍ: "يدل ذلك على أنه تعالى خاطب المؤمنين بهذا الوعد، وكونهم مخاطبين من قبله به أمراً يوجب مزيداً من التشريف، ومزيد التشريف لائق بحال المؤمنين، أما الكافر فهو ليس أهلاً لأن يخاطبه الله تعالى"[3].

وهو في رأي ثالث أيضاً: "إن ما ساءهم من الموعود لم يكن بأسره مخصوصاً وعده بهم كالبعث والحساب ونعيم أهل الجنة"[4].

لعل ما جاء في الرأيين: الأول والثالث مما تُستبعد دلالة السياق عليه، ذلك إن كلاً منهما يناقض الآخر، حيث إن الدلالة على عدم اختصاص وعد الكافرين بكل ما

---

(1) سورة الأعراف، آية 44.

(2) الزمخشري، الكشاف، ج2، ص106؛ أبو حيّان، البحر المحيط، مجلد4، ص303.

(3) الرازي، التفسير الكبير، ج14، ص84.

(4) البيضاوي، أنوار التنزيل، ص206.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

يسوؤهم من بعث وحساب وثواب وعقاب في الرأي الأول، يناقضها الدلالة على اختصاصه بجمع تلك الأمور في الرأي الثالث، ثم إن الدلالة على شمول الوعد لتلك الأمور المكذب بها جميعاً لا يحتاج ذلك العدول، لكون تعدي الكافر بتكذيب تلك الأمور جميعاً معلوم ولا حاجة لبيان كون الوعد شاملاً في مقابلة شمول ذلك التكذيب؛ إضافة إلى أن المدّعى حذف المفعول الأول وهو ضمير المخاطبين (نا)، وما أشير إليه مختص بالمفعول الثاني وهو الحساب والعقاب وسائر الأحوال، فذلك يناسب لو سئل عن حذفه لا حذف المفعول الأول، كما إن عدم اختصاصهم بتلك الأمور جميعاً -في الرأي الأول- يدل على اختصاصهم ببعضها، الأمر الذي يؤثر في حاله ذكر المفعول لا حذفه، لما في إظهار ذاتهم من دلالة على اختصاصهم بذلك.

فلعلنا نرى أن الرأي الثاني هو الأقرب للصواب، وذلك لما توحي به سوابق الآيات من مقابلة تتم عن عظم شأن المؤمنين وعلو مرتبتهم بما سيق لهم من فنون الكرامات ما لا يكتنهه وصف العبارات، مقابل دنو شأن الكافرين الذين حيل بينهم وبين دخول الجنة، بتمثيل استحالته بدخول ما هو عظيم الجرم (الجمل) بما هو علم في ضيق المسلك (ثقب الإبرة)، فيقول عز وجل فيما يسبق الآية التي نحن بصددها:- ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ﴾[1]، ويقول في حال المؤمنين: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ ، وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[2]، الأمر الذي كان داعياً لمزيد التشريف في حال المؤمنين بذكر المفعول الدال على خطابه تعالى لهم، وعدمه في حال الكافرين بإسقاط ما قد يدل على خطابهم تحقيراً وتهويناً لهم، وقد أشير إلى ذلك بما نلحظه في الآيات السابقة من تحول لخطاب المؤمنين (ونودوا أن تلكم الجنة أورثتموها) دون ورود ذلك في حال الكافرين*.

(1) سورة الأعراف، آية 40.

(2) سورة الأعراف، الآيتان 42، 43.

* لعل في هذا الموطن دلالة على ما أوردنا سابقاً في حال الالتفات من الغيبة إلى الخطاب، الذي وجدناه شائعاً في حال المؤمنين ومحصوراً في حال الكافرين؛ إذ إن قلة الانتقال إلى خطابهم مقارنة مع خطاب المؤمنين أمر يمثله عدم خطابهم في هذا الموضع، والله أعلم.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

هذه صور من اجتهادنا في تعليل الفروق عند الاخـتلاف، وقـد لا تكـون الأسباب التي نذكرها هي السر كله، وقد يكون غيرها أدق وأحكم، ولكنهـا صـور مشرقة توجب الوقوف عندما تومئ به من وجوب إعا دة النظر في عجائب القـرآن الكريم، التي تتجلى بشكل فريد في تلك المخالفات الأسلوبية، التي تحفزنا نستجلي لها أبعاداً أخرى ودلالات من خلال ظواهر أخرى، ولا سيما ظاهرة الحذف التي هـي مدار دراستنا في الفصل اللاحق.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

الفصل الثالث

الحذف

يُعَدُّ الحذف من المصطلحات الأقل تذبذباً واضطراباً مع غيره، ذلك إن هذا المصطلح لصيق بدلالته ، الأمر الذي يجعله شائعاً في موروثنا البلاغي ليدل على ظاهرة (الإسقاط في التركيب)، التي نود في هذا المبحث رصدها، واستجلاء دورها في لغة القرآن الكريم إلا أنه لابد من وجود بعض المصطلحات الأخرى التي تواردت مع هذا المصطلح كأي مصطلح آخر في بداية ظهوره ، فمن بين هذه المصطلحات: الإشارة[1]، والاختصار[2]، وشجاعة العربية[3]*.

ولربما كان السبب في إطلاق مصطلحي الإشارة، والاختصار على تلك الظاهرة إلى جانب مصطلح الحذف هو أنَّ هذين المصطلحين دالان على ظاهرتين كان الحذف نوعاً أو جزءاً من كل منهما، فقد جعل ابن رشيق الإشارة ظاهرة تشمل أنواعاً كثيرة إلى جانب الحذف منها : التفخيم، والإيماء، والتعريض، والكناية[4]...، وجعل السكاكي الاختصار ذات الإيجاز الذي يقسم إلى إيجاز القصر، وإيجاز الحذف[5].

---

(1) العلوي، الطراز، ج2، ص88.

(2) ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، تحقيق السيد أحمد صقر، ص230، 231.

(3) ابن جني، أبو فتح عثمان (392هـ-1001م)، 1407 - 1987م، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار ، ط3، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ج2، ص362.

* ورد مصطلحا الإشارة والاختصار في مصادر مغايرة دالين على ظاهرتين تخرجان عن إطار ظاهرة الحذف وهما كالآتي:

الإشارة: لفظة دالة ، واختصار وتلويح يعرف مجملاً، ومعناه بعيد من ظاهر لفظه، انظر : ابن رشيق، العمدة، ج1، ص41.

الاختصار: جعله السكّاكي ذات الإيجاز، بعد أن عرّف الإيجاز أنه: أداء مقصود من الكلام بأقل من عبارات متعارف الأوساط، انظر: السكّاكي، مفتاح العلوم، ص493.

(4) ابن رشيق، العمدة، ج1، ص41.

(5) السكّاكي، مفتاح العلوم، ص493.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

بَيْدَ أنا آثرنا - بطبيعة الحال مصطلح الحذف عنواناً لتلك الظاهرة ، لشيوعه وكثرة تردده في الموروث البلاغي بالقياس إلى تلك المصطلحات ، إضافة لمناسبة الدلالة المعجمية لهذا المصطلح لمضمون الظاهرة ، فتقول المعاجم في معنى الحذف:"حَذَفَ الشيء، حَذَفَهُ حَذْفاً : قَطَعَهُ من طرَفِه وأُذُن حَذْفاء كأنها حُذِفت أي : قُطِعت، والحِذْفَة:القِطْعة من الثوب وحذف رأسه بالسيف : قَطَعَهُ"[1]، وكما نلحظ فإن المادة اللغوية لهذا المصطلح تدور في عمومها حول القطع والإسقاط، وهذا هو صلب الحذف -كما سنرى فيما بعد -.

واللافت للانتباه أن الأمر لم يقف عند توارد مصطلحات أخرى إلى جانب مصطلح الحذف، بل تعدى ذلك إلى أن هذه الظاهرة كان يشار إليها في حقبة متقدمة بمصطلحات دون ذكر للحذف ، وهذا ما نجده واضحاً – على سبيل المثال - في كتاب (مجاز القرآن) لأبي عبيدة، ففي الصفحات الأولى من هذا الكتاب نجد بعض ألوان هذه الظاهرة تحت مصطلح (المجاز)، وذلك حيث يقول أبو عبيدة:

"ومن مجاز ما كُفَّ عن خبره استغناء عنه وفيه ضمير قوله تعالى : ﴿حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾[2] ثم كُفَّ عن خبره "[3]ويقول أيضاً في قوله تعالى : ﴿يَا زَكَرِيَّا﴾[4]: "... مجازه مجاز المختصر كأنك قلت: فقلنا يا زكريا"[5].

فأبو عبيدة انتقل بالمجاز إلى مدلول آخر غير مدلوله (المقابل للحقيقة)، فهو يشمل معاني الألفاظوأساليب التعبير الأمر الذي يدل على اهتمامه بأن القرآن الكريم لم يحد في ألفاظه وأساليبه.

بَيْدَ أن تناوله لتلك الظاهرة كان مقتصراً على مجرد الإشارة إليها، والاستشهاد عليها بما ورد على نهجها في القرآن والشعر العربي ، فهو -على سبيل المثالحينما يعرض للحذف في قوله تعالى :﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا

(1) ابن منظور، لسان العرب، ص591.
(2) سورة الزمر، آية 73.
(3) أبو عبيدة، مجاز القرآن، ج1، ص9.
(4) سورة مريم، آية 7.
(5) أبو عبيدة، مجاز القرآن، ج2، ص2.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

تُوْعَدُوْنَ﴾[1]، يقول:"... فيه مضمر مجازه عند من في السماء رزقكم، وعنده ما توعدون وفي آية أخرى ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ﴾[2] فهذا كله إضمار والعرب تفعل ذلك، قال نابغة العرب:

كَأَنَّكَ مِنْ جِمَالِ بَنِي أُقَيْشٍ يُقَعْقَعُ خَلفَ رِجْلَيْهِ بِشَنِّ*"[3][4]

وقد تناول ابن قتيبة بعض ألوان هذه الظاهرة في كتابه (تأويل مشكل القرآن) فلم يخرج في تناوله لها عن النهج الذي سار عليه سابقه أبو عبيدة، بَيْدَ أنه لم يقدم لها مصطلحاً واحداً يحتويها ويلم أشتاتها المتناثرة في كتابه، فنلحظ أنه يوردها مرة تحت مصطلح (الحذف)، ومرة أخرى تحت مصطلح (الاختصار). فمن الحذف عنده أن تحذف المضاف وتقيم المضاف إليه مقامه، كقوله تعالى: ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِيْ كُنَّا فِيْهَا﴾[5]،أي اسأل أهلها[6] ومن الاختصار القسم بلا جواب، إذا كان في الكلام ما يدل على الجواب، كقوله تعالى: ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقاً، وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطاً، وَالسَّابِحَاتِ سَبْحاً، فَالسَّابِقَاتِ سَبْقاً فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرَاً﴾[7]، واتباعه بقوله سبحانه: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ﴾[8]، دون أن يُؤتى بالجواب لعلم السامع به[9].

([1]) سورة الذاريات، آية 22.

([2]) سورة يوسف، آية 82.

* بنو أقيش: حي من عكل، وقيل من أشجع، انظر: ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد (ت456هـ-1063م)، جمهرة أنساب العرب، راجعه لجنة من العلماء بإشراف الناشر، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1403هـ-1983م، ص199.

يُقَعْقَعُ: يُحَرَّكُ، وأصله من تحريك الجلد اليابس للبعير ليفزع، انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج3، ص132.

بِشَنٍّ: بقربة خَلَقْ (بالية)، انظر: المصدر السابق، ج2، ص371.

([3]) النابغة الذبياني، أبو أمامة زياد بن معاوية (ت18ق.هـ-604م)، ديوان النابغة الذبياني، جمعه وشرحه وعلق عليه محمد الطاهر بن عاشور، الشركة التونسية، الديوان للتوزيع، تونس، 1396هـ-1976م، ص252.

([4]) أبو عبيدة، مجاز القرآن، ج2، ص226.

([5]) سورة يوسف، آية 82.

([6]) ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، تحقيق السيد أحمد صقر، ص210.

([7]) سورة النازعات، الآيات 1-5.

([8]) سورة النازعات، آية 6.

([9]) ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، تحقيق السيد أحمد صقر،ص224.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

وعلى هذا النحو كا نت وقفات البلاغيين[1]إزاء مصطلح الظاهرة وتجلياتها ، لا تستهدف سوى البرهنة على أن كل منها إنما هو مسلك تعبيري له نظائره في الشعر العربي، أي إنهم كانوا معنيين بتبرير الظاهرة لا بتحليلها والكشف عن دورها التعبيري في تشكيل المعنى أو تكثيف الدلالة.

ومما هو جبيلملاحظة أن هذا الاضطراب لم يقف عند حدود المصطلح ، وإنما تعدى ذلك ليشمل مدلوله على هذه الظاهرة ، فعندما نتأمل مسيرة حياة هذا المصطلح في مؤلفات هذا الموروثنلحظ أنه يلتقي بهذه الظاهرة تارة ، ويتجاوزها إلى غيرها من الظواهر البلاغية تارة أخرى.

فعندما ننظر إلى إيراد الجاحظ (ت200هـ-868م) لهذه الظاهرة -على سبيل المثال- نجده يتحدث تحت باب (الكلام المحذوف)عن الحذف تارة ، إذ يقول: ".كلم رجل عمر بن عبد العزيز * في حاجة، وجعل يمتّ بقرابة**، فقال عمر: فإن ذاك،ثم ذكر حاجته ، فقال: لعل ذاك، أي إن ذلك كما قلت ولعل حاجتك تقضى"[2]. وتارة أخرى يورد صوراً تحت هذا الباب لا علاقة لها بالحذف وإنما بالإيجاز، من ذلك:العمائم تيجان العرب "[3]، قاصداً بذلك ما يوحي به ذلك القول من دلالة باطنة تتسع عما في ظاهره، بكونه مشيراً إلى الأصالة العربية، من خلال استبدال التيجان بتلك العمائم، و ذلك من باب إيجاز القصر، الذي يُشير إلى "زيادة

([1]) الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد (ت340هـ-951م)، 1418هـ-1998مفقه اللغة وسر العربية ، تحقيق أمين نسيب، ط1، دار الجيل، بيروت، لبنان، ص408، 409؛ العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله (ت395هـ-1004م)، 1371هـ-1952م، كتاب الصناعتينالكتابة والشعر، تحقيق محمد علي البجّاوي وآخرين، ط 1، دار إحياء الكتب العربية، ص348.

* عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم الأموي، أبو حفص، الخليفة الصالح، والملك العادل، من ملوك الدولة المروانية بالشام، ولد سنة إحدى وستين، وتوفي سنة إحدى وثمانين وستمئة للهجرة، انظر : الزركلي، الأعلام، ج5، ص50.

** يمتّ بقرابة: يتوسّل بها ويتوصّل، انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج3، ص431.

([2]) الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت255هـ- 868م)، (د.ت)، البيان والتبين، تحقيق وشرح عبدالسلام هارون، دار الجيل، بيروت، لبنان، ج2، ص78.

([3]) المصدر السابق، ج2، ص287.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

المعنى على اللفظ دون حذف "[1]، وليس من باب الحذف، وفي إيراده تحت مصطلح الحذف اتساع للمصطلح (الحذف) عن دلالته المنبنية على الإسقاط في التركيب.

فقد عولجت صور الحذف تحت مصطلح المجاز حيناً، وتحت مصطلح الاختصار حيناً آخر، كما دل الحذف على صور لا علاقة لها بهذه الظاهرة في بعض المواقع، حتى كان أول التقاء للظاهرة بمصطلح الحذف -دون توارد أي مصطلح مرافق- على يدي أبي هلال العسكري (ت395هـ-1004م) في القرن الرابع الهجري في كتابه (الصناعتين)فبعد أن أورد الإيجاز قسمه إلى : إيجاز القصر، وإيجاز الحذفوبين بعض صور الحذف بقوله :"... وأما الحذف فعلى وجوه منها: أن يحذف المضاف، ويقوم المضاف إليه مقامه ، ويجعل الفعل له كقوله تعالى: ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ﴾[2]، أي أهلها، وقوله تعالى:﴿الحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ﴾ [3]، أي: وقت الحج"[4].

ما بالنسبة لمعالجة الظاهرة، والكشف عن تجلياتها، ودورها في السياق ، فقد ظل مختفياً حتى القرن الخامس ، فيما لحظناه عند عبد القاهر الجرجاني (471هـ - 1078م)ن تحليل فني لنماذج هذه الظاهرة واستكناه لأغوارها الدلالية ، وكشف عما تزخر به من إيماء وإيحاء *، وتابعه في ذلك بعض البلاغيين أمثال ابن الأثير والسيوطي وبعض المفسرين أمثال الزمخشري وأبي السعود[5].

([1]) القزويني، الإيضاح، ج1، ص287.
([2]) سورة يوسف، آية 82.
([3]) سورة البقرة، آية 197.
([4]) العسكري، الصناعتين، ص181.
* رغم التوسع الذي قدّمه عبدالقاهر الجرجاني، إلا أنه لم يصل إلى الأبعاد الدلالية العميقة التي يختص السياق الفردي بأحدها دون اشتراك غيره بذلك البعد في مواطن كثيرة، وإنما كان ذلك تأصيلاً جيداً لهذه الظاهرةمقارنة مع ما سبقه من العلماء الذين اقتصروا على الاستشهاد للظاهرة دون بيان البعد الدلالي وراءها، انظر: الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني، ص112- 130.
([5]) الزمخشري، الكشاف، ج4، ص100، 698، 751؛ ابن الأثير ، المثل السائر ، ج2، ص87؛ السيوطي، أبو الفضل جلال الدين (911هـ-1505م)، 1408هـ - 1988معترك الأقران في إعجاز القرآن ، ضبطه وصححه وكتب فهارسه أحمد شمس الدين، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، مجلد1، ص242؛ أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج1، ص48، ج3، ص498.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

فعبدالقاهر الجرجاني لم يهتم بحصر مواضع الحذف ، وإنما كان يختار نماذج محددة ويكشف دلالاتها الكامنة، ويستخلص منها المعايير العامة لبلاغة الحذف ، ووظائفه التعبيرية، فهو –على سبيل المثال - عند تعرضه لحذف المفعول في قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِيْنَ يَعْلَمُوْنَ وَالَّذِيْنَ لاَ يَعْلَمُوْنَ﴾(1) يبين أن المراد في حذف مفعول (يعلمون) هو إثبات معنى الفعل، وهو العلم دون الانشغال ببيان المفعول(2).

والواقع إن الاضطراب الذي شهدناه في مصطلح الظاهرة ومدلولها، قد رافق أنواعها، وشروطها، وأدلتها، وغير ذلك من الأمور المختصة بها ، ونود –فيما يلي- أن نتوقف إزاء ثلاث من نقاط هذا الاضطراب، كي نستجلي وجه الخلاف حولها من جهة، والرأي الذي نميل إليه من جهة أخرى، وتلك النقاط هي:

1.3 دليل الحذف:

لقد اشترط بعض البلاغيين وجود الدليل على المحذوف ، وإلا كان الحذف من لغو الكلام ولا يجوز الاعتماد عليه وأول من صرّح باشتراطه ابن الأثير ، وتابعه العز بن عبد السلام الشافعي (ت660هـ-1261م)، والعلوي (ت749هـ-1348م)(3)، وأورد البعض الآخر صور الحذف وأنواعه دون ذكر اشتراط الدليل(4).

ولا نقف مع أصحاب الرأي الأول معارضين من لم يشترط الدليل، وإنما نقف معهم مفسرين عدم اشتراط الآخرين الدليل على الحذف، إذ إننا نلحظ أن الذين لم يشترطوا الدليل هم المتقدمون، ومشترطي الدليل هم المتأخرون، ولا غرابة في ذلك إذ إن الظاهرة كانت في بداية نشوئها ولم تتضح قواعدها وترتكز.

---

(1) سورة الزمر، آية 9.

(2) الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص119.

(3) ابن الأثير، المثل السائر، ج 2، ص81؛ الشافعي، أبو محمد العز عبد السلام الشافعي (660هـ - 1261م)، (د.ت)، الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز، دار المعرفة ، بيروت، لبنان، ص 2؛ العلوي، الطراز، ج2، ص749.

(4) ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، تحقيق السيد أحمد صقر، ص 210-231؛ الثعالبي، فقه اللغة وسر العربية، ص408-411؛ ابن رشيق، العمدة، ج2، ص1020-1036.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

ومما هو جدير بالذكر أننا لا نستطيع أن نحدد الحذف ونقدره إلاَّ عند تأكـدنا من وجوده، وذلك يقتضي وجود الدليل، كما إن الحذف دون دلالة منـافٍ لغـرض وضع الكلام من الإفادة والإفهام.

والأمر اللافت للانتباه أن الخلاف في دليل الحذف لم يقف عنـد وجـوده أو عدمه وإنما تعدى ذلك إلى نوع هذا الدليل، إذ إن الذين اتفقوا على وجوده اختلفـوا في أنواعه وكانوا على رأيين:

الأول: وهو ما جرى عليه ابن الأثير، وتابعه العلوي، ومـؤداه أن الحـذف يظهر إما بطريقة الإعراب، كقولك أهلاً وسهلاً، ذلك إن نصب الأ هل والسهل يدل على ناصب محذوف، وإما أن يظهر بالنظر إلى تمام المعنى، كقولك : فـلان يحـل ويعقد، فإن ذلك لا يظهر المحذوف فيه بالإعراب، وإنما بالنظر إلى تمام المعنـى، أي: يحل الأمور ويعقدها[1].

أما **الثاني:** وهو ما جرى عليه القزويني (ت739هـ-1338م)، ومـؤداه أن أدلة الحذف هي العقل والعادة، ودليل العقل كقوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ المَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الخِنْزِيْرِ﴾[2]، فالعقل يدل على وجود الحذف؛ لأن الغرض الأظهر مـن هـذه الأشياء تناولها، ودليل العادة كقوله تعالى : ﴿لَوْ نَعْلَمُ قِتَالاًلاتَّبَعْنَاكُمْ﴾ [3]، ذلك إنهـم كانوا أخبر الناس في الحرب، فكيف يقولون أنهم لا يعرفونه؟ فلا بد من حذف[4].

وفيما نرى أن ما ذكر في الرأي الثاني لا يمكـن أن يـدل بمفـرده علـى المحذوف، إنما الشمول فيما أورده ابن الأثير ومن بعده، إذ إن هناك من المحذوفات ما لا يمكن أن يدل عليها العقل ولا العادة، مثل ما أورده ابن الأثير (أهلاً وسـهلاً)، فالدال على الحذف في هذا المثال هو الإعراب وليس العقل أو العادة، كما إن دليـل المعنى الذي أورده ابن الأثير يشمل العقل والعادة، بل إن العقل والعادة ما هـي إلا وسائل للدخول إلى المعنى.

---

(1) ابن الأثير، المثل السائر، ج2، ص81؛ العلوي، الطراز، ج2، ص93،92.
(2) سورة المائدة، آية 3.
(3) سورة آل عمران، آية 167.
(4) القزويني، الإيضاح، ص185.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

ونود الإشارة في هذا المجال إلى ما أضافه ابن الأثير، من أن الكلام المحذوف متى أظهر صار إلى شيء غث لا يناسب ما كان عليه أولاً من الطلاوة والحسن[1]، والحقيقة إننا نرى في هذا الشرط تعسفاً في وصف الكلام قبل الحذف، ذلك إن الحذف ليس شرطاً أساسياً يقتضيه السياق في بعض المواطن، وإنْ لم يوجد صار إلى ذلك الكلام إلى شيئاً غثاً، وإنما هو وسيلة لتحسين الكلام وإثراء الدلالة وتقويتها، ويدل على ذلك إنه عند تقدير الحذف في كثير من المواطن لا يصير إلى ما وصف ابن الأثير، وإذا أيدنا ذلك فإنه لا يصح لنا إطلاق ذلك الوصف على السياق قبل الحذف.

2.3 مجال الحذف:

لقد جرى ابن حجّة الحموي (ت387هـ-1433م)، وابن معصوم المدني (ت1120هـ-1708م) على تضييق دائرة الحذف، وقصرها على لون واحد من ألوان الظاهرة، وهو حذف الحرف، حيث يقول الحموي في تعريفه للحذف: "أن يحذف المتكلم حرفاً من حروف الهجاء، أو الحروف المهملة جميعها، بشرط عدم التكلف أو التعسف"[2]، وذهب ابن الأثير، وتابعه العلوي إلى توسيع تلك الدائرة، حتى شملت ألواناً أخرى غير الحرف، فقد قسم ابن الأثير الحذف إلى نوعين: حذف المفرد، وحذف والجملة، ثم أضاف حذف الحرف، من خلال الصور التي أوردها في كتابه[3].

وفي الوقت الذي أضاف فيه ابن الأثير حذف الحرف اللغوي، أنكر وجود حذف الحرف المعجمي، الذي أطلق عليه السيوطي فيما بعد الاقتطاع* مبيناً ذلك

([1]) ابن الأثير، المثل السائر، ج2، ص81.

([2]) ابن حجّة الحموي، أبو بكر علي بن عبدالله (ت837هـ-1433م)، 1412هـ-1991م، خزانة الأدب وغاية الإرب، شرح عصام شعيتو، ط2، دار ومكتبة الهلال، بيروت، لبنان، ج2، ص448 ابن معصوم، أنوار الربيع، ج6، ص176.

([3]) ابن الأثير، المثل السائر، ج2، ص78، 111؛ العلوي، الطراز، ج2، ص93-119.

* سمي بالاقتطاع؛ لأنه يتم فيه استبعاد بعض الحروف الأصلية في الكلمة وإبقاء بعضها الآخر، الأمر الذي يحدث قطعاً يؤثر على المعنى، انظر: السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ج3، ص180.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

بقوله:".... واعلم أن العرب قد حذفت من أصل الألفاظ شيئاً لا يجوز القياس عليه، كقول بعضهم:

كأنّ إبريقَهُم ظبيٌ على شَرَفٍ مفدَّمٌ بِسَبَا الكَتّانِ ملْثومُ[1]**

فقوله:بسبا الكتان، يريد : بسبائب الكتّان، فهذا وأمثاله مما يقبح ولا يحسن، وإن كانت العرب قد استعملته، فإنه لا يجوز لنا أن نستعمله"[2].

وقد جازف ابن الأثير في إنكار هذا النوع الذي تكرر في القرآن الكريم ليقدم ظلالاً دلالية تؤدي دورها في السياق - كما سنرى فيما بعد -.

وقد أضاف ابن جني (ت392هـ-1001م) – إلى ما سبق – نوعاً رابعاً يقع في الحركة[3]، وتابعه السيوطي في ذلك[4].

والحق إن هذا الاتجاه الذي تحدث عنه ابن حجّة الحموي، من خلال اهتمامه بإسقاط الحروف المهملة يعلله اهتمامه بعلم البديع، فهو لا يهتم بالمحذوف بقدر اهتمامه بما يؤدي الحذف من تزيين وتجميل للكلام.

ورغم اتساع دائرة هذه الظاهرة عند ابن الأثير أولاً، وعند ابن جني ثانياً، إلا أننا نرى أن الحذف لا يقف عند هذا الحد، وإنما يتعدى ذلك ليشمل كل ما يمكن إسقاطه من التركيب، بشرط وجود الدليل.

([1]) الفحل، علقمة بن عبده بن النعمان (ت3هـ-124م، وورد أن وفاته كانت قبل الهجرة بزمن طويل، وأنها في 561م، وقيل في 20ق.م، وفي 625م)، 1390هـ-1970م، الديوان، تحقيق لطفي الصقّال وآخرين، دار الكتاب العربي، حلب، سوريا، ص70.

** مُفَدَّمٌ: موضوع عليه الفدام، وهو مصفاة الكوز أو الإبريق، توضع على فمه لتصفية الشراب، انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج2، ص1063=

= سبائب الكتان:سبيبة وهي الشقّة، وارتبطت في هذا البيت بالشُّقة البيضاء من الثياب الرقيقة، أنظر : ابن منظور، لسان العرب، ج2، ص79.

ملثوم:موضوع على فمه اللِّثام، وهو قناع يوضع على الأنف والفم، انظر ابن منظور، لسان العرب، ج 3، ص341.

([2]) ابن الأثير، المثل السائر، ج2، ص113.

([3]) ابن جني، الخصائص، ج2، ص362.

([4]) السيوطي، الإتقان، ج3، ص180- 190.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

PDF Complete
Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages

3.3 فائدة الحذف:

لقد ذكر الشافعي فائدة الحذف بقوله :"... وفائدة الحذف، تقليل الكلام، وتقريب معانيه إلى الإفهام "[1]، أما السيوطي فقد جعل له إحدى عشرة فائدة من بينها: الاختصار، والتفخيم، والتخفيف، والشهرة، والتشريف، والتحقير...الخ"[2].

ولا نحسب أن الفائدة العامة التي ذكرها الشافعي تجمع صور الحذف بدلالاتها الفردية، التي تقوم كل منها بتأدية وظيفة دلالية في سياقها الخاص، كما إننا لا نستطيع التغاضي عما يقدمه الحذف من تقليل للكلام، وتقريب لمعانيه إلى الإفهام، فالذي يمكن اعتماده أن الحذف يؤدي وظيفة عامة تشترك فيها صوره الجزئية، كما إن هذه الصور تختص بوظيفة فردية في مواقعها أحياناً، وتجتمع بعضها لتؤدي وظيفة مشتركة أحياناً أخرى - كما سنلحظ فيما بعد -.

وصفوة الأمر أن هذا الأسلوب إذا افتقد الدليل على محذوفه أو تأدية فوائده فإنه سيخرج عن إطاره، بل إنه يصبح باعثاً على التعمية والغموض، لا وسيلة من وسائل الإيحاء والجمال الفني.

وما تجدر الإشارة إليه قبل الدخول إلى الجانب التطبيقي من هذا الفصل، أن تناول البلاغيين لهذا اللون من الإيجاز كان في عمومه أقرب إلى التناول النحوي منه إلى التذوق التحليلي، فنظراتهم في الأساليب الفنية التي أوردوها في هذه الظاهرة لم تكن -في أغلبها- تتجاوز نطاق النظرة النحوية التي ينصب اهتمامها على تحديد مواطن الحذف، وتقدير المحذوف في كل منها، دون رصد الوظيفة التعبيرية، والقيمة الفنية لذلك في تلك الأساليب.

وبناء على ذلك فإن اهتمامنا في هذا الفصل سينصب على بيان أسرار وخفايا مواطن هذه الظاهرة، ومحاولة تحليل هذه الأسرار معززين بدلالة الأسلوب على تلك الأسرار.

---

(1) الشافعي، الإشارة إلى الإيجاز، ص2.

(2) السيوطي، الإتقان، ج3، ص171- 172.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

4.3 من صور الحذف في مشاهد يوم القيامة:

كما يستشف العطاء الفني للأسلوب من ألفاظه المنطوقة بأنماط ظهورها المختلفة وتحولاتها، يستشف - كذلك - من ألفاظ غير منطوقة، يوحي بها تصميم ذلك الأسلوب، وطريقة بنائه، فيعمد إلى إسقاط بعض عناصر التركيب اللغوي، الذي يشكل بعضاً من التضليل والغموض الشفيف الذي يثير ذهن المتلقي ويحرك خياله، للتعبير عن معان وأغراض لا تتحقق إلا بهذا الأسلوب.

ويعد هذا الأسلوب من الألوان البلاغية التي يعج بصورها القرآن الكريم، الأمر الذي كان دافعاً إلى شيء من التفصيل في مجالات هذه الظاهرة، وفي بيان أسرارها ونكاتها ما أمكن.

ونحدد مجالات الحذف على حسب ما لاحظناه في مشاهد القيامة بما يلي:

1 **حذف جزء الجملة.**

1 حذف المبتدأ .
2 حذف الخبر .
3 حذف الفاعل.
4 حذف المفعول.
5 حذف المضاف.
6 حذف المضاف إليه.
7 حذف الموصوف.
8 حذف الصفة.
9 حذف الجار والمجرور .
10 حذف الحال.
11 حذف القسم.
12 حذف المخصوص بالمدح أو الذم.
13 حذف الحرف.
أ حذف حروف الجر .
ب حذف ياء النداء.
ج حذف العائد.
د حذف التاء.
هـ حذف النون.
و حذف الياء.
14 متفرقات.
أ حذف المصدر .
ب حذف التمييز .
ج حذف الموصول الحرفي.
د حذف حرف التحقيق (قد).
هـ حذف الواو .
و حذف الفاء.

2 **حذف الجملة.**

1 حذف جملة الشرط.
2 حذف جملة جواب الشرط.
3 حذف جملة جواب القسم.
4 حذف جملة القول.
5 حذف العامل.
6 حذف المقابل.
7 حذف جملة السبب.
8 حذف جملة المسبب.
9 حذف جملة المعطوف عليه.
10 حذف جملة المعطوف.

3 **حذف أكثر من جملة (تركيب).**

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

وقبل الولوج إلى دراسة صور هذه الظاهرة، ورصد القيمة الفنية لها، ولوظيفتها، نود أن نشير إلى أن منهج كثيرمن علماء البلاغة [1]؛ قدماء ومحدثين الذين عنوا بأغراض هذه الظاهرة - يعتمد على تحديد الأغراض البلاغية لمجالات الحذف، ثم التمثيل على تلك الأغراض، وهو بذلك يضيق عن الاتساع للأغراض والنكات التي يقدمها البيان المعجز، والتي تختص في بعض مواقع هذه الظاهرة دون غيرها التي تقدم أغراضاً مختلفة في مواطن أخرى - كما سنرى فيما بعد -، الأمر الذي قادنا إلى بيان أغراض صور هذه الظاهرة ونكاتها في إطار الصورة المفردة، ممثلين بمثيلاتها التي تشابهها في تقديم ذات الغرض إن وجد هذا التشابه.

وسنعرض فيما يلي لتلك المجالات مبينين ما ينطوي عليه الأسلوب من نكات وأسرار:

1.4.3 حذف جزء الجملة: ويقع في أربعة عشر نوعاً، وهي كالآتي:

1.1.4.3 حذف المبتدأ:

ومن مواطن حذفه قوله تعالى : ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ، الَّذِي جَمَعَ مَالاً وَعَدَّدَهُ ، يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ كَلَّا لَيُنبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ ، نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ ، إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ، فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ﴾ [2]. إذ التقدير: هي نار الله الموقدة.

وحذف المبتدأ في هذا الموطن؛ لئلا يفقد الذكر العبارة وقعها القوي السريع المؤثر في النفس، فالسورة تبدأ بهذا الإنذار الرهيب (ويل) لذلك الشخص العيّاب للناس، الكثير السخرية منهم بحركاته، المستهزئ بالأقدار، وقد أوتي المال فاستهواه جمعاً وعداً، حتى ليظن أن المال ليخلده ويدفع عنه الموت والعذاب، من ثم يكون هذا

([1]) الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 116-126؛ ابن أبي الإصبع، أبو محمد زكي الدين عبد العظيم بن عبدالواحد (654هـ - 1256م)، (د.ت)، بديع القرآن، تحقيق محمد شرف، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، مصر، ص 186، 187؛ القزويني، الإيضاح، ص 178، 179؛ السيوطي، الإتقان، ص171، 172؛ مطلوب، أحمد، 1401هـ - 1980م، أساليب بلاغية (الفصاحة، البلاغة، المعاني)، ط1، دار غريب للطباعة، القاهرة، مصر، ص164-167م.

([2]) سورة الهمزة، الآيات 1-9.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

الرفض الزاجر الرادع لكل ما سبق، والإنكار الشديد لهذا المسلك في (كلاَّ)، مرتبطاً بما ينتظر صاحبه من عذاب شديد، ألا وهو التحطيم لكيانه وكبريائه، وقد تردى منبوذاً في نار جهنم.

وهنا يكون النسق قد تصاعد مصوراً هول هذا المصير تصويراً لا حد له، من خلال الربط بين ما سبق وهذا الاستفهام(وما أدراك ما الحطمة؟)، وهو استفهام يوحي بتجاوز العذاب والتحطيم لحدود التصور، ومن ثم لا بد من حذف المسند إليه في جواب هذا الاستفهام، ليكون الرد م تناسقاً مع هذا التصعيد للعذاب، فيكون مباشرة: نار الله الموقدة، وتشتد حالة التصعيد لهول العذاب بإضافة (نار) لله سبحانه وتعالى، ثم وصفها بهذا الاسم (الموقدة)، ثم التهامها لفؤاده وقد أغلقت عليه، حيث لا نصير، ولا منقذ، ولا معين، وقد وثق في جوف هذا اللهيب إلى عمود من حديد.

ويضاعف ما سبق اختيار ألفاظ ذات إيقاع خاص تتعاون على تجسيم هول هذا العذاب(كلا -لينبذن -تطلع -ممددة) خاصة الحطمة وما توحي به من التهشيم والتكسير، وتكريرها بإيقاعها وإيحائها، لتمتلئ نفس المتلقي إحساساً بهول جهنم، ومصير هذا الهامز اللامز جمّاع المال.

ومن المواطن التي قال البلاغيون في بيان فائدتها : إنها للاحتراز عن العبث قول الحق سبحانه : ﴿وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ، كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[1]، والتقدير: هي أساطير الأولين[2].

ونحن نرى أن حذف المبتدأ في هذه الآية الكريمة ليس لمجرد الاحتراز عن العبث، بل هو بالدرجة الأولى للإيحاء بالهوة الكبيرة بين القرآن الكريم وأساطير الأولين، ذلك إنه ما من شك في قوة العلاقة بين المبتدأ والخبر وتعـ لق كلٍّ منهما بالآخر، الأمر الذي يدل عند حذف أحدهما على اختلال هذه العلاقة ونقص الارتباط – من جهة بلاغية دلالية – بينهما، يناظر ذلك نقض الارتباط في الدلالة العميقة بين

(1) سورة المطففين، الآيات 12-14.

(2) مطلوب، أساليب بلاغين، ص160.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

آياته تعالى وتلك الأساطير، مما يوحي بمدى البعد والاختلاف بين كلام الله المعجز، وما يلصقه كل معتد أثيم بآياته تعالى.

أشار إلى ذلك قصر التكذيب بالآيات على الفئة التي وصفت بالإثم والعدوان (وما يكذب به إلا كل معتد أثيم)، لما في فعلهم من تجاوز حدود النظر والاعتبار، وغلو في التقليد، حتى صار الأمر بأحدهم إلى التقريب بين طرفين أبعد ما يكونان عن بعضهما عند التقريب بينهما (الآيات والأساطير)، ثم يأتي ذلك الإنكار الرادع بـ(كلا)، ليومئ بالبعد نفسه بين هذين الطرفين المتباعدين، من خلال بيان أن وصف صاحب ذلك الغلو لا يقف عند الإثم والعدوان، بل يتعدى ذلك إلى وصوله إلى درجة من الكفر والطغيان أصبح عندها كمن غطى قلبَه الصدأ، حتى صار إلى حالة يقرب فيها البعيد ويبعد القريب(كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون)، فكان في ذلك تصويراً لمكابرته في مماثلة ذنيك الطرفين.

ومن تلك المواطن قوله تعالى : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ۝ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَداً سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾[(1)]، والتقدير: بل هم عباد مكرمون.

وقد وقف أحد الدارسين المحدثين عند هذا الإسقاط مبيناً أن غايته الاختصار[(2)]، ولا نقف مع هذا الرأي الذي تـ ردد في كتب البلاغة والتفسير إزاء هذه الصورة وكثير من مثيلاتها، والتي نرى في كثير منها أسراراً خاصة يقتضيها السياق.

وفي الآية ردّ على المشركين الذين ادّعوا اتخاذ الله ولداً من رسله -عليهم السلام- لكن ذلك الادعاء كان باتخاذه ولداً لا أولاداً على الرغم من تـ عدد الرسل؛ وذلك لأنه مقال فريق واحد من المشركين وليس جميعهم *، ثم كان الانتقال إلى الجمع أثناء الإضراب بـ (بل) المبطل لتلك المزاعم والمؤكد لانزوائهم في صف عبيده المقربين(بل هم عباد مكرمون)، الأمر الذي كان داعياً لإسقاط الضمير (هم)،

([1]) سورة الأنبياء، الآيتان25، 26.

([2]) أبو شادي، مصطفى عبد السلام، 1413هـ - 1992م، الحذف البلاغي في القرآن الكريم، مكتبة القرآن، القاهرة، مصر، ص49.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

والذي لو أدرج في السياق لـ كان متعلقاً بـــ (ولداً) المفرد، مما سيوحي إما بشـــمول ادعائهم لاتخاذه جميع الرسل أولاداً –من خلال عودة ضمير الجمع (هم) على الاسم المفرد -، أو اقتصار صفة التكريم (مكرمون) على من وقع تحت الادعاء فقط؛ وذلك لأن الضمير إما سيرتبط بما قبله بحكم عودة الضمائر وارتباطها بالاســم الظـــاهر قبلها، أو سيرتبط بما بعده بحكم تناسب دلالته على الجمع مع الدلالة نفســـها فيمـــا بعده، فتم الإسقاط لشمول تلك الصفة جميع الرسل – عليهم السلام – مـــن جانـــب، وجعلها لصيقة بهم من جانب آخر تحقق بإنزال صفة العبودية في الخبـــر (عبـــاد) منزلة ضميرهم تأكيداً لها في ذواتهم.

ومن ذلك الحذف قوله تعالى: ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ، أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ، لِيَوْمٍ عَظِيمٍ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ، كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ ، كِتَابٌ مَّرْقُومٌ﴾[1]**، وقد وقف مصطفى عبد السلام أبو شادي عند هذه الصورة مبينـــاً أنها من باب حذف المبتدأ، وتقديره: كتاب الفجار كتاب مرقوم، وأنه حذف لدلالـــة الخبر عليه اختصاراً[2].

ونود أن نشير قبل بيان الغاية التي يرمي إليها هذا الإسقاط إلـــى أن المبتـــدأ المحذوف ليس (كتاب الفجار)، وإنما هو الضمير (هو)، ذلـــك إن جملـــة (كتـــاب مرقوم) ليست تفسير لـــ(كتاب الفجار)، وإنما هي تفسير لـــ(سجين).

أما بالنسبة للغاية التي نقدرها في بيان هذا الإسقاط، فنرى أنها متعلقة بهـــول الكتاب الموسوم بـــ(سجين)، والذي يقول في بيانه المفسرون: "كتاب جامع دونت فيه أعمال الكفرة والفسقة من الثقلين، ويختلف عن الكتاب الذي خصَّه الله تعـــالى لكـــل

* الفريق هو حي من خزاعة، يقولون الملائكة بنات الله، والرسل أبناؤه ....، انظر: أبو الســـعود، إرشـــاد العقل السليم، ج4، ص332.

(1) سورة المطففين، الآيات 3 -9.

** انظر: شواهد أخرى، النساء، آية 41، إبراهيم، آية 43، طه، آية 76، مريم، آية 61، الفرقـــان، آيـــة 26، القمر، آية 5، الواقعة، الآيات، 3، 13، 39، النبأ، الآيتان، 26، 37، المطففـــين، الآيـــات، 9، 13، 20، الطارق، آية 2، القارعة، آية 11، الهمزة، آية 6، فاطر، آية 33، فصلت، آية 28.

(2) أبو شادي، الحذف البلاغي في القرآن الكريم، ص48.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

واحد من عباده، وهو مطروح في الأرض السابعة في مكان مظلم موحش، وهو مسكن إبليس وذريته "[1]، وقد عضد تلك الدلالة ما ينبض به السياق من إشارات كثيرة تبتدئ بذلك الاستفهام التعجبي من إنكارهم البعث (ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون؟) رغم هول ما ارتكبوا من التطفيف، علاوة على ما في الإشارة الموضوعة مكان ضميرهم من إشعار بذات الشيء (أولئك)، لما في الإشارة إلى الشيء من اعتراض لـ ه من حيث اتصافه بوصفه، وفي ذلك دلالة على أنهم ممتازون في ذلك الوصف القبيح عن سائر الناس أكمل امتياز، نازلون منزلة المشار إليه إشارة حسية تقدم دلالة واضحة على البعد الذي يشعر بعلو درجتهم في الشرارة والفساد، فكل ذلك التجاوز لحد المعقول مناسب لسياق تهويل عذابهم، ثم كان ذلك الإنكار الرادع بطريق التحقيق (كلا) لذلك التطفيف وتلك الغفلة عن البعث -الذي ينمّ عن حادث فظيع -، يصبُّ في إناء المدلول السياقي ذاته، ولا سيما بإتباعه صيغتي المبالغة: (الفجار)مناسبة لعظيم ذنب المطففين، و (سجين) المضعفة لأشنع مآل وهو السجن المشير إلى الحبس والتضييق، ثم كان الاستفهام عن ذلك الكتاب بالسؤال الدال على التهويل المضاعف بصيغة الإبهام في و(ما أدراك ما سجين)، أشار إلى ذلك حذف ضمير الشأ ن قبل (سجين)، حيث إنه لم يقل مَا هو سجين؟ وإنما قال : ما سجين؟ لما في ذلك من توسيع لدائرة الإبهام المناظر لهول ذلك الكتاب، الذي وصل إلى درجة عظيمة لا تبلغها دراية أحد، فكأن إسقاط المبتدأ -الذي لو ذكر لكان إشارة لتوضيح ذلك اليوم (هو كتاب مرقوم) -ما هو إلا درجة في سلّم ذلك التهويل، الذي كان ظهوره أثناء السؤال داعياً لوجوده أثناء تفسيره.

2.1.4.3 حذف الخبر:

يعد حذف الخبر من المجالات الأقل ظهوراً في آيات يوم القيامة، ذلك إنه من العناصر التي يصعب الاستغناء عنها ف ي الجملة، لما يؤدي من وظيفة مهمة في تمام المعنى.

([1]) أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج6، ص396؛ البيضاوي، أنوار التنزيل، ص789.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

ومن مواطنه قوله تبارك وتعالى : ﴿مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وِظِلُّهَا ﴾[1]، والتقدير: أكلها دائم، وظلها دائم. وقد وقف غير قليل من المفسرين والبلاغيين أمام هذه الصورة مختلفين في بيان غاية الإسقاط فيها، فكانت في رأي، لوجوب حذف النعت المقطوع[2] على اعتبار أن المحذوف نعت -، وفي آخر، لدلالة ما قبل المحذوف عليه[3]، وفي رأي ثالث للاحتراز عن العبث وعدم ذكر ما لا ضرورة لذكره[4].

والحقيقة إن تعليل الحذف هنا بمثل هذه الآراء أمر غير مقنع، فغاية الاحتراز عن العبث –مثلاً- لا تتعدى دائرة الصحة والصواب في الأسلوب، والبلاغة لا تقف في دراستها عند مستوى الصحة بل تتجاوزه إلى مستوى الجمال الفنّي، كما إن الرأي الأول فيما لو أخذنا بكون المحذوف نعتاً - هو من صميم الدراسة النحوية، ولا دخل له في علم المعاني، فبيان الغاية من خلاله ليس إلا لوناً من ألوان التوجيه الإعرابي.

ولنا في توجيه الحذف في هذه الصورة نكتة أخرى تؤدي بعداً دلالياً يخرج عمّا يماثل هذه الغاية، ويختص بطبيعة اقتران الأكل التي هي الثمار[5] بالظلال، من خلال مصدرهما الموحّد بتلك الشجرة المنتجة لهما، على اعتبار أن توحّد المصدر سيوحّد الديمومة لكل منهما، فما إن تبقى الشجرة نامية حيّة حتى تستمر الثمار بالنضوج وتدوم الظلال، هذا من جانب، ومن جانب آخر، فإن ذكر الخبر نفسه في حال الأكل وحذفه في حال الظلال ما يعود لاتّكاء الثمار على الأوراق – التي هي مصدر الظلال - في حاجتها الغذائية اتّكاء يستلزم استمرار بقاء الأوراق حتى تستمر الثمار، وعدم وجود الاتّكاء بالاتجاه المعاكس، فاعتماد الأولى على

---

(1) سورة الرعد، آية 35.
(2) السيوطي، الإتقان، ص185.
(3) الصابوني، محمد علي، 1414هـ - 1993م، صفوة التفاسير، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، مجلد3، ص88.
(4) مطلوب، أساليب بلاغية، ص165.
(5) أشار أغلب المفسرين إلى أنها الثمار، انظر: أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج 3، ص462؛ البيضاوي، أنوار التنزيل، ص333.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

الثانية كان مفهماً أن ديمومة الثانية تدل على ديمومة الأولى، مما كان داعياً لإسقاطها من السياق، لذلك تم تقديم الأكل على الظلال، ولو سيق ذلك معاكساً لما صحّت هذه الغاية.

ولذلك الإسقاط سبب آخر، يشير إليه ما في بداية الآية من التمثيل للجنّة بالصفات العجيبة الشأن، التي أصبحت بها كالمثل الغريب عمّا ألفه الإنسان في حياته تكريماً لأصحابها ﴿مَثَلُ الجنة التي وُعِد ...﴾، وكان في تقديم ما يمثّل ذلك، جريان الأنهار من تحتها، ثم دوام الأكل، ثم دوام الظلال، إلا أن دوام الظلال لا يقدّم في معرض التمثيل على أنماط الغرابة بتلك الديمومة التي شهد الإنسان ما يماثلها في حياته بوجود بعض النباتات دائمة الخضرة المستمرة الظلال؛ على خلاف ما في ديمومة الثمار من غرابة لم يألفها الإنسان في حياته، الأمر الذي كان داعياً لإظهارها في حال الثمار وإسقاطها في حال الظلال.

ومن تلك المواطن قوله تعالى: ﴿لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ، سَلَامٌ قَوْلًا مِن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾[1] ففي الآية حذف الخبر تقديره: سلامٌ عليكم أولكم، وقد بيّن الزمخشري في توجيه تلك الصورة ومثيلاتها أن الحذف لبيان أن تحية الله تعالى أفضل من تحيتهم[2]، وفي رأي الميداني أن ذلك للعلم به[3].

وما نقدره في توجيه هذا الإسقاط يبتعد عمّا جاء في الرأيين السابقين، وذلك لما نلحظه في الرأي الأول –مثلاً- من عدم بيان الرابط بين الإسقاط وتفضيل التحية الذي لا نرى له علاقة بحذف ما يدّل على مستقبِل التحية، والذي قد يكون من شأنه أن يؤدي غاية مختصّة في ذاته وليس تلك الغاية، أمّا ما ذهب إليه الميداني فإنه لا يتعدّى درجة المعرفة أو عدمها، التي لا تعدو كونها دليلاً على المحذوف لا غاية لحذفه.

والذي نقدره في ذلك يعتمد على الأسلوب الذي وُجّه من خلاله ذلك السلام لتلك الفئة، فقد ابتدأت الآية بما يوحي بمدعوٍ عظيم الشأن، حقيقاً بالدعاء، وهو طلب

([1]) سورة يس، الآيتان 57، 58.

([2]) الزمخشري، الكشاف، ج4، ص401.

([3]) الميداني، معارج التفكر، ج6، ص162.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

تحيته تعالى، نبّه به الإبهام بالموصول (ما يدّعون)، ثم التصريح به (سلام) روماً لزيادة التقرير بالتعظيم بعد التشويق، وأُشير إليه أيضاً بوصول التحية إليهم بعد الدعاء (ما يدّعون) في موطن تُعرض فيه أنواع الكرامات (الجنّة)على تلك الفئة دون الدعاء للحصول عليها، دلّ على ذلك أيضاً عدم الاكتفاء بعطف (ما يدّعون) على (فاكهة)، وتعدّي ذلك إلى إدراج السلام، الأمر الذي يؤذن باختلاف الجانبين في الأهمية، بل ومضاعفتها في الثاني (السلام)، لعدم الاكتفاء بالموصول الذي سيدل على وجود السلام ضمناً، الأمر الذي كان داعياً لتوجيه تحيته تعالى لتلك الفئة بطريق غير مباشر، أشار إليه قوله تعالى :(قولاً من ربٍّ رحيم) بعد توجيه التحية، فلو كانت بطريق مباشر لسبق القولُ المقالَ، كأن يقال : قال الرحيم: سلام، لذا لمّا كان السلام منقولاً بطريق غير مباشر تمّ إسقاط الخبر (عليكم)، المسوق بطريق التكلّم الذي يوحي بالخطاب المباشر منه تعالى.

ويؤكد تلك الرؤية ما نلحظه من ذكر المحذوف في حال كون التحية موجّهة بالطريق المباشر، كقوله تعالى: ﴿وَالمَلاَئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ، سَلاَمٌ عَلَيْكُم﴾(1).

ومن تلك المواطن أيضاً قوله تعالى : ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ، بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ﴾(2)*، وقال بعدها: ﴿وَحُورٌ عِينٌ﴾(3)بالرفع عطفاً على ولدان مخلّدون .

والحق إن الحور العين لا يطاف بهنّ، فلا بد من تقدير محذوف: ولهم حورٌ عين.

والآية الكريمة مسوقة في معرض بيان علو مآل المقرّبين، من خلال تعجيب السامع من شأنهم العظيم في ذلك المآل، مقارنة مع أصحاب الشمال، وأصحاب اليمين، إذ يقول تعالى فيما يسبق هذه الآية : ﴿فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ، وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَة ،وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ، أُوْلَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾(4)، ممّا كان داعياً لسوق ما

---

(1) سورة الرعد، الآيتان 23، 24.

(2) سورة الواقعة، الآيتان 17، 18.

* انظر شواهد أخرى، هود، آية105، الكهف، آية29، الزمر، آية68.

(3) سورة الواقعة، آية 22.

(4) سورة الواقعة، الآيات 8-11.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

ينبئ عن علوّ منزلتهم في الفضل، ورقيّ مراتبهم إلى حظائر القدس، للإيماء بترامي حالهم عن حالي الطرفين الآخرين في الخير، ولا سيما أصحاب المشأمة، دلّ على ذلك إيرادهم بعنوان السبق مطلقاً (السابقون)، الأمر الذي يدلّ بمعيّة تكرار المفردة على إحرازهم لقصب السبق من جميع الوجوه، ثم الإشارة إليهم بما يدلّ على بعد منزلتهم في الخير (أولئك)، وإتباع ذلك بالنعت الجليل (المقرّبون) الذي يشير إلى ذات المنزلة، فكان إيتاء الحور الحسناوات من الفضائل والكمالات التي حازوها في تلك المنزلة متفضّلين على غيرهم، وكانت هذه الحيازة بطريق يومئ بعرض هذه الحسناوات عليهم، من خلال إنزالهنّ منزلة ما يُطاف به من الأكواب والأباريق على الرغم من العلم بعدم الطواف بهنّ، لِما في ذلك من إشعار بعلوّ مرتبة هذه الفئة عن الفئتين الأخريين، لذلك اختلفت الطريقة في حال بيان تنعّم أصحاب اليمين بذات الأمر، فقال تعالى: ﴿وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ، إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاء، فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا، عُرُبًا أَتْرَابًا﴾[1]، فلم يشر إلى عرضهن عليهم أو الطواف بهنّ.

ومن مواطن هذا الحذف أيضا قوله تعالى: ﴿هَذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ، جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾[2]، والتقدير: هذا ذكر.

لعلنا نلحظ في آية سابقة على هذه الآية بياناً لمآل المتقين بالأسلوب نفسه الذي نحن بصدده دون وجود حذف الخبر فيه، وذلك في قوله تعالى: ﴿هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ﴾[3]، فما الداعي الذي اقتضى الحذف في أحد هذين السياقين المتماثلين دون الآخر؟

يقدم الله تعالى فيما يسبق الآية التي توضح مآل المتقين ذكراً للمتقين السابقين، ومنه باب مشتمل على ذكر من مضى من الأنبياء، فيقول تعالى: ﴿وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُوْلِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ، إِنَّا أَخْلَصْنَاهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ، وَإِنَّهُمْ عِندَنَا

(1) سورة الواقعة، الآيات 34-37.
(2) سورة ص، آية 55
(3) سورة ص، آية 49.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ ﴾[1]، في حين إن الآية التي توضح مآب الطاغين لم يسبقها أي ذكر لهم.

فنريد أن نقول: نحن نعلم ارتباط الذكر بالكلام الصالح دون غيره* -: إن المتقين لمّا كانوا أصحاب ذكر صالح، ذكر معهم ذلك لمناسبة الحال، وعندما كان الطاغون لا ذكر لهم حذفت هذه المفردة للدلالة على خلوهم من شأنها تحقيراً لهم، ولا يخفى ما في السياق من أسلوب تحقيري هيمن على الدلالة الخفية فيه، ولا سيما بما نلحظه في أسلوب التحول من الإخبار عن المتقين إلى خطابهم في قوله تعالى: ﴿وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ ... مَا تُوعَدُونَ﴾[2]، دون جريان ذلك في حال الطاغين، لكون الخطاب منه جل وعلا في حال المتقين أليق بمقام الامتنان والتكريم، على خلاف مقام التحقير والتهوين في حال الطاغين المناسب لأسلوب الغيبة الدال على غيبتهم عن نعيم الآخرة.

3.1.4.3 حذف الفاعل:

لقد قصر السيوطي الحذف في هذا المجال على فاعل المصدر[3]، ممثّلاً عليه بقوله تعالى: ﴿لَا يَسْأَمُ الْإِنسَانُ مِن دُعَاءِ الْخَيْرِ﴾[4]، أي: دعائه الخير، ووسّع ابن الأثير مجاله ليشمل كل فاعل مُسقط من السياق، بشرط دلالة الكلام عليه[5]، ممثّلاً عليه

([1]) سورة ص، الآيات 45-47.

(*) من دلالات الذكر التي تجعله مرتبطاً بالكلام الصالح؛ الصيت، والثناء، والشرف، انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج1، ص1072.

([2]) سورة ص، الآيتان 52، 53.

([3]) السيوطي، الإتقان، ج3، ص186؛ السيوطي، معترك الأقران، مجلد2، ص246.

([4]) سورة فصلت، آية 49.

([5]) ابن الأثير، المثل السائر، ج2، ص92.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

بقوله تعالى: ﴿حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ﴾[1]، أي: توارت الشمس، وقوله تعالى: ﴿إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ﴾[2]*، أي: بلغت الروح أو النفس.

ولا يخفى ما في رأي السيوطي من تعسّف يوحي بإطلاق الرأي بطريق مباشر من غير ر ويّة، ولا استناد إلى دليل، فما ساقه ابن الأثير هو من باب حذف الفاعل لا محالة، لكون الفاعل مُسقطاً في تلك الأمثلة من غير سابق ذكرٍ له في الآيات، بالإضافة إلى وجود الدلالة العقلية على المحذوف في الآيات، فمن المعلوم أن الروح هي ما يبلغ التراقي لا غيرها، وأن ا لمتوارية بالحجاب في الآية هي الشمس، وهما غير مذكورتين، فلا بد من تقدير المحذوف.

ورغم ذلك فإننا نضيف إلى ما سبق الاستغناء عن الفاعل في حال بنائه للمجهول، مع أنه يدخل في باب الواجب الذي يجعل له سبباً تقديريّاً في نظام اللغة، أدرجناه هنا لما نرى من أسرار ودلا لات يؤديها ذلك الاستغناء تخرج عن إطار التعليل اللغوي له، دون ذكرٍ سابق لذلك المحذوف الذي جاء في مواطن دون غيرها كما سيتّضح فيما بعد - كما جرى في مواطن أخرى على حين العلم بالمحذوف، الأمر الذي يدعو إلى التساؤل.

ومن مواطن ذلك الاستغناء قوله سبحانه : ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ، وَأُتْبِعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ بِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ﴾[3]، حيث تمّ الاستغناء عن الفاعل في (اتبعوا) لبنائه للمجهول، وقد بيّن البقاعي أن هذ ا الحذف لأن المنكي* الفعل لا كونه من معيّن[4].

---

(1) سورة ص، آية 32.

(2) سورة القيامة، آية 26.

* أما العلماء الذين لم يحددوا حذف الفاعل فقد اقتصر معظمهم على ذات الصور التي وردت عند ابن الأثير، الأمر الذي يدل على عدم قبولهم هذا التحديد، انظر: العلوي، الطراز، ج 2، ص103؛ مطلوب، أساليب بلاغية، 214.

(3) سورة هود، الآيتان98، 99.

* المنكي: المقصود، من نكاية العدو، أي: قصد إصابته، انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج3، ص720.

(4) البقاعي، نظم الدرر، ج3، ص88.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

تمثّل الآيات عظيم جرم قوم فرعون النـــاتج عــن فــرط الجهالــة، وعــدم الاستبصار لغواية علم الفساد والضلال (فرعون)، المتقدّم لهم يوم القيامة في طريق السقوط في الهاوية جزاء لما كانوا عليه من التكبّر الأكيد، والجحود المحقّ ق لتقدّمهم في الكفر، وقد أشار إلى ذلك ورود اتّباعهم أمر فرعون بطريــق مباشــر لقــدوم الرسول –عليه السلام – لدعوتهم، مما يومئ بكون أمر كفره وقومه غير محتاج إلى الذكر الصريح فيقول فيما يسبق هذه الآية -: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ﴾[1]، دلّ على ذلك التحقّق إسقاط التركيب الدّال على دعــوة الرسول لهم بعد الإرسال، إذ التقدير : وسلطان مبين، فدعاهم إلــى الله، فأعرضــوا واتبعوا أمر...، وترتيب اتّباعهم أمر فرعون بالفاء (فاتّبعوا)بعــد ا لقــدوم ولــيس الدعوة، الأمر الذي يزيد فداحة الجرم، ويعظّم الاستكبار المشهود، بما يشير إليه ذلك الإسقاط (إسقاط التركيب) من الرفض المباشر لما جاء بــه الرســول قبــل قيامــه بدعوتهم، فكان ذلك داعياً لتمثيل دخولهم النار وفرعون بالواردة التي يتقدمها القائــد إلى المورد تما شياً مع حالهم، وداعياً أيضاً لإتباعهم لعنة يتعدّد إزاءهــا اللاعنــون بتطاول الزمان، منذ إهلاكهم إلى بعثهم، وحَسُن عندها إسناد الفعل إلى المفعول لعدم القدرة على تحديد اللاعنين وإظهارهم في السياق، دلّ على ذلك إيثار الإشارة إلــى الدنيا (في هذه) على اسمها، لما في الإشارة من دلالة على الاحتضار الذي يــومئ باستمرار اللعنة لهم إزاء كل قارئ على مر الزمان، إضافة لما يوحي بــه تنكيــر اللعنة (لعنة) من التمثيل على اللعن الدّال على تكراره، ثم كان تكرار ذلك اللعن إلى يوم القيامة بما مثّل به اتّصال كل لعنة بأختها، واعتمادها عليهــا كاعتمــاد الشــيء المرفود على ما يُضاف قبله ليعمّده، ممّا يجعل كل لعنة معينة وممــدّدة لصــاحبتها ومؤيدة لها (الرفد المرفود).

ومن مواطن ذلك الحذف قوله تعالى : ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلاَ يَسْتَطِيعُونَ﴾[2].

([1]) سورة هود، الآيتان96، 97.

([2]) سورة القلم، آية 42.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

والآية الكريمة تنبئ عن عظيم ما يحدث يوم القيامة من اشتداد الخطب وصعوبته، الأمر الذي يحتاج أثناءه الكشف عن أصول الأمور وحقائقها بحيث تصبح عياناً، فيشتدّ بذلك هول الموقف ويعظم حاله لدرجة ناسب حالها تنكير (ساق) المضاعفة لعصف التهويل بذلك الإبهام الذي دلّ عليه التنكير، وحذف جواب الكشف الذي يومئ باتّساع الأمور الحادثة عن دائرة المقال، الأمر الذي كان داعياً إلى الاستغناء عن الفاعل المعلوم وبناء الفعل للمجهول؛ لأن المخيف هو وقوع الكشف، الذي هو كناية عن تفاقم الأمور وخروجها عن حدّ الطوق، لا كون ذلك الكشف من معيّن، ويعضد ذلك جريان ذات الإسقاط في حال الدعاء إلى السجود (يدعون)، الذي يدلّ على ذات الغاية بالتفات النظر إلى شدّة ما سيؤولون إليه من صعوبة التجبّر على السجود الذي سُلبت قدرتهم عليه بتعطيل إمرتهم على جوارحهم إزاء الرغبة العارمة لديهم بالقيام به خلاصاً من ذلك الموقف، بصرف النظر عن أيّ داعٍ كان.

ومن مواطن ذلك قوله تعالى : ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ،وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾(1)، وقد قال البقاعي في توجيه ذلك :"ولمّا كان المخوف الزلزلة لو لم يعلم فاعلها، وكان البناء للمجهول يدلّ على سهولة الفعل ويُسره جدّاً بُني للمجهول قوله : (زلزلت الأرض)(2).

ولا نرى في هذا البيان تعليلاً للإسقاط في هذا الموطن؛ وذلك لأن الآية الثانية (أخرجت الأرض أثقالها) تتحدّث عن أمر مخيف أيضاً هو إخراج الأرض للأموات والدفائن دون أن يتمّ الاستغناء عن الفاعل حياله، إضافة إلى أن سهولة الزلزلة تقتضي سهولة الإخراج، فما وجه الحذف في الأولى وعدمه في الثانية، في حال تعلّق الزلزلة بالسهولة وتحقيق الخوف؟ لعل إطلاق هذه الغاية يضعنا أمام قصر السهولة وتحقيق الخوف على الزلزلة، ونفي وجودهما في الإخراج بحكم عدم الإسقاط حياله، وهذا شكٌّ لا يجوز على الله تعالى.

والذي نراه في نكتة هذا الإسقاط مختصٌّ بدرجة تعلّق كلٍّ من الزلزلة والإخراج في الأرض، حيث إننا نلحظ أن في الآية تحوّلاً عن البناء للمجهول في

---

(1) سورة الزلزلة، الآيتان 1، 2.

(2) البقاعي، نظم الدرر، ج8، ص504.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

حال الزلزلة (زلزلت الأرض)، إلى البناء للمعلوم في حال الإخراج (أخرجت الأرض) إضافة إلى إظهار الأرض في أثناء الإخراج في موطن الإضمار، فأصل سوق الكلام (وأخرجت أثقالها)، الأمر الذي يوحي باختصاص الزلزال بشيء ناسب البناء للمجهول في ظلّ ذلك السياق التهويلي لأحداث يوم القيامة العظام، ولربّما أن ذلك مختّصٌ بكون الزلزال من الأمور الحادثة للأرض بذاتها في طور حياتها كتقلّبات طبيعية أو ردها الله تعالى في بنية تكوينها، فكان حدوث مثيلها يوم القيامة على تباعد في الطريقة والتأثير والغاية يقضيه هول الموقف، الأمر الذي كان فيه بناء ذلك الفعل للمجهول دالاً على ذلك التباعد البيّن بين الزلزالين، من خلال جعله بتلك الصيغة مسيراً بطريقة لا يقادر قدره فيها، على حين أن ذلك لم يتمّ في حال الإخراج، لكونه يحدث لأول مرة في طور حياة الأرض يوم القيامة، فلا يحتاج إزاءه تلك الصيغة المشيرة إلى التباعد السابق، ولذلك تمّ اختصاص الأرض بذلك الزلزال (زلزالها) إشعاراً بوصول تباعده عن زلازل الدنيا هولاً ومهابةً إلى درجة حَسُن عندها اختصاص الأرض به دون هذه الزلازل المبتعدة عنه، التي ليس من شأنها أن تذكر إلى جانبه لشدّة التباعد.

ومن مواطن هذا الحذف قوله تعالى: ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾[1]*.

والآية الكريمة مسوقة لبيان ما يرتقب قوم فرعون من الهزيمة والإدبار، جزاء عنادهم وتكذيبهم بآيات الله تعالى بعد ما سمعوا وعرفوا عن تكذيب الأقوام السابقة، وجزاء كل منها –كما وصفته الآيات السابقة لهذه الآية -، ولكن الأمر كان مختلفاً بالنسبة لهم فقد كان جحوداً منهم وعصياناً وعناداً على علمهم بمصير كل من سار على درب التكذيب ، من خلال ما عرفوا عن هلاك سابقيهم، الأمر الذي احتاج إزاءهم عذاباً مؤكّداً تمّت الإشارة إليه بتصدير قصّتهم فيما يسبق هذه الآية -

---

(1) سورة القمر، آية 45.

* انظر شواهد أخرى، البقرة، الآيتان25، 166، آل عمران، الآيتان180، 185، المائدة، الآيتان 36، 109، النساء، آية42، الأنعام، الآيتان27، 28، الأعراف، آية 47، التوبة، آية 35، يونس، آية 27، هود، آية 18، الرعد، آية35، إبراهيم، آية22، النحل، آية27.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

PDF Complete
Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages

بالتوكيد القسمي: ﴿وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ﴾[1]، الذي يدلّ على كمال العناية بها لفداحة ما فيها، على حين إننا لم نلحظ هذا القسم مع الأقوام السابقة في ذات السورة المبينة لعذابهم جميعاً، فصدّرت قصة قوم نوح بقوله : ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ﴾[2]، وبعدها قصة عاد بقوله : ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾[3]، وبعدها ثمود بقوله: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ﴾[4]، وكذلك لوط: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ﴾[5].

ضاعف ذلك التوكيد شمول التكذيب بآياته تعالى : ﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾[6]، الذي لم نلحظه إزاء الأقوام الأخرى أيضاً، الأمر الذي كان معه بناء هزيمتهم يوم القيامة للمفعول مما يندرج في سلك التأكيد لعذابهم، لكونه ما ينتظر قبالة التكبر والجحود المقصود لا كونه ممن علم اختصاصه بتوجيه تلك الهزيمة وكل جوانب الجزاء والعذاب، لذلك صُدِّر الفعل بسين الاستقبال (سيهزم) التي تؤكد حدوث ما هو مؤجّل، وتم إيثار لفظة (الجمع) على ضميرهم، المؤكدة للهزيمة بشمولها جميع أفراد هذا الملأ.

وثمّة ضربٌ آخر يحذف فيه الفاعل دون بناء الفعل للمفعول، يمثّله قوله تبارك وتعالى: ﴿كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ، وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ، وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ﴾[7]*، وفي تقدير المحذوف ذهب معظم البلاغيين والمفسرين إلى أنه النفس[8]، وذهب الميداني إلى أنه

([1]) سورة القمر، آية 41.
([2]) سورة القمر، آية 9.
([3]) سورة القمر، آية 18.
([4]) سورة القمر، آية 23.
([5]) سورة القمر، آية 33.
([6]) سورة القمر، آية 42.
([7]) سورة القيامة، الآيات26-28.
* هذه الصورة هي مما وقف عنده جمع البلاغيين، ولكن دون الإشارة إلى غايتها البلاغية، انظر: ابن الأثير، المثل السائر، ج 2، ص91 العلوي، الطراز، ج 2، ص103؛ السيوطي، الإتقان، ج3، ص186؛ مطلوب، أساليب بلاغية، ص214.
([8])ابن الأثير، المثل السائر، ج 2، ص91 العلوي، الطراز، ج 2، ص103؛ أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج6، ص337؛ البيضاوي، أنوار التنزيل، 773.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

الروح[1]، والذي نؤيده هو الروح، ذلك إن الذي يسحب من جسد الإنسان عند احتضاره هي الروح وليس النفس، وقد وقف البيضاوي عند هذا الحذف مبيّناً أنه للعلم به[2].

والواقع إن هذا الرأي يفنده الاختلاف في تقدير المحذوف، ذلك إن الغاية لو كانت العلم بالمحذوف لما تمّ الاختلاف في تقديره، وإنمّا السر في هذا الحذف مختصٌ بالإبهام الذي يحيط بذات الروح وشكلها وصفاتها التي لن يصل إليها البشر، فلو تمّ ذكر الروح فإن ذلك سيسبغ عليها صفات مادية محسوسة، ولا سيما الحركة والانتقال إلى التراقي،* مما يجعلها كالشيء الـ ذي يمسك ويسحب شأنه شأن أي مادة منقولة، فتم إسقاطها من السياق للحفاظ على إبهام وصفها وتحديدها الذي أراده تعالى لها، فقد قال عزّ وجلّ: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾[3].

يعضد ذلك ما يشير إليه النص من بعض المبهمات المتعلقة با لموت، ومنه إبهام المَلَك الراقي بروح المحتضر إلى السماء في قوله : ﴿قيل من راق ﴾، إضافة إلى إنزال يقين المحتضر منزلة الظن باحتضار الموت له (وظن أنه الفراق).

ولا يعني تضارب رأينا في هذا الموطن مع ما جاء به البيضاوي من تقدير غاية العلم بالمحذوف قصر حدود هذه الـ غاية أو نفيها، فكثيراً ما يحذف من السياق ما علم لدى المخاطب، لدرجة أنه وصل إلى مرحلة يعرف فيها بفور الإشارة إلى قليل مما اختص به، ومنه قوله تعالى : ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُوماً﴾[4]، وكذلك قوله: ﴿وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾[5]**، فالمحذوف في تلك الأمثلة أمر متعين لدى

---

[1] الميداني، معارج التفكر، ص507.
[2] البيضاوي، أنوار التنزيل، ص773.
* التراقي: جمع ترقوة، وهما عظمتان في أعلى الصدر، انظر أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج6، ص337.
[3] سورة الإسراء، آية 85.
[4] سورة الحاقة، آية 7.
[5] سورة الدخان، آية 56.
** انظر شواهد أخرى، إبراهيم، آية48، الإسراء، آية52، النمل، آية84، القصص، آية66، العنكبوت، آية55، الحاقة، آية7، القيامة، الآيات28، 32، 33.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

المخاطب تعييناً حقيقياً ***، لأنه لا مسخر للرياح، ولا واقي لعذاب الجحيم إلا هو سبحانه، ومثل هذا الحذف يقدم فائدة أخرى، هي تدعيم نسبة الفعل إلى الفاعل لدى المخاطب؛ لأنه -وقد تعين لديه الفاعل المحذوف- سيصل بنفسه إلى تقديره.

4.1.4.3 حذف المفعول به:

أطال البلاغيون الوقوف عند حذف المفعول به، حيث رأوا أن حذفه يحقق في الأسلوب كثيراً من الأغراض والأسرار البلاغية، وبديهي أن الفعل الذي يعنيه البلاغيون في هذا المقام هو الفعل المتعدّي؛ لأن ذلك الفعل في الأصل لا يكتفي بعلاقته مع فاعله، بل يتطلّب معها علاقة أخرى هي علاقة المفعولية، فإذا ما خالف ذلك الفعل هذا الأصل، وورد في أسلوب ما مجرداً من تلك العلاقة الأخيرة، كان ذلك مدعاة للتساؤل، وحافزاً للتأمل والكشف عن دواعي هذا التجريد.

ومن تلك الدواعي الا تي ذكرها البلاغيون، أن يكون القصد إثبات الفعل في ذاته للفاعل[1] من غير اعتبار تعلقه بمفعول، وحينئذ ينزل الفعل المتعدّي منزلة الفعل اللازم، فلا يذكر له مفعول، وذلك لإظهار كمال العناية بإثبات الفعل في ذاته للفاعل، وذلك كما في قوله عزّ وجلّ : ﴿أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾[2]، أي: تزعمونهم شركائي. فتمّ حذف مفعولا زعم، وأُنزل الفعل المتعدّي منزلة اللازم، لأن الغرض إثبات هذا الفعل للكافرين دون اعتبار تعلقه بالمفعول، الذي لا اعتبار لنوعه في موطن الحساب والجزاء، بقدر ما يكون الاعتبار للزعم الذي يضع شيئاً بغض النظر عن ماهيته في موطن الشريك لله تعالى، فكونه صنماً أو إنساناً أو شيطاناً ليس بقدر إزاء ذات إشراكه بالله، وتظهر تلك الغاية في السياق من خلال الابتداء بذلك الاستفهام التوبيخي (أين)، الموجّه إزاء ذلك الاعتقاد (الشرك) بصرف النظر عن تحديد المتّبع الذي لا يقاس عليه في إلقاء الجزاء.

*** نقصد بالتعيين الحقيقي، ذلك التعيين الذي يكتسب عن طريق بعض الأمور والصفات المختصة بصاحبها، مثل صفات الله عز وجل، فهي تعينه دون ذكر اسمه تعالى، وعكسه ما يكتسب بتكرار تعلق بعض الصفات بشخصية معينة، كقولنا: شوقي أمير الشعراء، فهو اكتسب ذلك من خلال تكرار تفاضل شعره على غيره.

(1) الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص119.

(2) سورة القصص، آية 62.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

ومن مواطن ذلك الحذف قوله تعالى : ﴿لَّا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئًا﴾[1]، فالتقدير: لا يجزي والدٌ عن ولده شيئاً، وقد بين البقاعـي أن هذا الحـذف للدلالة عليه في الشق الذي بعده[2].

وهذا الرأي لا يفسر غاية الإسقاط بقدر ما يثير التساؤل حولها من جديد، إذ إن ذكر المفعول به في حال نفي جزاء الولد عن والده، وعدم ذكره في حـال نفـي جزاء الوالد عن ولده أمر يدعو إلى التساؤل عن سبب الذكر في الحالة الأولى دون الثانية، لا إلى تقدير الذكر في الأولى دالاً على المحذوف في الثانية . ولو نظرنا إلى المفعول به المحذوف (شيئاً) لوجدنا أنه يشمل صغائر جوانب الجـزاء وكبائرهـا، الأمر الذي يوحي ببعداً دلالياً وراء ذكره في حال نفي جزاء الولـد، قـد يخـتص بالتأكيد على ذلك النفي، لقطع طمع من توقع أن ينفع أباه الكافر في الآخرة، لأحقيته الدنيوية بمساعدته، وحمل الكثير من أعبائه، يعضد ذلك تقدم نفي ذلك الجزاء علـى الآخر. وتمّ الإسقاط في الجملة الفعلية(لا يجزي والد عن ولده)، لعدم الحاجة للتأكيد على نفي جزاء الوالد عن ولده، لكونه غير حقيقاً بذلك، ولشمول نفي تلك الأحقية في الدنيا والآخرة، الذي لو ذكر لخصَّها في الآخرة دون الدنيا، وبالتالي جَعْل الوالد هو المسؤول عن مساعدة ولده ليس الولد . يعضد ذلك العدول عن الجملـة الفعليـة (لا يجزي والد) إلى الجملة الاسمية، لما في الاسمية(لا مولود هو جاز) مـن تأكيـد يناسب ذات الغاية.

ومن مواطن ذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ، فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ، يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ﴾[3]، فقد تمّ إسقاط مفعول (يلبسون)، والتقدير: يلبسون ثياباً.

لعلّنا نلاحظ أن المُتحدَّث عنهم في الآية الأولى هم المتقون، وفي الثانية الذين آمنوا وعملوا الصالحات، والمتّقون هم أعلى درجة، لذلك جعل الله لهم مقاماً وصفه بالأمين بطريق الاستعارة، لما يوفّر لهم من الأمن عالي المرتبة من الآفات، الأمـر

(1) سورة لقمان، آية 33.
(2) البقاعي، نظم الدرر، ج6، ص37.
(3) سورة الدخان، الآيات 51-53.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

الذي يستدعي تفضيلهم في الثواب، فكان في لباسهم ميزة خاصة تكمن في ثيابهم وتشمل غيرها من الألبسة الأخرى، وذلك على اعتبار أن ليس كل ما يُلبس ثوباً، ولكن كل ثوباً يُلبس، فتم إسقاط لفظ (الثياب) من السياق المُتحدِّث عنهم لبيان تميزهم بشمول الحرير جميع ألبستهم، وقد يتعدّى ذلك احتياجاتهم الأخرى من القماش، في حين إنَّ هذا اللفظ ذكر في الآية الثانية في حال المتقين، للدلالة على أن الحرير لا يشمل غير ثيابهم، وربّما أن ذلك كان سبباً في عدم ذكر لون ثياب المتقين في الآية الأولى، لتعدّي الحرير إلى غير ثيابهم المعتادة، إذ إن تعدّد استعمالات الحرير يقتضي تعدّد الألوان.

ومن تلك المواطن أيضاً قوله تعالى : ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعاً قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لأُولاهُمْ رَبَّنَا هَؤُلاء ...﴾[1]، إذ التقدير: كلما دخلت أمة النار.

والنكتة في هذا الحذف مختصة بوقت تلاعن هذه الأمم، حيث إنهم يقومون بذلك فور دخولهم أبواب جهنم، ورؤيتهم الأمم السابقة المضلّة لهم، أشار إلى ذلك ابتداء الآية بـ (كلما) الداخلة على الفعل (دخلت)، المشيرة إلى التلاعن الملاصق زمنياً للدخول إلى جانب تكراره مع جميع هذه الأمم، إضافة إلى ما يوحي به قوله تعالى: (حتى إذا ادّاركوا فيها جميعاً) من التحديد الزمني نفسه لذلك المقال الذي يسبق تلاحقهم واصلين إلى أوج النار، الأمر الذي يشي بشدّة غضب كل أمة من سابقتها المُضلّة لها، حتى وصل إلى درجة التلاعن الفوري عند رؤية تلك الأمة، لذلك حذف المفعول (النار)، تم والاكتفاء بالدخول، فلو ذكر المفعول لأشار إلى وصول أوج النار، الذي سيغير بدورة وقت التلاعن؛ لأنه سيزامنه، أشار إلى ذلك من جانب آخر التحول عن خطاب هذه الفئة في بداية هذه الآية (ادخلوا في أمم قد خلت من قبلكم من الإنس والجن في النار) إلى الغيبة فيما نحن بصدده منها (كلما دخلت أمة لعنت) لمناسبة الغيبة في تحديد الجوانب الزمنية اللازمة في هذا الموطن، ولكون الخطاب لا يخرج في تمثيله عن الحدّ الزمني الذي قيل فيه، فلذلك لو تمّ ذكر المحذوف (النار) لما حققت هذه الغاية.

---

(1) سورة الأعراف، آية 38.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

ومن تلك المواطن قوله تعالى : ﴿رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً إِنَّا مُوقِنُونَ﴾[1] فحذف مفعولا (أبصرنا وسمعنا) من السياق، وذلك لغاية تبينها طبيعة الفعلين، إذ إن هذا مقال الكافرين عند معاينة قبح أعمالهم، وإيقان مردّهم إلى النار على سبيل الاعتراف بسماع ما وُعدوا به، وإبصار تصديق الرسل، لكن أي اعتراف يكون عند حضور الجزاء بسماع المواعظ التي طالما كانت تُسدى إليهم تحذيراً من عواقب الجريمة؟ بَيْد أن ذلك لا يعدو أن يكون اعترافاً بإدراك هذه المواعظ، والاقتدار على فهم معانيها، لا سمعها وإبصارها، ذلك إن السمع والإبصار قد تحقّقا مسبقاً بدعوة الرسل وتقديم الدلائل ولكنهم لم يدركوا ولم يعقلوا، فلمّا كان المقصود من هذه الأفعال الإدراك وليس السمع والإبصار تمّ إسقاط المفعول، لكون تعطيل الإدراك ناتج عن خلل في ذوات الكافرين ينمّ عن استكبارهم وجحودهم لا عن عدم القدرة على فهم الشيء المُدرك، وكذلك الإدراك فإنه ناتج عن رغبتهم العارمة فيه إزاء معاينة صدق ما جاء به الرسل لا عن استيعاب الأمور المُدركة الذي لم يتسنَّ لهم من قبل؛ أشار إلى ذلك إسقاط القول قبل (سمعنا وأبصرنا)، لما في ذلك من تأكيد على الإدراك الفعلي الذي يتعدّى حدود القول، إضافة لما نلحظه في التحول من الجملة الفعلية (فارجعنا نعمل صالحاً) إلى الجملة الاسمية المؤكدة (إنّا موقنون) من إظهار ثباتهم على الإدراك وكمال رغبتهم فيه.

وقد تأكدت لدينا هذه الرؤية بحذف مفعول (نسمع) في مواطن أخرى عندما يدلّ الفعل على الإدراك، ومنه قوله تعالى: ﴿لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾[2].

وممّا تكرر حذفه في آيات يوم القيامة مفعول (ظلم)، إذ إننا لا نراه مذكوراً إلا في مواطن قليلة، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿وَأَنذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُواْ رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾[3]، أي: ظلموا أنفسهم، أو الناس.

---

(1) سورة السجدة، آية 12.

(2) سورة المُلك، آية 10.

(3) سورة إبراهيم، آية 44.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

وقد وقف أبو السعود عند هذا الإسقاط، وبيّن أن غايته "الدلالة على كل من ظَلَمَ بالشرك والتكذيب وغيرهم من الأمم الخالية "[1]. ولعلّنا نبعد تلك الإشارة من كونها غاية الحذف، ذلك إن تجاوز المفعول المحذوف، وتوجيه الحذف بغاية مختصّة بالفاعل المذكور دون بيان السبب أمر لا يعوّل عليه، إذ الأصل أن يؤدي حذف المفعول غاية مختصة في ذاته وليس في ذات الفاعل.

والذي نراه في توجيه هذا الإسقاط يختص بالظالمين، ولكن ليس من جانب تعدّدهم، وإنّما من جانب ما نلحظه من تأكيد لصفة الظلم فيهم، فلعلّنا نلاحظ أن جملة (فيقول الذين ظلموا)سيقت لبيان أن قوله (ربّنا أخّرنا إلى أجل قريب) هو ما يصدر عن فئة الظالمين بغير نظر إلى من وقع عليه فعل الظلم، أشار إلى ذلك إظهار هذه الفئة في موضع الإضمار، إذ الأصل في السياق (يوم يأتيهم العذاب فيقولون)، ولكن تمّ إظهارهم للتسجيل عليهم بالظلم، وللإشعار بأن عذابهم لشدّة ظلمهم، يعضد ذلك إيثار الموصول (الذين ظلموا) على اسم الفاعل (الظالمين) مع هذه الفئة، لما فيه من اقتصار في الدلالة على تأكيد فعل الظلم فيهم دون تعدّي ذلك إلى المفعول به.

وقد يقول قائل كيف تكون هذه الغاية وقد تمّ إظهار المفعول نفسه في آية لاحقة على هذه الآية؟ هي قوله تعالى : ﴿وَسَكَنتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ﴾[2]، نقول: لما كان الحديث في هذه الآية عن الظالمين الأوائل الذين ظلموا اللاحقين الذين كان الحديث عنهم في الآية الأولى تمّ إيقاع الظلم عليهم (أنفسهم)، للإيذان بأن غائلة الذنب تقع على صاحبه.

وممّا هو جدير بالوقوف عنده هو حذف مفعول (شاء) إذا وقع شرطاً ولم يكن تعلقه بالمفعول غريباً، وهو كثير في القرآن الكريم، ومنه قوله تعالى : ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰ أَعْيُنِهِمْ﴾[3]*، أي: لو نشاء الطمس، وقد وقف عبدالقاهر الجرجاني عند هذا

([1]) أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج3، ص498.
([2]) سورة إبراهيم، آية 45.
([3]) سورة يس، آية 66.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

PDF Complete
Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages

الحذف كظاهرة مشيراً إلى أن غايته هي البيان بعد الإبهام،"ذلك إن البيـــان إذا ورد بعد الإبهام وبعد التحريك، له لطفاً ونبلاً، لا يكون إذا لم يتقدّم ما يحرّك "[1]، كما بيّن أحمد مطلوب أن الغاية في تلك الظاهرة هي العلم بالمفعول[2].

والبيان بعد الإبهام أو التفصيل بعد الإجمال أوقع في النفس من البيان ابتداء؛ لأن السامع لا يظفر بالمفعول إلا بعد تطلّع ولهفة، وطبيعي أن الحذف فـــي الآيـــة السابقة إنمّا حسن؛ لأن في جواب الشرط دليلاً عليه، أي إن القرينة هنا ماثلـــة فـــي الجواب المذكور.

ولكن البيان المعجز يقدّم غايات تتعدّى ذلك أحياناً كثيرة، ففي هذا المـــوطن نرى أن هناك غاية أخرى يقدّمها الحذف، هي أن الفعل مضمون الجزاء عند وجود المشيئة، أي لو نشاء أن نطمس على أعينهم لفعلنا، أشار إلى ذلك إنـــزال الجـــزاء (لطمسنا) مكان المفعول المحذوف (الطمس) الأمر الذي ينمّ عـــن تســـريع ز منـــيّ يجعل الجزاء ناتج عن فور المشيئة تحقيقاً لضمان الجزاء الذي سيق بأسلوب القسم (لطمسنا) المؤكد لذات الشيء، إضافة إلى سوق الفعل بصيغة المضـــارع مـــع أن المعنى يدل على المضي، لما في الاستقبال من دلالة على إبقاء التحقّق مضموناً في الآجل، ولو كان واقعاً في رهن اسد تمرار عدم المشيئة الآنية، ناهيك عمّـــا فـــي أداة الشرط (لو) من دلالة حتمية على التحقّق عند وجـــود المشـــيئة لا رادّ لهـــا غيـــر صاحبها، فمجرد وجود المشيئة يكون الطمس حاصلاً لا محالة.

5.1.4.3 حذف المضاف:

يعدّ حذف المضاف كثير الوقوع في آيات يوم القيامة، لا سيما عند مقا رنتـــه بحذف المضاف إليه الذي يحذف على القلة؛ وذلك لأن المضاف إليه يكسب المضاف

---

*انظر شواهد أخرى، البقرة، آية 165 الأنعام، الآيات 27، 30، 128 الأعراف، الآيات 35، 38، 42، 44، 45، 50 يونس، آية 45، هود، آية107 الرعد، آية 35 إبراهيم، آية 44 النحل، الآيات 25، 30، 30، 85، الكهف، آية52 مريم، آية 72 الفرقان، آية 19 النمل، آية 85 القصص، آية 74 الـــروم، آيـــة 56، ســـبأ، آية42، فاطر، آية37، يس، الآيتان66، 67.

([1]) الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص126.

([2]) مطلوب، أساليب بلاغية، ص216.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

بياناً وتحديداً، الأمر الذي يجعل حذفه يخل بالكلام ويجعلـه ناقصـاً، وفيمـا يلـي استجلاء لأبرز صور حذفه.

ومن مواطن هذا الحذف أيضاً قوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَناً قَلِيلاً﴾[1]، فالتقدير: ذا ثمنٍ قليل، ذلك إن ما يُشترى هو صاحب الثمن وليس الـثمن، إلا أنّنا نلحظ أنه تعالى عبّر عن المشترى -الذي هو العمدة في عقـود المعاوضـة والمقصود فيها -بالثمن الذي من شأنه أن يكون وسيلة فيها، وقرنت الآيات التي من حقّها أن يتنافس في شرائها المتنافسون بالباء التي تصحب الوسائل، فقد جعل ما هو المقصد الأصلي (المشترى) وسيلة، والوسيلة (الثمن) مقصداً، ونظرة لما سبق هـذه الآية نلحظ أن المعاكسة وإنكار المعلوم كانتا ديدناً لأهل الكتاب فيمـا حـاولوا بـه مواجهة الإسلام ومعارضته بطريق الاستكبار والعناد المبني على الخطأ المقصـود، فهم يكفرون بآياته تعالى على حال شهودهم صحتها، فيقول عزّ وجلّ : ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾[2]، ويُلبِسون الحق بالباطل على علمهم بحقيته، فيقول: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[3]، إضافة إلى التضاد الداخلي في ذواتهم المبني على ائتمان بعضهم وعدمه عند بعضهم الآخر، فيقول : ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ﴾[4]، الأمر الذي يشير إلـى أن الإسقاط ما كان إلا تمثيلاً لمن يفضل الحياة الدنيا على الآخرة ويعمل لأجلهـا - ولا سيما بالصدّ عن آياته تعالى - بمن يشتري الوسيلة (الثمن) بالشـيء المقصـود (المُشترى)، وذلك قصداً لتصوير المخالفة التي ابتدأت مع تلك الفئة لتصـبح أحـد طباعهم المعتادة.

---

(1) سور آل عمران، آية 77.
(2) سورة آل عمران، آية 70.
(3) سورة آل عمران، آية 71.
(4) سورة آل عمران، آية 75.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

ومن مواطنه قوله تعالى : ﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا، وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾[1]، فالمجيء حركة، ولا حركة له سبحانه؛ لأن كل ما كان كذلك جسماً، والجسم يستحيل أن يكون أزلياً، فلا بد من تقدير محذوف، إذ هو: جاء أمر ربّك، أو آيات ربّك.

إن المجيء هو لأمر الله وحكمه وإنمّا جاء على هذا السنن تمثيلاً لظهور آيات اقتداره، وتبيين آثار قهره وسلطانه، فمُثّلت حال ظهور أوامره في ذلك بحال الملك إذا حضر بنفسه، إذ يظهر بحضوره من آثار الهيبة والسياسة ما لا يظهر بحضور عساكره ووزرائه [2]، فكان الابتداء بذلك الإنكار الرادع (كلا) لما في سابقه من تعد من فئة الكافرين بأكل مال اليتيم، والحض على طعام المسكين، وحب المال : ﴿كَلَّا بَل لَّا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ ، وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ ، وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ، وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾[3]، ثم كان الانتقال المباشر إلى الشرط بـ (إذا) المحذوف الجواب مناسباً لهول مقام الهيبة والإجلال بما يجعل في ذهن السامع من تقديرات يتوسّع إطارها ويشتد هولها بهذا الإسقاط؛ ناهيك عمّا في بناء فعل الدّك للمفعول من الإبهام المسوق للغاية نفسها، فتتصاعد وتيرة إعظام ذلك المقام؛ بتكرار حالة الزلزلة وحركة الهزّ والارتطام، المصيرة لوجه الأرض كسطح الصخرة الملساء، ثم يظهر أمره تعالى أثناء تلك العرصات مضفياً حالة من الهدوء التام، لما في ذلك من تمثيل لآيات قدرته، وآثار قهره، بإنزال قدوم أمره منزلة قدومه، إشعاراً يوصل ذلك الأمر إلى إعظام كما لو صدر مشافهة عنه تعالى، أشار إلى ذلك ما سيطر على المكان من آثار الهيبة لاصطفاف الملائكة بحسب منازلهم ومراتبهم، وقدوم النار بأمره تعالى.

ويضاعف ما سبق اختيار ألفاظ ذات إيقاع خاص، تتعاون على تجسيم هول ذلك الحضور، (دكّا دكّا، صفّا صفّا)، ولا سيما بذلك التكرار الذي يملأ نفس المتلقي بمزيد من الإحساس بهول المقام.

---

(1) سورة الفجر، 21، 22.

(2) الزمخشري، الكشاف، ج 4، ص751؛ البقاعي،نظم الدرر، ج 8، ص421؛ البيضاوي، أنوار التنزيل، ص798.

(3) سورة الفجر، الآيات 17- 20.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

ومن مواطن هذا الحذف أيضاً قوله تعالى : ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ، وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ﴾[1]، فالتقدير: أصحاب وجوه. وربّما أن إسقاط (أصحاب) وحلول الوجه من أعضاء الإنسان مكانها، لما أن أثر الخشوع والمذلّة أول ما يظهر في الوجه الذي هو شاشة الإشارات النفسية للإنسان، أشار إلى ذلك ابتداء الآية بذلك الاستفهام الذي أريد به التعجيب مما في حيّزه، والتشويق لاستماع ذلك الأمر الذي تجاوز حدود النظر في الخشوع والمذلّة حتى أصبح من حقّه أن يتناقله الرواة؛ ويتنافس عليه الوعاة، الأمر الذي استدعى أن يكون الجواب مثيراً لعجب متلقيه وتشويقه بما يدلّ على كمال الخشوع والمذلّة، فتمّ إسناده إلى العضو الذي يكمل ظهوره فيه ويختص به على غيره من الأعضاء.

ومن تلك المواطن قوله تعالى : ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ﴾[2]، فالتقدير: جزاء ما عملت.

في هذا المشهد الذي يتحدث عن اختصاص كل نفس بالاعتذار عن ذاتها للخلاص من العذاب، وعدم فائدة تلك المجادلة ببيان تلقي كل نفس جزاء أعمالها فقط، يلحظ إسقاط الأجزية وإنزال الأعمال منزلتها، فبذلك تم التعبير عن الجزاء - الذي هو النتيجة النهائية - بالأعمال التي شأنها أن تكون وسيلة مسيرة إلى الجزاء، فجعل ما هو وسيلة (الأعمال) نتيجة نهائية، وأسقطت النتيجة النهائية، الأمر الذي يدل على التقابل دقيق التوازن بين الأجزية والأعمال، ليصل الأمر إلى درجة شديدة الاتصال بينهما تسمح بحلول أحدهما مكان الآخر في الدلالة على مقداره، أشار إلى ذلك إظهار النفس في موضع إضمارها الذي يعزز ذلك التوازن باختصاص مجادلة كل نفس عن ذاتها دون زيادة أو نقصان، ناهيك مّا ينبئ عنه سوق النفوس بطريقة فردية (كل نفس تجادل) و(توفى كل نفس) من تأكيد للغاية ذاتها.

وقد تأكدت لدينا هذه الرؤية بتكرار حذف الجزاء في حال الكافرين في مواطن أخرى، مما يشي به وازاته سبحانه لكل سيئة بمثلها، ومضاعفة الحسنات،

([1]) سورة الغاشية، الآيتان 1، 2.

([2]) سورة النحل، آية 111.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

فيقول: ﴿وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ﴾[2].

ومن تلك المواطن قوله تعالى : ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ﴾[3]، فالتقدير: في ظلال وخلال عيون، فكمال اللذة بالبستان أن يكون الإنسان فيه، وليس من اللذة في العين أن يكون الإنسان فيها، بل لذته أن يكون في الجنة خلال هذه العيون أو عندها، وإنما جاء السياق على هذا السنن، لكون المجاورة تحسن إطلاق اللفظ الذي لا يحسن إطلاقه عن عدم المجاورة، كما يقال : علفتها تبناً وماءً بارداً، وكذلك: تقلدت سيفاً ورمحاً، والماء لا يُعلّف والرمح لا يُتقلَّد، لكن لمجاورة التبن والسيف حسن الإطلاق، ويتحكم بذلك غرض السياق، فلو أطلقنا النظر في الآية تلك لوجدنا أن ذلك سيق في معرض بيان استقرار المتقين في فنون الترفّه وأنواع التنعّم، مقابلة مع ما لا يقادر قدره ولا يكتنه وصفه من عذاب الكافرين، وذلك تهويلاً وتقريعاً بدنو مقامهم مبتعداً عن مقام المتقين، لإثبات العذاب لهم الذي كان محور حديث السورة الكريمة منذ بدايتها، لذا كا ن الإطلاق في معرض بيان مقابل مآلهم مناسباً لتلك الحالة التي لا يطلب فيها التفصيل.

ويدل على ذلك تكرار ذلك الإسقاط في مشاهد القيامة، ومنه قوله تعالى : ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾[4]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾[5]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ﴾[6]، فعلى ذلك حسن الإطلاق.

ومن مواطن هذا الحذف قوله تعالى : ﴿وَاتَّقُواْ يَوْماً لاَّ تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئاً﴾[1]، فالتقدير: اتقوا عذاب يوم.

---

(1) سورة الجاثية، آية 33.
(2) سورة البقرة، آية 167.
(3) سورة المرسلات، آية 41.
(4) سورة الحجر، آية 45.
(5) سورة الذاريات، آية 15.
(6) سورة القمر، آية 54.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

والآية الكريمة مسوقة في خطاب بني إسرائيل، لاتقاء عذاب يوم القيامة الذي لا يجزى فيه أحد عن آخر، بخلاف أيامهم الماضية التي بنيت على تحمل أحدهم أعباء ومشاق الآخر[2]، ولكن ما السر في الإسقاط؟

لعلنا نلاحظ في هذه الآية أنه ترافق مع إسقاط المضاف وهو العذاب تنكير (يوماً) مع العلم بكونه يوم القيامة، إضافة إلى حذف العائد على اليوم فيما بعده، فالأصل أن يقال : (لا تجزي فيه نفس ..)، الأمر الذي يشي بتوجيه بؤرة الاهتمام صوب ذلك اليوم، والتركيز عليه دون عذابه أو كونه يوم القيامة، على حين إننا نلحظ أن بني إسرائيل كانوا يظنون أنهم ملاقوا ربهم لنيل ما عنده من المثوبات ولا يرجون الجزاء، بل يوقنون به ولا يخافونه، فقال تعالى فيما سبق هذه الآية :-

﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾[3].

نريد أن نقول : لما كان بنو إسرائيل ممن لا يوقنون بوجود العذاب ولا يخافونه، تم إسقاطه من السياق والتأكيد على وجود اليوم تناسباً مع اعتقادهم، ويؤيده إبراز اليوم بطريق التنكير، وحذف عائده.

وما يؤيد هذه الرؤية تكرار هذا الإسقاط في حال بني إسرائيل بالصيغة نفسها في السورة السابقة أيضاً، فقال تعالى : ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ ... وَاتَّقُوا يَوْمًا لَّا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾[4]، الأمر الذي يدل على الغاية نفسها.

ومن ذلك الحذف أيضاً قوله تعالى: ﴿لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ﴾[5]، والتقدير: لترون عذاب الجحيم، وفي ذلك بيّن أحد الدارسين المحدثين أن ذلك للتهويل والتفخيم[6].

---

(1) سورة البقرة، آية 48.
(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج1، ص131.
(3) سورة البقرة، آية 46.
(4) سورة البقرة، الآيتان 122، 123.
(5) سورة التكاثر، آية 6.
(6) أبو شادي، الحذف البلاغي في القرآن الكريم، ص75.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

والحقيقة إنّنا لا نرى علاقة بين ذكر عذاب الجحيم في هذا الموضع والتقليل من هول الجحيم، على اعتبار أنه إذا كانت غاية الإسقاط هي التهويل فإن عدمه يقلل من عظيم هذا الهول.

ولعلّ ما نراه في ذلك مختص بفعل الرؤية ذاته؛ لأن رؤية العذاب في هـذا الموضع ليست رؤية إبصار ومشاهدة، وإنمّا هي رؤية معرفة واستيقان بـالوجود، بدليل الرؤية الثانية التي بعدها والتي تدل على المشاهدة والمعاينة بقوله تعالى : ﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ﴾[1]أشار إلى ذلك إنزال جواب القسم المضمر (لترون الجحيم) منزلة جواب لو المحذوف في قوله تعالى قبل هذه الآية : ﴿لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ﴾، فكان القسم برؤية الجحيم في مقام جواب اشتراط العلم الذي لا يشترط فـي حصـوله الرؤيـة البصرية لدلالة على رؤية الإدراك وليس الإبصار، ناهيك عمّا في إضافة العلم إلى اليقين من إشارة إلى تلك الرؤية (علم اليقين)، بخلاف إضافة العين إلى اليقين فـي الحال الثانية، التي تدل على رؤية المشاهدة والمعاينة، لنصل بذلك إلى أنه لما كانت الرؤية الأولى للمعرفة دون الإبصار تم إسقاط المرئي (العذاب) لعدم وقوع البصـر عليه.

وقد يسأل سائل : بما أنه تم الحذف في الآية الأولى لكون الرؤيـة قلبيـة لا بصرية، فلماذا تم في الأخرى مع كون الرؤية فيها بصرية؟ نقول : لما تحقق عطف الثانية على الأولى وتعلقها بها، حسن أن يجري السياق فيها كما في الأولى، هذا من جانب، ومن جانب آخر، لما وصفت الرؤية الثانية بأنها (عين اليقين)، وهي أعلـى مراتب الرؤية، دل ذلك على الوقوف على العذاب ومشاهدته عياناً، الأمـر الـذي استبعد الداعي لذكر العذاب، لتحقق أمر مشاهدته لكل من وصل مكانه.

ومثل ذلك قوله تعالى : ﴿هَذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ﴾[2]، أي: ينطق عليكم بكلام الحق، فالذي ينطق كلام الحق وليس الحق ذاته، والنطق في هذه الآية ليس لفظيـاً، وإنما هي شهادة مكتوبة في سطوره، فلذلك تم الإسقاط.

([1]) سورة التكاثر، آية 7.

([2]) سورة الجاثية، آية 29.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

ومما تكرر حذفه في مشاهد يوم القيامة ما نجده في قوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾[1]*، فالأنهار لا تجري من تحت الجنة، وإنما من تحت أشياء في الجنة قد تكون الأشجار أو الظلال أو غيرها.

ويجب أن ندرك أن من دلالات الجنة هي الأشجار [2]، فإن أريد بها ذلك فجريان الأنهار من تحتها ظاهر، وإن أريد بها الأرض المشتملة عليها، فلا بد من تقدير مضاف، وهي في هذه الصورة تدل على الأرض، لورود الأشجار وغيرها فيما ذيلت به هذه الآية، فقال عز وجل : ﴿كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا هَـٰذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾[3]، والهاء في الثمار والأزواج تعود على الجنة، فهي تشمل الثمار، والحور العين... وغيرها، ولكن ما غاية الإسقاط؟.

ولعلنا نتساءل ما السبب الذي جعل أحد دلالات الجنة تقترن بالأشجار؟ ولا إجابة لهذا السؤال غير أن الأشجار هي قوام الحاجات الإنسانية في الجنة: ظلالها الساترة، وثمارها، ومناظرها ...، فلا قدرة للإنسان على الاستغناء عنها إذا ما خُيّر بينها وبين أمور الجنة الأخرى، لما فيها من لذة تميل النفس البشرية للتمتع بها، فصار بذلك وجودها إلى وضوح مؤكد لا تمسه شائبة الشك، الأمر الذي كان داعياً للاستغناء عنها في هذا الموطن المسوق إثر بيان سوء حال الكافرين -فيما سبق هذه الآية - إيذاناً بكمال المباينة بين الفريقين التي يناسبها إيراد فنون الكرامات والتفضل؛ لا ما ضمن وجوده وعُرف. وقد ساعد على ذلك الابتداء بحرف التوكيد (إن) المشير إلى ثبات مضمون الكلام، فصار الاهتمام بذلك المضمون إلى جانب وضوح أمر الأشجار داعيين للإسقاط، يعضد الأول إسقاط المضاف قبل الأنهار، أي : مياه

---

(1) سورة الحج، آية 14، وتكررت في: سورة الحج، آية 23، سورة البقرة، آية 25.

* انظر شواهد أخرى، البقرة، الآيتان 24، 174 النساء، آية 57 الأنعام، الآيات 27، 30، 31، الأعراف، الآيتان 38، 40 التوبة، آية 35 يونس، آية 27 طه، الآيتان 75، 111 الفرقان، آية 12، 33 سبأ، آية 32، الجاثية، آية28 الصافات، آية 49 الحديد، آية 12 المزمل، آية 17 الإنسان، آية 22 النبأ، آية 19، الانفطار، آية5، المطففين، آية15، الانشقاق، آية6.

(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج1، ص94، ج4، ص392.

(3) سورة البقرة، آية 25.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

الأنهار، ويثبت الثاني أننّا لو حاولنا تصور الجنة دون أشجار، ولا نباتات، ولا ظلل فإن ذلك مما يدعو النفس إلى ضيق لا يتم إزاءه تخيل الجنة، على حين وجود استطاعة ذلك في حال استثناء الغلمان، أو الخمر، أو غير ذلك.

6.1.4.3 حذف المضاف إليه:

ومنه قوله تعالى : ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ﴾[1]، والتقدير: كلهم أتوه داخرين. وقد وقف مصطفى عبدالسلام عند هذه الصورة مبيناً أن الحذف فيها للعلم به[2].

والحقيقة إن ما حذف في هذه الآية معلوم، ولكنا لا نقف لتقدير ذلك غاية للحذف، ذلك إن العلم بالمحذوف أمر يغلب على مواطن الحذف التي تخرج لتقدم غايات مختصة بالسياق.

هنا تبدأ الآية الكريمة بالنفخ في الصور المسبب لفزع جميع الخلائق إلا ما شاء الله تعالى، ومن ثم القدوم للفصل والقضاء، ولكن الفزع كان مخصوصاً بجماعة وأخرى لا تفزع، وهي مستثناة منه بقوله تعالى :(إلا من شاء الله)، على خلاف القدوم الشامل من غير استثناء أحد، وبذلك لو تم ذكر المضاف إليه لاختص المجيء إلى الله تعالى بمن فزع دون مجيء الجماعة المستثناة منه؛ لأن الضمير في هذه الحالة يعود على فئة الفازعين فقط، فتم إسقاط المضاف –والله أعلم- حتى لا يظن ظانٌّ أن هذه الجماعة التي لا تفزع - لا تأتي إلى الله ولا تقوم بين يديه، وليتعدى شمول القدوم كل الخلائق من البشر وغيرهم، كما إن في وجود الضمير (هم) اختصاصاً أيضاً بقدوم العقلاء دون غيرهم.

ويشبه ذلك قوله تعالى: ﴿ ... رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَكِن لَّا تَعْلَمُونَ﴾[3]، فقد تم حذف المضاف بعد (لكل)ولو تم تقديره سيكون إما (منكم)

([1]) سورة النمل، آية 87.

([2]) أبو شادي، الحذف البلاغي في القرآن الكريم، ص82.

([3]) سورة الأعراف، آية 38.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

وفي ذلك اختصاص للضعف بالمخاطبين وهي الفئة الضالة، وإما أن يكون (منهم) وفيه اختصاص له بالفئة المضلة، فتم إسقاطه من السياق؛ لئلا يظن أن الضعف لفئة دون أخرى، وخاصة الضالين الذين يحاولون أن يلتمسوا لهم عذراً بإلقاء اللوم على مضليهم الذين تسببوا في إضلالهم.

ومن تلك المواطن قوله تعالى : ﴿فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ، وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ﴾[1]، فقد تم ذكر السموم والحميم والظل دون النار، والسموم : ريح حارة من النار تنفذ في المسام، والحميم:ماء حار بالغ في الحرارة، والظل: دخان أسود كالحمم، أي: الفحم الشديد السواد[2]، ولكن لماذا لم تذكر النار بعد هذه الأشياء؟

لعلنا نلحظ أن هذه الأمور الثلاثة التي ذكرت في الآية، هي مقومات حياة الإنسان التي لا تكون إلا بوجودها مجتمعة (الهواء، الماء، الظل)، ولكنها ظهرت في هذه الآية تقوم بدور معاكس لدورها الذي نعرفه في حياتنا، فالهواء الذي نستنشقه لتزويد الجسم بالأوكسجين يدخل من مسامات الجلد فيحرقه ويسبب ضيقاً في التنفس، والماء يسبب العطش، والظلل تسبب زيادة الحر، والذي نعلمه من جانب آخر أن المضاف إليه يكسب المضاف تعريفاً ويجعله محدداً ، ولكنه أسقط في هذه الآية وجعل مبهماً، فلم تحدد هذه الأمور بالنار مع العلم بأنها من أنماط عذابها، الأمر الذي يشي إلى أنها تركت غير مختصة بها، لتقابل مثيلاتها في الدنيا بحال تشير إلى البون الشاسع بين الطرفين، وذلك تنبيهاً بالأدنى على الأعلى، كأنه قيل : أبرد الأشياء في الدنيا حار عندهم، فكيف أحرها؟ أشار إلى ذلك قوله تعالى في وصف الظل في الآية اللاحقة: ﴿لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ﴾[3] بعد تسميته باسمه المعروف باقترانه بصفتي البرد والكرم، الأمر الذي يزيد الشقة والتباعد عن مثيل ذلك في الدنيا، ليوحي بكمال شدة العذاب بملذات الدنيا، فكيف سيكون الأمر عند استخدام مكروهاتها؟

([1]) سورة الواقعة، الآيتان 42، 43.

([2]) أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج6، ص190.

([3]) سورة الواقعة، آية 44.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

ومن ذلك أيضاً قوله تعالى : ﴿يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾[1]، فقد تم إسقاط المضاف إلى (فوق)، فالتقدير: من فوق رؤوسهم، بدليل (من تحت أرجلهم)، وقد وقف البقاعي إزاء هذه الصورة مبيّناً غاية الإسقاط فيها من خلال مقابلتها في الذكر في (ومن تحت أرجلهم) قائلاً: "إن الحذف للتنبيه على عدم استغراق جهة الفوق، والذكر للإحاطة بما هو أدنى من فوق، كما إن التصريح بالرجل تحقيقاً للآدمي"[2].

ولعلنا نستبعد ما جاء به البقاعي، ذلك إ ننا لا نرى علاقة بين إسقاط المضاف (رؤوسهم)، وعدم استغراق العذاب من جهة الفوق، لما في عدم الاستغراق من تخصيص يكون ذكر المضاف إليه أولى بتأديته، لما له من دلالة على الاختصاص، إضافة إلى دلالة الحذف على الشمول، وذلك مخالف لما جاء في قول البقاعي.

والذي نميل إليه هو أن إظهار المضاف إليه عند ذكر (تحت)، وعدم إظهاره عند ذكر (فوق)؛ لأن نزول النار من فوق -سواء أكان من فوق الرؤوس أم من موضع آخر- عجيب، فلهذا لم يخصّه بالرأس، وأما إبقاء النار تحت القدم -فحسب- عجيب، وإلا فمن جوانب القدم ما يكون في الدنيا موقد نار، وهي تحت أيضاً، أشار إلى ذلك سوق ما يسبق تلك الآية بما يثير العجب بقوله تعالى: ﴿يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾[3]، من خلال ذلك الأسلوب في جعل العذاب على آكد وجه بتحويل الاستعجال الاستهزائي إلى إحاطة لأصحابه بما يستهزئون به، فذلك عجب ناسب إسقاط المضاف مع إطلاق حدود العذاب الفوقي، والاختصاص في الذكر مع تقييد العذاب التحتي.

ومن تلك المواطن قوله تعالى : ﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ، أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ﴾[4]، فالتقدير: أبصار أهلها، أو أصحابها خاشعة، أما الوجف فهو صفة القلب ومعناه:

---

(1) سورة العنكبوت، آية 55.
(2) البقاعي، نظم الدرر، ج5، ص571.
(3) سورة العنكبوت، آية 54.
(4) سورة النازعات، الآيتان 8، 9.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

الاضطراب[1]، وقد بيّن البيضاوي أن الأبصار لما كانت ذليلة من الخوف أضيفت إلى القلوب[2].

ما من شك في أن تعلق الأبصار في القلوب انتقال للوظيفة الحسية للبصر في مواقف الخوف، والغضب، والأمل، التي تتطلب تحول وظائف الحواس إلى القلب، لكونه موطن الشعور في تلك المواقف، وما يوم الفزع إلا أعظم دافع لهذا التحول، لشموله هذه المواقف في آن واحد، خوف من عذابه تعالى، وغضب الكافرين على مآلهم، وأمل في رحمته، الأمر الذي يدل على شدة هذه المواقف . إلا أن التحول في هذا الموطن يعضد هول الموقف في حدوث الإسقاط الفعلي للوظيفة الحسية البصرية، فيقول تعالى: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا﴾[3]، فيتم الانتقال الإجباري لتلك الوظيفة إلى تجسسات الشعور القلبي بالأمور، وتقديراته للحوادث المعتمدة على التخمين، فكأن إسقاط المضاف الدال على اختصاص الأبصار بأصحابها -إسقاط للوظيفة البصرية من العين، وانتقال لها إلى الشعور القلبي، لا سيما بإنزال الضمير العائد على القلوب منزلة أصحاب الأبصار.

ومما كثر حذفه في هذا المجال ياء المتكلم المضاف إليها (رب)، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ﴾[4]، وقوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى﴾[5]*، وقد وقف مصطفى عبدالسلام عند صور هذا الإسقاط مبيّناً أنه أسقط تخفيفاً وتلهفاً على تحقق المدعو به إذا كان دعاء، ولتتوفر العناية إلى ما بعده إذا كان غير ذلك[6].

ولعلنا نلحظ أن هذا الحذف يجري في حالة خطابه عزّ وجلّ، ولا نجده أثناء سير الحديث عنه سبحانه بطريق الغيبة، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ

---

(1) ابن منظور، لسان العرب، ج3، ص882.
(2) البيضاوي، أنوار التنزيل، ص482.
(3) سورة الإسراء، آية 97.
(4) سورة المؤمنون، آية 99.
(5) سورة طه، آية 125.
*انظر شواهد أخرى، النساء، آية 57، الأنعام، آية28، الأعراف، آية40، هود، آية102، طه، آية76، الأنبياء، آية99، الإنسان، آية14، سبأ، آية33، طه، آية125، الزمر، آية16، الطور، آية23.
(6) أبو شادي، الحذف البلاغي في القرآن الكريم، آية 84.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

﴿فَاعْبُدُوهُ﴾[1]، وقولـــه أيضاً: ﴿أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾[2]، كما نلحظ أن هذا الإسقاط في موضع نداء، إذ التقدير : يا رب، وعلاقة كل ذلك بالحذف من حيث إن الخطاب يأخذ أسلوباً في توجيهه إلى المخاطب يختلف عن أسلوب الغيبة، ولا سيما إذا كان نـــداء، فأنت إذا أردت نداء جدّك، أو عمّك قلت له :يا جد، أو : يا عم، مسقطاً ياء الـــتكلم؛ وذلك لأن كونه عمّاً لك شيء مؤكد لديك، ولا حاجة لوجود الياء لبيان أنه مخـــتص بالقرابة تجاهك، أما إذا أدرجته في كلامك بطريق الغيبة فإنك تقول : عمِّي، أو: جدِّي؛ وذلك لأنك تخاطب آخراً لا يتحقق له أن من تتحدث عنه هو عمّك إلا بتأكيد ذلك وبيانه (بالياء)، وما نحن في سياق الآيات السابقة إلاّ فـــي حـــديث عـــن أكيـــد الربوبية لجميع العباد، لا يسمو إلى مراتبها غيره، ولا أحد يقف أمام اختصاصه بها جاهلاً، إلا من كان الاستكبار على الحق غايته وبلوغ الهوان هوايته، فكـــان ذلـــك السياق الخطابي متشبعاً بما يثري ذلك وينبض به، فتم إسقاط ما يدل عليه.

7.1.4.3 حذف الموصوف:

ومن مواطنه قوله تعالى : ﴿مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا﴾[3]، أي: هنة صغيرة ولا كبيرة.

وفي ذلك الموطن نرى أن هاتين الصفتين سيقتا على هذا النسق تعبير عـــن الإحاطة بجميع السيئات والهنات في كتاب لا تسقط منه حتى شائبات الذنوب، وهـــو كما تقول:ما أعطاني قليلاً ولا كثيراً، أو صغيراً ولا كبيراً، قاصداً بذلك أنـــه لـــم يعطك شيئاً؛ لأن الأشياء إما صغاراً وإما كباراً، أشار إلى ذلك استفهام المشـــركين التعجبي من شمول هذا الكتاب، اعتماداً على اختلافه عن كتاب المؤمنين (ما لهـــذا الكتاب؟)، أي: ما السبب الذي يجعله لا يغادر صغيرة ولا كبيـــرة مخالفـــاً لكتـــاب المؤمنين الذي يسقط كثير من الصغائر؟ فلأنهم لم يجتنبوا الكبـــائر كتبـــت علـــيهم الصغائر، فكان كتابهم محيطاً بجميع الهفوات، يعضد ذلك مـــا يـــوحي بـــه تقـــديم الصغائر على الكبائر من اهتمام بإيرادها يساوي أو يتعدّى الاهتمام بكبائر الذنوب،

---

(1) سورة آل عمران، آية 51.
(2) سورة المائدة، آية 117.
(3) سورة الكهف، آية 49.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

فكان تقديمها في الذكر دالاً على تقديمها في الاهتمام، الذي يعد توجيهه بتلك الهنات بؤرة الشمول، ناهيك عمّا يوحي به الإفراد (صغيرة-كبيرة) من تمثيل مطلق يناسب تلك الإحاطة، التي أشار إليها من جانب آخر سوق نفي ترك صغائر الأمور وكبائرها بلفظ المغادرة (لا يغادر)الدال على الوقوف ملياً عند توثيق الذنوب؛ لئلا يتمّ استثناء أحدها.

ومن تلك المواطن أيضاً قوله تعالى : ﴿وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَتْرَابٌ﴾[1]، أي: أزواج قاصرات الطرف، وقد وقف بعض البلاغيين والمفسرين إزاء هذه الصورة، وكانت الغاية في رأي محمد حسين الطباطبائي؛ لأنهن قصرن أبصارهن على أزواجهن لا ينظرن إلى غيرهم [2]، وفي رأي محمد بسيوني فيود أن ذلك لذيوع الصفة وشهرتها[3].

ونحن إذ نقف مع الرأي الأول لا نكتفي بالوقوف على أطلاله بل لا بد من بيان العلاقة بين قصرهن أبصارهن على أزواجهن والإسقاط في الآية الكريمة، وتلك العلاقة تحتاج لبيان سبب إيثار صفة قصر الطرف على حين تمتع الحور العين بصفات أخرى كثيرة، فلربّما أن السبب في ذلك هو كون ذلك القصر محط تساؤل بعد العلم بتلك الدرجة التي عليها نساء الجنة من الجمال واللباقة .... وغيرها من الصفات، لكون التمتع بتلك الصفات مما قد يدعو إلى اعتقاد الأزواج أن ذلك يحفز إحداهن إلى التعدي بالنظر حدود زوجها، فكانت تلك الصفة بمثابة التكريم الإضافي للأزواج على ما تمتعت به النساء من الصفات الأخرى، الأمر الذي استدعى حذف الموصوف، وإنزال هذه الصفة منزلته تأكيداً لاتصافهن بها على السوية، أشار إلى تأكيد الاتصاف سوق ما يدل عليه باسم الفاعل (قاصرات)، وإلى التساوي إفراد الطرف وكأن قصرهن جميعاً بطرف واحد، وأشار إلى ذلك اتباعه

(1) سورة ص،آية 52.
(2) الطباطبائي، محمد حسين، 1417هـ-1997م، الميزان في تفسير القرآن، ط1، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، مجلد9، ج17، ص219.
(3) فيود، بسيوني عبدالفتاح، 1425هـ-2004، علم المعاني/دراسة بلاغية ونقدية لمسائل علم المعاني، ط2، دار المعالم الثقافية للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ص400.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

تعالى صفة (أتراب) التي تدل على التساوي في السن، لما في عدمه من دافع للنظر إلى غير الزوج بحكم صغر السن وكبره، فكان ذلك التكريم الإضافي تمشياً مع مضاعفة الأجر الجزيل للمتقين، الذي نلحظه في المشهد العام حول تلك الآية، فيقول عز وجل قبلها : ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ، جَنَّاتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ الْأَبْوَابُ﴾[1]، فإن التكريم تعدّى دخول الجنة والتمتع بنسائها إلى جعل أبوابها مفتوحة فور وصولهم.

ومن مواطن ذلك قوله تعالى : ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِن مَّعِينٍ﴾[2]، فالتقدير: يطاف عليهم بكأس من شراب معين . والشراب المعين: هو الجاري على الأرض الظاهر للعيون وصف بما يوصف به الماء؛ لأنه يجري على الأرض -أرض الجنة- أنهاراً كما يجري الماء[3]، ولكن ما الغاية من إسقاط (شراب) من السياق؟

لعلنا نلاحظ أن الكأس في الآية تدل على الشراب وليس الزجاجة، وهذا كثير الاستعمال عند العرب، فهم يطلقون الكأس على الخمر عندما تكون مملوءة به، فيقولون: كأساً، ويريدون: الخمر، للزوم الكأس لشرب الخمر دون الأواني الأخرى، لزوماً تم اكتسابه بتكرار ذلك الاستخدام إلى أن أصبحت الآنية تدل على الشراب، فلما كانت الكأس تدل أحياناً كثيرة على الشراب، وكانت تدل عليه في الآية، تم الاكتفاء بها وإسقاط الشراب، ويدل على ذلك كما أشرنا في الفصل السابق - عدم ورود الكأس بصيغة الجمع في القرآن الكريم، الأمر الذي يدل على خروجها عن دلالتها الوضعية إلى الدلالة العميقة، ويشير إلى ذلك الالتفات من الجمع إلى الإفراد في قوله تعالى: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ، بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ﴾[4]، إضافة إلى ما يوحي به الوصف من دلالة على الخمر فيما بعد الآية التي نحن بصددها في قوله تعالى: ﴿بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ﴾[5]، فصفتا البياض ولذة المذاق لا تكونان للكأس، وإنما للشراب.

---

(1) سورة ص، الآيتان 49، 50.
(2) سورة الصافات، آية 45.
(3) الزمخشري، الكشاف، ج4، ص42؛ الرازي، التفسير الكبير، ج26، ص137.
(4) سورة الواقعة، آية 17.
(5) سورة الصافات، آية 46.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

ومن تلك المواطن أيضاً قوله تعالى : ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾[1]، أي: إلا كلمة واحدة هي كلمة: كن.

لعل المعهود عند العرب هو أن تستغني عن الصفة، فيقال : جاء رجل، وجاء رجلان، ويستدل بذلك على أن القادم رجل واحد في الأولى واثنين في الثانية بمعرض ذكر الفاعل، ولكننا نرى الاستغناء في هذه الآية عن الموصوف الذي من شأنه أن يكون مذكوراً والصفة محذوفة، وذلك لسر يؤدي دلالات مهمة في السياق.

وفي ذلك نرى أن إسقاط كلمة (واحدة)من السياق يؤدي وظيفتين : الأولى، بيان أنه لا حاجة إلى تكرير الأمر أو زيادته، إشارة إلى سرعة نفاذه، لذلك قال : وما أمرنا، ولم يقل إرادتنا، كما في قوله تعالى : ﴿إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾[2]، الأمر الذي يدل على أن التحقق في الأولى حادث على وجه من السرعة لا يتسنّى معه للبصر إدراك حدوثه، كان ذلك على الصعيد اللفظي داعياً لإسقاط ما يدل على الكلام (كلفيّ)ذلك المعرض التنفيذي الذي صار إلى تسريع زمني في الحدوث، ناسب ذلك الاختصار اللفظي على الجهة المقابلة، ناهيك عمّا يوحي به الاستثناء بـ (إلا) من حصر الأمر في وحدة القول دون غيرها فيما لو تم الذكر، والوظيفة الثانية هي بيان عدم اختلاف حال الأمر باختلاف حال المأمور به، فأمره عند خلق العرش العظيم كأمره عند خلق الأمر الصغير، أشار إلى ذلك إنزال التوحيد مكان كلمة الأمر التي لو ذكرت لما دلّت على هذه الغاية.

ومن تلك المواطن أيضاً قوله تعالى : ﴿وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ﴾[3]، أي: الأعمال الخاطئة.

تنبئ الآية الكريمة عن عظم جرم بعض من الأقوام السابقين مقارنة مع غيرهم، وصرّح بفرعون وقومه، لبروزهم في ذلك بين نظرائهم من الأقوام الأخرى، وفي إزاء قبائح هذه الأقوام الرابية وطيغانهم الفادح، كانت الحاجة أبلغ

(1) سورة القمر، آية 50.
(2) سورة يس، آية 82.
(3) سورة الحاقة، آية 9.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

للدلالة على كمال اعتمادهم لتلك الأعمال، فتمّ إسقاط الموصوف، وإنـزال صـفته مكانه، إشعاراً ببلوغ طغيانهم إلى درجة حسن معها توجيه مجيئهم بالخطـأ ذاتـه، وليس الأعمال المتصفة به، ضاعف من ذلك اختيار تلك الصفة (الخاطئـة) التـي توحي بوقوع ذنب عظيم أشبه بفضيحة عارمة، ولو سيق بلفظ (الخطأ) لاقتصر ذلك على الدلالة على وقوع خطأ اعتيادي قد يكون بطريق الـ زلل الذي يخرجه من الدلالة على الهول الظاهر، يعضد ذلك توجيه المجيء في حال الحديث عن قوم لوط إلـى المؤتفكات* وليس إلى أهلها، الأمر الذي يوحي بعظم العذاب الـذي يتطلـب قـدوم القرى التي عملوا فيها الخاطئة.

وقد أُكِّدت هذه الرؤية بسوق أعمال التكذيب في حال قومي عاد و ثمود فيمـا يسبق هذه الآية بطريق الوحي بالإخبار الاعتيادي لفعلهم دون تلك المبالغات التـي ظهرت إزاء قوم فرعون ونظرائه؛ فيقول عز وجل: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ﴾(1).

ومن الأمثلة البارزة على حذف الموصوف، التعبير الذي يتكرر في القـرآن بإسقاط موصوفيالدنيا والآخرة، ومنه قوله تعالى : ﴿وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُم مِّنَ الْمَقْبُوحِينَ﴾(2)، وقوله تعالى : ﴿وَمَن كَانَ فِي هَـذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلاً﴾(3)، وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجاً وَهُم بِالآخِرَةِ كَافِرُونَ﴾(4)، فالتقدير: الحياة أو الدار الدنيا، والحياة أو الدار الآخرة.

---

* المؤتفكاتهي قرى قوم لوط التي ائتفكها الله، أيقلبها على أهلها، انظـر :الزمخشـري، الكشـاف، ج 4، ص600؛ البقاعي، نظم الدرر، ج8، ص124.

(1) سورة الحاقة، آية 4.

(2) سورة القصص، آية42.

(3) سورة الإسراء، آية 72.

(4) سورة الأعراف، آية 45.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

وقد أجمع معظم المفسرين على أنهما صفتان غلبتا على الدارين، فجرتا مُجرى الأسماء،[1] وانفرد الرازي برأي مؤداه "أن الآخرة صفة للدار وسميت بها؛ لأنها متأخرة عن الدنيا، وسميت الدنيا بذلك؛ لأنها أدنى من الآخرة"[2].

وهذا لا يكفي فالبحث عن العلة في الحذف لا يقتصر على هذه الآراء التي تقف عند وصف الظاهرة، ولا سيما ما ذهب إليه معظم المفسرين، إذ إننا نعلم أن هاتين الصفتين غلبتا على الأسماء، ولكن الأهم من ذلك هو بيان السبب في ذلك التغليب الذي يوحي بالبعد الدلالي الذي يعين عليه السياق، وأما ما نراه في رأي الرازي الذي يسمح لنا بتسمية جميع الموصوفات بصفاتها لمحض اتصافها بها، فإنه يوقع بالاضطراب أكثر من تفسيره للظاهرة، والذي نراه في ذلك مختص بما نلحظه من وصف كل من الدارين بصفة غير مقابلة لصفة الدار الأخرى، على الرغم من كونهما متضادتين، فوصفت الدنيا بهذه الصفة، والصفة المقابلة لها هي العليا، ووصفت الآخرة بهذه الصفة، وما يقابلها هي الأولى، الأمر الذي يدل على أن صفة الأولى مؤكدة في الدنيا بواقع معيشتنا بها الآن، وإنما الحاجة لتأكيد أنها الدنيا في منزلتها بالنسبة للآخرة، وأن صفة العليا مؤكدة في الحياة الآخرة أيضاً بواقع ما نعاينه من نقص الحياة الدنيا، وإنما الحاجة لتأكيد أنها الآخرة الأزلية في إزاء إنكارها، ووقوعها في عالم الغيب، ولكن ما علاقة ذلك بالإسقاط في السياق؟

إنّ علاقة ذلك بالإسقاط أنك إذا أردت أن تؤكد صفة الشجاعة في شخص يتصف إلى جانبها بصفات أخرى سميته بها، فتقول عند حضوره : جاءت الشجاعة، وكأنه هو الشجاعة والشجاعة هو، فلا يزيد عليها ولا ينقص، ولا تزيد عليه ولا تنقص، ولربما أن هذا ما حدث في الآيات السابقة.

8.1.4.3 حذف الصفة:

---

(1) النيسابوري، نظام الدين الحسن بن محمد (ت728هـ-1327م)، 1416هـ-1996م، غرائب القرآن ورغائب الفرقان ضبطه وخرّج آياته وأحاديثه زكريا عميرات، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، مجلد1، ص147؛ أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج1، ص48؛ البيضاوي، أنوار التنزيل، ص9.

(2) الرازي، التفسير الكبير، ج2، ص32.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

وهذا النوع قليل نادر في الكلام، ذلك إن الصفة مختصة بالإيضاح والبيـان، الأمر الذي يهيئ لها الحلول مكان الموصوف بشكل واسع، دون حلوله مكانها على هذه السعة.

ومن مواطن هذا الحذف قوله تعالى : ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ، فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ، وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ، فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾[1]، أي: موازينه الصالحة، أو موازين أعماله الصالحة، ذلك إنها هي التي تسيّر صاحبها إلى الجنة إذا ثقلت، ولكن ما سر هذا الإسقاط؟

لعلنا نلاحظ أن نتيجة عملية وزن الأعمال اقتصرت علـى إعطـاء صـفة الأعمال الصالحة دون صفة الأعمال السيئة، على الرغم من كون كل منها الطرف المقابل للآخر في عملية الوزن، حيث إنه لـم يقـل : فأمـا مـن ثقلـت موازينـه الصالحة... وأما من ثقلت موازينه السيئة، إنما كان البيان بتبادل الثقل والخفة على ثبات الأعمال الصالحة، ولكن لماذا ذلك؟

لو اشترى أحد كمية من الخضار ولا تشبيه لذلك بما سبق إلا بالشكل - فإنه سيسأل: كم وزنها؟ مع أن البائع قد قام بوضع هذه الخضار في كفة الميزان الأولى، ووضع الكتل الحديدية في الكفة الثانية، وقام بعملية الموازنة بين كلا الطرفين الـ تـي لا تعدو أن تكون أسلوباً يتم فيه مساواة الطرفين، ولكن المشتري يسأل عـن زنـة الخضار؛ لأنها هي مناط حاجته، فلما كانت الأعمال الحسنة هي مناط حاجة الإنسان يوم القيامة فهي سبيله لدخول الجنة والابتعاد عن العذاب -، كانـت هـي نتيجـة عملية وزن الأعمال يوم القيامة، ولكن ما علاقة ذلك بالإسقاط؟

إن جعل الأعمال الحسنة هي الغاية من عملية الموازنة دون الأعمال السـيئة كان إظهار لها وتبييناً، الأمر الذي استدعى الاستغناء عن صفتها وإسـقاطها مـن السياق، وزاد ذلك الإظهار، سوق الموازين مقترنة بالضمير العائد على صـاحبها، فوضعت بذلك موضع الأعمال الصالحة، إضافة إلى ورودها بصيغة الجمـع مـع معرفتنا بعدم تعدد عملية الوزن بالنسبة للفرد الواحد، الأمر الذي ناسب الجمع فـي حال الأعمال، إضافة إلى إسقاط الطرف الآخر في عملية الموازنة، أي فلم يقل: فمن

---

(1) سورة القارعة، الآيات 6-9.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

ثقلت موازين أعماله الصالحة على موازين أعماله السيئة، الأمر الذي زاد وضوح الاهتمام بالأعمال الحسنة في السياق، فحسن معه الإسقاط.

وقد تأكدت لدينا هذه الرؤية من حذف الصفة فيما يماثل الصورة السابقة، فقال عز وجل : ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾[1]، أي: وزناً صالحاً أو نافعاً، فالوزن قائم لا محالة، وإنما المراد الوزن الصالح؛ لأنه محط اهتمام الجميع يوم القيامة.

ومن تلك المواطن أيضاً قوله تعالى: ﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ﴾[2]، فالتقدير: وشراب كثير، وقد وقف غير قليل من المفسرين عند هذه الصورة، فكان الحذف في رأي النيسابوري (ت728هـ-1327م)كتفاء بالذكر في الأول[3]، وقال بعضهم : "إن الاقتصار على الفاكهة للإشعار بأن مطاعمهم لمحض التلذذ، فإن التغذي للتحلل ولا تحلل ثمة"[4]، وبيّن البقاعي ذلك بقوله :"ولما كانت الفاكهة لا يُمَلّ منها، والشراب لا يُؤخذ منه إلا بقدر الكفاية وصفها دونه"[5].

ولا نرى أن الرأي الثاني يمكن أن يكون غاية لهذا الإسقاط، فنحن لا نتردد في اعتبار كل من الفاكهة والشراب مما هو للتلذذ، ذلك إن كل منها ليس من حاجات الإنسان الأساسية، كما إن ما جاء به البقاعي يوصل إلى أن الشراب يمل منه، ولا نظن أن شيئاً في الجنة قد يمل منه، فقال تعالى: ﴿لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزِفُونَ﴾[6].

والذي نراه في نكتة هذا الإسقاط، مختص بالصفة ذاتها وهي الكثرة، فهي في هذا الموطن تدل على كثرة النوع وليس الكم، ذلك إن توافر الفاكهة والشراب في الجنة بكميات كبيرة أمر مفروغ منه، وإنما الذي يحتاج إلى بيان هو تعدد أنواع هذه الفاكهة التي نسبت الكثرة إليها كما يظهر في الدلالة السطحية وليس إلى نوعها، لبيان كثرة الأنواع بحيث وصولها إلى تعدد يساوي الكثرة الكمية للفاكهة عامة،

---

(1) سورة الكهف، آية 105.
(2) سورة ص، آية 51.
(3) النيسابوري، غرائب القرآن، ج5، ص604.
(4) البقاعي، نظم الدرر، ج6، ص395.
(5) أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج5، ص368؛ البيضاوي، أنوار التنزيل، 406.
(6) سورة الواقعة، آية 19.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

وذلك يدل على كثرة الأنواع، وبذلك لما كانت الفاكهة كثيرة الأنواع تم وصفها بتلك الصفة، وأسقطت في حال الشراب الذي لا يدل في هذا الموطن على أكثر من نوع واحد وهو الخمر، أشار إلى ذلك ما يومئ به السياق من مغريات التلذذ والتفكه لا سيما الحور الحسناوات في قوله بعد هذه الآية : ﴿وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَتْرَابٌ﴾[1]، اللواتي تزامن لذة التمتع معهن لذة شرب الخمر.

9.1.4.3 حذف الجار والمجرور:

ومن مواطنه قوله تعالى : ﴿ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾[2]، أي: مشهود فيه، فاليوم ليس مشهوداً في نفسه، وإنما مشهود فيه أشياء أخرى غيره.

لعلنا نلاحظ أنه تم الاتساع بالظرف (اليوم) بإجرائه مُجرى المفعول به، وإيثاره على فعله، وكأن اليوم هو المشهود وليس أحداثاً فيه، الأمر الذي يدل على أن حضور الناس في هذا اليوم يكون مع اطلاع بعضهم على أحوال الباقين من المحاسبة والمساءلة اطلاعاً شاملاً لجميع مواقف هذا اليوم؛ على خلاف وصف الجمع في بداية الآية (مجموع له)، الذي يدل على انفراد كل واحد بواقعه الخاص، أشار إلى ذلك الاختلاف إظهار اسم الإشارة والظرف (ذلك اليوم) في موضع إضمارهما، وعدم الاكتفاء بالذكر الأول في حالة الجمع، لما في ذلك من دلالة على اختلاف بين الطرفين حسن معه إعادة الذكر؛ لأن ا لاختلاف يبعد دلالة الأول عن الثاني، ولو تم ذكر المحذوف (فيه) لدل على اختصاص أشياء معينة بالشهود دون غيرها.

ومن مواطنه أيضاً قوله تعالى : ﴿يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ﴾[3]، أي: كفروا بالله.

([1]) سورة، ص، آية 52.
([2]) سورة هود، آية 103.
([3]) سورة النساء، آية 42.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

في تلك الصورة يلحظ إسقاط لفظ الجلالة (الله) والجار قبله بعد الكفر، وذكر الرسول صلى الله عليه وسلم - مفعولاً للعصيان، على الرغم من أن الأولى أن يضمر الرسول صلى الله عليه وسلم - لتوجه الخطاب إليه في هذه الآيات جرياً على الأسلوب السابق لهذه الآية، فيقول عز وجل : ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَـؤُلاء شَهِيداً﴾[1]، ولكن تم التحول عن أسلوب الغيبة إلى أسلوب الخطاب الذي رافقه -بطبيعة الحال- إظهار الرسول -صلى الله عليه وسلم- وإسقاط لفظ الجلالة، ولكن ما علاقة ذلك بالإسقاط؟

ربما أن ذلك الإسقاط متعلق بدرجة اختصاص الرسول -صلى الله عليه وسلم- بالعصيان مقابل اختصاصه تعالى بالكفر، فتعلق الكفر بالله تعالى وحده كان داعياً لذلك الإسقاط، لكون ذلك معلوماً مؤكداً، على حين معرفتنا بعدم تعلق العصيان بالرسول صلى الله عليه وسلم - وحده، فقد يعصى غيره كما يعصى هو، الأمر الذي كان داعياً لإظهاره بياناً لاختصاصه بالعصيان في هذا الموطن، ولعل ذلك كان السبب في الالتفات عن الخطاب إلى الغيبة، وقد أشار إلى ذلك ما يومئ به سوق هذه الفئة بالموصول (الذين كفروا) بعد الإشارة إليهم بـ (هؤلاء) من تحقيق للغاية نفسها لا يتوصل إليه بغير هذه الصيغة.

ومن مواطن هذا الإسقاط أيضاً، قوله تعالى : ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾[2]، أي: ما يؤمرون به، فهم لا يفعلون الأمر ذاته (الكلام)، وإنما يفعلون ما يوجه إليه الأمر.

والآية الكريمة مسوقة لبيان شدة العذاب في النار وهوله، فعليها ملائكة غلاظ شداد يجتنبون نواهيه عز وجل (لا يعصون الله ما أمرهم)، ويؤدون واجباتهم المأمورون بها (يفعلون ما يؤمرون).

لعلنا نلحظ أن المقام في هذه الآية مقام تهويل وتفخيم، أكّد ببيان شدة الطاعة من جنب الملائكة لله عز وجل، ليكون ذلك أوقع في نفوس الكافرين من جانب

(1) سورة النساء، آية 41.
(2) سورة التحريم، آية 6.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

قدرته تعالى بتنفيذ شتّى أنواع العذاب من خلال أوامره المطاعة من قبل خزنة النار مهما بلغت من التعدي للأطر المعهودة؛ دل على ذلك سوق ما يشير إلى عدم المعصيةلا(يعصون الله ما أمرهم)، واتباعه بما يدل على تنفيذ الأوامر (ويفعلون ما يؤمرون)، رغم دلالة كل منهما على الآخر، فانتفاء المعصية تنفيذ للأوامر، والعكس صحيح، ولكن ذلك زيادة في توثيق شدة الطاعة التي تتجاوز كل حد معهود، الأمر الذي أحتيج معه إلى إسقاط الجار والمجرور بعد ما يدل على تنفيذ الأوامر وتنوعها عاملين ذلك من غير تثاقل ولا توان، إذ إن ذكر المحذوف يعيد الإطلاق إلى اختصاص يحدد ذلك الشمول التنفيذي للأوامر.

ومن تلك المواطن قوله تعالى : ﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى﴾[1]، فالتقدير: لا يموت فيها ولا يحيا فيها، وفي هذه الصورة نرى أن الإسقاط يقدم غايتين : أولاهما: تناسق الفواصل القرآنية فيما يسبق هذه الآية وما يتلوها والتي كانت كالآتي : (يخشى، الأشقى، تزكى، فصلى) أما ثانيتهما : تتضح من خلال نظرتنا إلى الآية فيما لو كان المحذوف مذكوراً، فإننا سنكون أمام نفي موت الكافر وحياته في النار، فأما عدم موته فيها فهو أمر حقيق ولا غرابة فيه، فالإنسان لا يموت إ لا موتة واحدة وهي في نهاية حياته الدنيا، وأما عدم حياته فيها فهو أمر لا يجوز، ذلك إنها هي مكان حياته الأزلية. وبناء على ذلك فإنه إذا كان لا يموت فيها ولا يحيا فيها فهو ليس فيها، لعدم وجود حالة ثالثة للإنسان غير الموت والحياة، وإن كان مترددا بينهما، فتم إسقاط الجار والمجرور إثباتاً لحياة الكافر في النار التي هي مقامه الأزلي، واللذان لو تم ذكرهما (الجار والمجرور) لدل ذلك على عدم الحياة فيها، الأمر الذي يجعله دليلاً يتقمصه الجاحد ليتكئ عليه في نفي أبدية الكافر في النار، وقد يجعله ينكر دخوله النار أصلاً، فلذلك -والله أعلم- أشار تعالى إلى دخول النار أولاً بقوله تعالى : ﴿الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى﴾[2]، ثم أورد حاله المتردد بين الموت والحياة، مشعراً ببعض من التراخي بعد دخوله النار بـ (ثم)، تأكيداً لثبات الدخول أولاً، ثم بيان تلك الحالة.

---

(1) سورة الأعلى، آية 13.
(2) سورة الأعلى، آية 12.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

وقد يقول قائل : إن الله تعالى بيّن في هذه الصورة أن هناك حالة ثالثة يكــون فيها الإنسان في النار تقع بين الموت والحياة، نقول : إن الآية ليس فيهــا تصــريح بوجود تلك الحالة، أو ما يدل عليها بكونها حالة مستقلة عن الموت والحياة، ذلك إنها لو كانت لوصفت، أو سميت، أو تم بيان كيفيتها، فكل ما أشير إليــه بــين المــوت والحياة لا يعدو انتقالاً من حالة الموت إلى حالة الحياة، وبالعكس، وليس هو حالــة ثالثة، إضافة إلى أن الإنسان ما دام يشهد هذا الانتقال ويشعر به، فإنه من الأحياء لا محالة.

وقد تأكدت لدينا هذه الرؤية من ظهور ذلك الإسقاط بعد الفعل (يحيــا) فــي صورة مماثلة، وليس من بعد الفعل (يموت) فيقول تعالى : ﴿إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِماً فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى﴾[1]*، مع العلم بأن الفواصل القرآنية حول هذه الآيــة غيــر مطابقة لها.

ومن تلك المواطن أيضا قوله تعالى : ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا﴾[2]، أي: وأبصر بهم

وفي بيان غاية الإسقاط نود أن نشير إلى أن المقصود بالسمع والإبصار هنــا : إدراك المسموع والمبصر وتطبيقهما، وليس السمع والرؤية ذاتها، ذلــك إن الســمع والإبصار قد تحققا لدى الكافرين بدعوة الرسل وتقديم الدلائل ولكنهم لم يدركوا ذلك. والآية الكريمة مسوقة لبيان أن الجاحدين الذين تظاهروا بعــدم الســمع والإبصــار عندما جاءتهم الرسل، هم اليوم في أعلى درجات سمعهم وإبصــارهم تجــاه هــذه الأمور، حتى وصلت إلى حد يجدر إزاءه التعجب منها، فصح أمره تعالى للرســول باستخدامهم كأدوات للسمع والإبصار دلالة على شدة إدراكهم لما يقال.

ولعلنا نلحظ أنه في الوقت الذي تم فيه إسقاط الجار والمجــرور فــي حــال الإبصار تم ذكرهما في حال السمع، الأمر الذي يجعلنا ننظر من هذه الزاويــة فــي بيان غاية الإسقاط، وفي ذلك نرى أنه لما كان السمع الوسيلة الأولى لاستقبال الدعوة

---

(1) سورة طه، آية 74.
* انظر شاهد آخر، سورة الجاثية، آية 33.
(2) سورة مريم، آية 38.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

PDF Complete
Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages

إلى الله تعالى من الرسل في الدنيا، وكان البصر وسيلة ثانوية في هذا الاستقبال مقتصرة على رؤية بعض الدلائل، كان السمع أكثر تعطيلاً من قبل الكافرين من البصر في التغاضي عن الإيمان به تعالى، الأمر الذي يجعل سمعهم يوم القيامة أشد من بصرهم تناسباً مع شدة التغاضي عنه في الدنيا، لذلك تم إسقاط الجار والمجرور في حيال بيان استخدامهم كأدوات للإبصار، والذي بإسقاطه يخفف من دلالة ذلك الاستخدام، ولا سيما باحتواء الجار والمجرور المحذوف على باء الاستعانة التي تعزز ذلك الاستخدام، الذي تم الوصول إليه بالذكر في حال السمع، و قد أشار إلى ذلك تقديم السمع على الإبصار، لما يتهيأ للمتقدم من ذكر يسوّغه الاحتياج للتوضيح في حاله لا يتهيأ للمتأخر.

وقد تأكدت لدينا هذه الرؤية من حذف الجار والمجرور مع السمع، وذكره مع الإبصار في قوله تعالى : ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ﴾[1]، ذلك إن السياق عندما كان متحدثاً عن شدة مراقبته تعالى لعباده، وكان ذلك مختصاً بالإبصار أكثر منه في السمع، تم ذكر الجار والمجرور في حال الإبصار وحذفه في حال السمع.

ومن تلك المواطن أيضاً قوله تعالى : ﴿هَذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ لَا مَرْحَبًا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ، قَالُوا بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ﴾[2]، أي: قالوا لشركائهم.

في هذا المشهد خطاب خزنة جهنم للرؤساء الكفرة في النار، الذين أضلوا خلقاً كثيراً عن الطريق القويم، بإخبارهم -مشيرين لهم- بدخول فوج من الذين أضلوهم النار، فكان في تلك اللحظة التي ينتظر فيها توجيه خطاب هذه الفئة للخزنة- رداً تم فيه الانتقال مباشرة إلى خطاب مضليهم بنفي الترحيب بهم متجاوزين بذلك خطاب الخزنة، فالأصل أن يقولوا بطريق الاعتذار للخزنة : بل هم لا مرحباً بهم، ولكن كان ذلك التحويل الخطابي الذي رافق إسقاط الجار والمجرور (لشركائهم) - قصداً منهم لإظهار صدقهم بالمخاطبة مع الرؤساء، والتحاكم إلى

[1] سورة الكهف، آية 26.
[2] سورة ص، الآيتان 59، 60.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

الخزنة طمعاً في قضائهم بتخفيف عذابهم، أو مضاعفة عذاب خصمائهم، أشار إلى ذلك التحول المرافق لذلك الانتقال من الغيبة إلى التكلم، لكون المشافهة أدخل في التصديق والعتاب، على حين إنه لو تم ذكر المحذوف لكان بمثابة التقديم الذي يفقد السياق عنصر التحول المباشر، وبالتالي عدم تأدية تلك الغاية المبنية على المباشرة في التحول، وقد أشار إلى ذلك سوق دخولهم النار بلفظ الاقتحام الدال على الهجوم الإرادي الناتج عن الغضب من الرؤساء على الرغم من معرفتهم بعذاب النار، الذي يجعل صاحبه يساق إلى النار ولا يقتحمها.

ومن تلك المواطن قوله تعالى : ﴿فَأَمَّا مَن طَغَى ،وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ، فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى﴾(1)*، والتقدير: هي المأوى له، وقد بين معظم المفسرين أن الغاية في ذلك هي وضوح المعنى، وذلك كقولك للرجل: غض الطرف، أي: غض طرفك(2)، وفي رأي أبي حيّان (ت745هـ-1344م) أن الحذف حسن في ذلك لوقوع (المأوى) فاصلة(3).

ونحن إذ نخالف الرأي الأول لا نعترض على وضوح المعنى في هذه الآية، ولكننا نرى أن المعنى إذا كان واضحاً حسن حذف لفظه، بل كان ذكره صائراً إلى شيء غث لا يناسب فصاحة اللسان، ولو ذكرنا المحذوف في الآية السابقة فإنه لا يصير إلى ذلك، الأمر الذي يدفعنا لبيان غاية أخرى لهذا الحذف؟

وبالنظر إلى هذه الآية نجد أنها تسوق مثالاً لمأوى الكافرين بذلك الشخص الطاغي، المنهمك في حياته المبنية على جناح الفوات، مؤثراً لذاتها على الحياة الأبدية، وذلك إطلاقاً لشمول ذلك المأوى جميع أفراد هذه الفئة التي تم التمثيل عليها بذلك الشخص، ولو تم ذكر المحذوف لكان داعياً إلى الظن باختصاص قد يوهم بفردية المختصة بذلك المأوى، أشار إلى ذلك إيثار التعريف بـ (أل) في

---

(1) سورة النازعات، الآيات 37-39.

*انظر شواهد أخرى، البقرة، آية 25، آل عمران، آية 185، النساء، آية 41، الأنعام، آية 22، الأعراف، آية42، يونس، آية9، الرعد، آية 5، إبراهيم، آية 21، الكهف، آية 30، مريم، آية 96، طه، آية 112، الأنبياء، آية 97، الفرقان، آية19، النمل، آية 86، القصص، آية 83، العنكبوت، آية 58، الروم، آية 15، لقمان، آية 33، السجدة، آية19.

(2) الزمخشري، الكشاف، ج4، ص698؛ الرازي، التفسير الكبير، ج31، ص51.

(3) أبو حيّان، البحر المحيط، مجلد8، ص415.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

(المأوى)على التعريف بالإضافة، فلم يقل : مأواه، لما في ذلك من ذات الدلالة على الشمول، التي لا يتسنى لها الظهور إلا عند التعريف بـ (أل)، ولربما أيضاً أن الامتداد الصوتي بالألف المقصورة في (المأوى) ناسب ذلك الامتداد الشمولي لأفراد الفئة في ذلك المآل، ولا ننسى ما يقدم هذا الإسقاط من تناسق لنظام الفواصل القرآنية مع الآيات المجاورة (طغى -المأوى -الهوى).

10.1.4.3 حذف الحال:

وهو نادر الورود في الكلام؛ وربمّا لأن ذلك لأن الحال ذاته قليل الورود، ومن مواطن حذفه قوله تعالى : ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ﴾[1]، أي من سوء محضراً، بدليل : من خير محضراً، وقد وقف البقاعي عند هذه الصورة مبيناً أن ذكر إحضار الخير دلالة على حضور السوء[2].

ونحن حين نتعدى هذه الغاية التي ترددت عند البلاغيين والمفسرين لا نقف أمامها كمعارضين، ولكننا نرى أن مخالفة الظاهر في البيان المعجز لا تقف عند هذه الحدود، وإنما تتعدى ذلك لأسرار بلاغية مهمة، فدلالة الذكر في الأول على الحذف في الثاني حاصلة في السياق، ذلك إنها الدليل الأول على وجود الحذف، ولكن اختصاص الأول بالذكر دون الثاني يشعر بوجود سر بلاغي يخرج عن هذا الإطار.

والذي نراه في توجيه ذلك أنه خُصَّ الإحضار بالذكر في الخير، للإشعار بكون الخير مراداً بالذات، ولم يكن ذلك موجوداً في حال الشر، للإشعار بكونه من مقتضيات الحكمة التشريعية غير المرغوبة، فلما كان الخير مراداً كانت النفس متلهفة لمعرفة ميعاده أو حالته، في حين إن الشر عندما كان مكروهاً كان يكفي الإنسان معرفة أنه موجود دون معرفة ميعاده، فأنت إذا خاطبت ابنك لتحفزه على الدراسة فإنك تقول له:إذا نجحت فسوف تجد هديتك جاهزة، أما إذا رسبت فستجد

([1]) سورة آل عمران، آية 30.

([2]) البقاعي، نظم الدرر، ج2، ص61.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

العقاب، فلا يكفي من عمل الخير أن يعرف أنه يجازى، ذلك إن لهفته تقوده إلى غير ذلك من معرفة وقت الجزاء ونوعه و ...، في حين إن عامل الشر يكتفي بمعرفة وجود العذاب لكونه الأمر المهم لديه، أشار إلى ذلك سوق الحال بصيغة اسم المفعول (محضراً) التي فيها ما ليس بصيغة اسم الفاعل (حاضراً) من تأكيد إحضار الخير المنتظر، إضافة إلى تقديم الخير على الشر الذي ناسب الذكر في الأول والحذف في الثاني.

ومن تلك المواطن قوله تعالى : ﴿وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرّاً وَعَلاَنِيَةً وَيَدْرَؤُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُوْلَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ، جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالمَلاَئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ،سَلاَمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ﴾[1]*، أي: قائلين سلام عليكم، وقد وقف مصطفى أبو شادي عند هذه الصورة مبيناً أن الإسقاط لتتوفر العناية للمقال الذي هو غرض الكلام[2]، وفي رأي فتحي أحمد عامر أن ذلك ؛لأن دخول الملائكة على المؤمنين يشعر بأنهم سيخاطبونهم، ويقولون لهم، فلا حاجة إذن لذكر المحذوف الذي يدل على الحال من الملائكة تتميماً للنسق الفني في الصياغة المعجزة[3].

والبيان القرآني لا يقف عند تلك الغايات التي توجه بؤرة الاهتمام للمذكور لكونه مذكوراً، وتصرفها عن المحذوف لمحض حذفه، فالمقال هو غرض الكلام على حين الحذف وبدونه، وإنما الحاجة لمعرفة السبب في ذلك.

في هذه الآيات نلحظ تكريماً لتلك الفئة التي صبرت على الطاعات، ومقابلة الإحسان بالإساءة، وأنفقت الأموال تطوعاً وفرضاً، بإلحاق أفرادها من صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم في الجنة، وإن لم يبلغوا مبلغ فضلهم في الإحسان، فتعلو الدرجة بالشفاعة حيالهم لما وصفوا به من تلك الصفات السابقة لتشمل ذويهم في

([1]) سورة الرعد، الآيات 22-24.

*انظر شواهد أخرى، البقرة، آية 167 النساء، آية 69آل عمران، آية 30 الأعراف، آية 37، الأنبياء، آية103، فاطر، آية37، الإسراء، آية8، غافر، آية30.

([2]) أبو شادي، الحذف البلاغي في القرآن الكريم، ص93.

([3]) عامر، فتحي أحمد، 1395هـ-1975م، فكرة النظم بين وجوه الإعجاز في القرآن الكريم، مطابع الأهرام التجارية، القاهرة، مصر، ص195.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

PDF Complete
Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages

دخول الجنة زيادة في أنسهم، ومن ثم كان ذلك السلام (سلام عليكم) الـــذي يشـــمل عدداً كبيراً من الملائكة الذين يدخلون عليهم من كل باب، ليؤدوا ذلك المقال الـــذي يعد التكريم الثاني لهم الذي لا يقف عن حدود التحية والسلام، وإنما يتعـــدى ذلـــك زمنياً بتبادل الحوار بين ا لطرفين لمدة زمنيـــة طويلـــة، ومعنويـــاً بـــزرع الأمـــان والاطمئنان في نفوسهم، الذي أشير إليه بسوق السلام بصيغة التنكير المقدمة لـــذلك الغرض الخارج عن التحية، إضافة إلى إلحاق سلامهم بقوله تعالى : (بما صـــبرتم)، الذي يومئ بذلك التكريم المقابل للصبر والذي لا يتوقف عند إطار التحية؛ لأنهـــا لا توضع في مقابلة الجزاء لذلك الصبر، الأمر الذي حسن معه إسقاط الحال (قـــائلين) الواشي ذكره بتزامن طرح السلام على هذه الفئة مع الدخول من هذه الأبواب، ممـــا يدل على طرحه في حال المشي الذي لا يتسنى معه تبادل ذلك الحوار الذي يحتـــاج مدة من الزمن لزرع تـ لك القيمة المعنوية في نفوس أهل الجنة، الأمر الذي ينفي تلك الغاية التكريمية لهم، فللحفاظ على ذلك تم الإسقاط.

11.4.1.3 حذف القسم:

يتحقق ذلك كثيراً بين مواطنه عامة على ما لحظناه فـــي مشـــاهد القيامـــة، ويعزى ذلك إلى تقديره الذي يكاد يتوحد في مواضع إسقاطه المنتشرة فـــي البيـــان المعجز، فالله سبحانه وتعالى هو وجهة القسم المقصودة لنيل الأغراض المنشودة.

ومن مواطن هذا الإسقاط قوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ﴾[1]، وقوله تعالى : ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾[3]، وقوله تعـــالى: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا

---

(1) سورة العنكبوت، آية 9.

(2) سورة السجدة، آية 21.

(3) سورة ص، آية 85.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾[1]، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءهُم مِّنَ الْأَنبَاء مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿لَيُنبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ﴾[4]*.

فهذا ونحوه من الآيات التي دخلت فيها اللام على الفعل مؤذنة بأن ما بعدها جواب قسم محذوف، التقدير فيها : والله لندخلنهم..، والله لنذيقنهم ...، وهكذا في باقي الآيات الكريمة.

وقد التفت بعض المفسرين إلى هذا الإسقاط مقدمين بعض الغايات المختصة في مواقعه، والتي لا نرى فيها تناسباً لهذه الصورة دون تلك، فكان من توجيهاتهم في بعض الـ مواطن على سبيل المثال -توكيد الوعيد[5]؛ والإشعار بالإهانة[6]، ومثيلاتها الأخرى التي تلقى موافقة لمضمون الآيات، على الرغم من كون المحذوف واحداً فيها جميعاً، فلا يصح توجيه صور الإسقاط لذات الشيء المحذوف بغايات مختلفة دون بيان الدواعي والقرائن التي تجعله يقدم هذه الغاية في مواطن دون تلك.

ومن خلال نظرتنا إلى الصور السابقة نلحظ أن بعضها سيق بطريق تكلمه عز وجل، وبعضها الآخر سيق بطريق الإخبار الصادر عنه تعالى لا محالة، في حين إنّنا لم نلحظ في حدود دراستنا - ذلك الإسقاط في حال كون الحديث عن غير الله تعالى، الأمر الذي يشي إلى إنه لما كان عز وجل المقسم به الواحد لا غيره، وكان مصدر القسم في الآيات السابقة وغيرها، لم يذكر القسم في السياق لعدم حاجة المُقْسَم به للقسم في ذاته، بل وللقسم ذاته وهو مؤدٍ مراده دون الإفصاح بأدنى إشاراته، ولا ينقصه التدليل على قدرته بالقسم الـ ذي لا يخرج في ذاته عن كونه أحد دلائل قدرته، فما فائدة القسم؟ أيستدل بقدرته على قدرته؟ بل إن في ذلك تنزيها لمقامه، وإشارة لكماله، بابتعاده عن صفات عباده المحتاجين لمن يقسموا به، أشار

---

(1) سورة غافر، آية 51.

(2) سورة القمر، آية 4.

(3) سورة التكاثر، آية 6.

(4) سورة الهمزة، آية 4.

* انظر شواهد أخرى، الأعراف، آية43، الصافات، آية52، غافر، آية27.

(5) الرازي، التفسير الكبير، ج31، ص79.

(6) النيسابوري، غرائب القرآن، مجلد6، ص562.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

إلى ذلك سوق أغلب مواطنه أثناء الحديث بأسلوب التكلم بصيغة الجمع (لندخلنهم، لنذيقنهم، لننصر) المناسبة لعظيم مقامه، وجلال اقتداره.

12.1.4.3 حذف المخصوص بالذم أو المدح:

ومن مواطنه قوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ، وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ، حَتَّى إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ﴾[1]*، أي: فبئس القرين أنت، أو الشيطان.

يصور هذا المشهد سوء مغبة من انشغل بجمع المال، واهتم بمتاع الدنيا وزخرفها، كما ظهر فيما يسبق هذه الآيات: ﴿وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فَضَّةٍ وَمَعَارِجَ ... وَإِن كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾[2]، فكان الاهتمام بجمع المال نقطة لبداية التصعيد في ذلك الانشغال، ليتضاعف بصاحبه الأمر إلى الابتعاد عن ذكر الله الذي تم تمثيل صاحبه بالأعمى عن الذكر (يعش)، بالرغم من اختصاص الكلام بالذكر وليس الرؤية، وذلك إيماء بتعاميه المرغوب حتى عن الالتفات الذي يسبق اللفظ، وهو تمثيل يوحي بتجاوز تناسي الذكر، فتكون نتيجة الإيغال في ذلك إيغالاً مضاعفاً بتسويل القرين جمال الفشل، وتزيين سوء العمل، ليصل إلى درجة تتعدى الوثوق بصحة المتبوع، أشار إليها إسقاط ما كانت له (حتى) غاية من أمر ممتد يقدر: (يستمر العاشون على ما ذكر من مقارنة الشياطين والصبر على جمع المال حتى إذا جاءونا)، ليشير إلى إطلاق حالة التصعيد لحد بعيد ينتهي بيوم الحساب، شأنه في ذلك شأن من يحك جسمه لما به من قروح متآكلة حتى يخرج الدم، فهو في أول الأمر يجد له لذة تزداد بازدياد الحك، ثم تنتهي بغاية الإيلام، فتثير حالة من الهبوط السريع بعد التصعيد المتدرج، أشار إليها سوق الكلام بلفظ الإفراد (بيني وبينك) بعد ما يمثل التصعيد من سوقه بالجمع (ليصدونهم) بعد

---

(1) سورة الزخرف، الآيات 36-38.

* انظر شواهد أخرى، هود، آية99، الكهف، آية29، ص، الآيتان56، 60.

(2) سورة الزخرف، الآيات 33-35.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

الإفراد (يعش)، فكانت خيبة الأمل بذلك الجليس التي أوجبت له ذلك التمني (يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين)، لإبعاده عنه كما بين المشرق والمغرب، أشير إلى أحدهما (المشرق) في السياق تمشياً مع ذلك السقوط، الذي أطاح ببعض الألفاظ التي كان من بينهما المخصوص بالذم، وذلك كنتيجة لما حمل العاشي لمناوئه (القرين) من بغض وحقد وجعلاه يسقط ما يدل عليه من السياق.

ويضاعف ما سبق اختيار أفعال يعد كل منها نتيجة لسابقه وداعياً لحدوث ما بعده(يعش، نقيض، ليصدونهم، يحسبون)، لتوحي بذلك التتابع التصاعدي لسبيل جامع المال، ثم سوق التمني (يا ليت) بعد الاستكبار والوثوق بالنفس، ليوحي بالسقوط بعد الصعود.

ومن مواطن حذف المخصوص بالمدح قوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾[1]*، أي: نعم أجر العاملين الجنة، وقد أشار بعض المفسرين إلى أن حذف المخصوص بالمدح ثقة بدلالة ما قبله عليه[2].

وغير خاف ما في المحذوف من وضوح دل عليه ما قبله، لكننا نلحظ بعداً دلالياً آخر يعين عليه السياق، من خلال بعض القرائن الأسلوبية التي تشير إلى أن إنزال أهل الجنة تلك الغرف العلالي، صار إلى ثبوت يكاد يومئ بالثواء الآني لتلك الغرف. فبالنظر إلى حال الكافرين فيما يسبق هذه الآية -المنكرين للعذاب باستعجالهم له استهزاء بوجوده، حين يقول عز وجل : ﴿يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾[3]، نلحظ تجهيلاً لهم وركاكة لرأيهم، بتحويل ذلك الاستعجال لدائرة من العذاب ينسجونها حولهم في وقت مزامن لذلك الاستعجال، إشارة إلى تحقق إحاطة العذاب بهم، التي سيقت بالجملة الاسمية (محيطة بالكافرين) زيادة في ثبوت ذلك التحقق، فكانت صورة المؤمنين في الآية التي نحن بصددها -تصويراً لمقابلة

(1) سورة العنكبوت، آية 58.

* انظر شاهدين آخرين، الكهف، آية29، المرسلات، آية23.

(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج5، ص159؛ البيضاوي، أنوار التنزيل، 532.

(3) سورة العنكبوت، آية 54.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

ثبوت جزاء العامل للصالحات بثبوت عذاب المستكبر على العذاب والمستهزئ بــه، أشار إلى ذلك سوق جملة المدح دون الفاء الترتيبية على غير عادة نظيراتها –التي قد تسبق بالفاء أو بغيرها كما في قوله تعالى : ﴿فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ﴾[1]، وقولــه تعــالى : ﴿وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ﴾[2]، وقوله تعالى : ﴿فَبِئْسَ الْقَرِينُ﴾[3]، الأمر الذي يومئ بتمثيل لجزاء آني لتلك الفئة، فإسقاط ذلك الحرف الترتيبي الموحي بالتراخي إسقاط لعنصر زمني في طريق المؤمنين إلى الجنة، يعضد إسقاط المخصوص بالمدح (الجنة)، المشــير إلى الغاية نفسها . فأنت لو مدحت شيئاً يخص صديقك لا تذكره إذا كان يعيشه فــي ذلك الوقت، أما إذا كان مؤجلاً ذكرته له، فتقول لمن أراد الــزواج: نعــم الــزواج زواجك، ولكنك تقول لمن تزوج : نعم الزواج؛ لأن عدم الحدوث في المقــال الأول احتاج التحديد، بخلاف تحقق ذلك في الثاني الذي لا يحتاج التحديد لما هو محــدد، فبذلك الإسقاط تم تمثيل حدوث المؤجل (دخول الجنة)، بالحدوث الآني زيــادة فــي ثبوت دخول الجنة الذي جرى على نسق ما حدث في الماضي، وقد ضاعف من تلك الدلالة إقسامه تعالى في بداية الآية لتبويئهم مقاماتهم في تلك الغرف تأكيداً للأمــر، في مقابلة ما تم تأكيده بالقسم أيضاً في حال الكافرين (لمحيطة).

13.1.4.3 حذف الحرف:

وقد شمل الأنواع التالية:

1.13.1.4.3 حذف حرف الجر:

ومنه حذف (إلى) كما في قولــه تعــالى : ﴿وَلَوْ نَشَاء لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ﴾[4]، أي: إلى الصراط.

([1]) سورة المرسلات، آية 23.
([2]) سورة النحل،آية 30.
([3]) سورة الزخرف، آية 38.
([4]) سورة يس، آية 66.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

تصور الآية الكريمة قدرته تعالى على جعل الكافرين يوم القيامة يستبقون إلى طريق الحق عمياً من غير الوصول إليه، بعد أن كانوا متعامين عنه عندما كان في متناول أيديهم، إشعاراً بهول المقام الذي يقودهم إلى الانقلاب المباشر في الأعمال، إلا أن الاستباق في الآية الكريمة ورد على غير عادته المعروفة التي يتم من خلالها الوصول إلى هدف معين، فقد أصبح الهدف مسبوقاً لا مسبوقاً إليه ، فهم مع إسقاط حرف الجر يستبقون مع الصراط ولا يستبقون إليه، الأمر الذي يدل على أنهم لن يصلوا بهذا التسابق إلى الحق بد أن تعاموا عنه عندما كان في متناول أيديهم، أشار إلى ذلك سوق الطمس مشروطاً بفعل المشيئة المحذوف مفعوله، للدلالة على استمرار المشيئة الدالة ع لى استمرار القدرة من غير التنفيذ، الذي ينفي من جهته الوصول إلى طريق الحق، لذلك سيق فعل المشيئة بصيغة المضارع، في حين إنه لو تم ذكر المحذوف (إلى) لأوصلهم بدلالته على انتهاء الغاية المكانية إلى طريق الحق، ولما تمت تلك الغاية.

ويدل على ذلك إظهار الجار في حال كون الطريق موثوقة الوصول في قوله تعالى: ﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ﴾[1]، فوصول الطاغين طرق جهنم أمر حادث لا محالة.

ومن مواطن حذف اللام قوله تعالى : ﴿يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾[2]، فالتقدير: لا يكتمون لله حديثاً.

تنبئ الآية الكريمة عن عظم خطابه عز وجل، وقدسية التأدب بشروط الحديث معه، لدرجة تجعل الكافر يتمنى أن ي دفن في الأرض كالبهيمة ولا يقف صامتاً أثناء حديثه تعالى، غير قادر على الإفصاح عن أعماله ومخازيه المقترفة، بعد أن كان يصارع الموت بكل سلاح دنيوي باطل خوفاً منه، فكان تمني أشد مكروهاته مقابل الخلاص من موقف الكتمان -زيادة في قدر خطابه عزّ وجلّ، الذي ناسب جعل ك تمان حديثه كتمان لجلالته تعالى عن ذلك علواً كبيراً، الذي أشير إليه

---

(1) سورة الصافات، الآيتان 23،24.
(2) سورة النساء، آية 42.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

بإسقاط حرف الجر وإنزال لفظ الجلالة منزلته، آزر ذلك إسقاط جواب (لو) الـــذي يقدر بـــ: لسُّروا بذلك، إيذاناً بغاية ظهوره وثبات حدوثه عند وقوع التسوية التي هي غايتهم المرجوة للخلاص من أعظم مواقف الحديث، وقد دل على ذلك أيضاً ما فـــي التسوية من دلالة تشير إلى حالة تنتج عن هز عنيف يطمر الأجساد بحـــال فظيـــع يناسب عظم كتمان حديث الله تعالى.

ومن المواطن التي حذفت فيها (من) قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ الآخِرَةِ﴾[1]، فالتقدير: لمن خاف من عذاب الآخرة.

والآية الكريمة مسوقة لبيان أن ما جاء من أنباء الأقوام المهلكة في الآيـــات السابقة على هذه الآية ما هو إلا عبرة يستدل بها على أن ما حاق بهم بســـبب مـــا عملوا من السيئات هو إشارة لأهوال يوم القيامة؛ ولكن ما سر الإسقاط في الآية؟

لعلنا نلحظ أن هذا الإسقاط يبين لنا أن المعتبر من هلاك هذه الأقوام هو مـــن خاف عذاب الآخرة لا من خاف غيره، وهناك من يخاف العذاب لاعتقاده بوجـــوده، وهناك من لا يخافه لعدم وجود ذلك الاعتقاد عنده، وما في الآية موجه لمن كان في نفسه علماً يقيناً بوجود عذاب الآخرة دون أن ينتابه شك في ذلك، في حين إن الجملة دون الإسقاط تبين أن المعتبر هو الذي يخاف من قدوم عذاب الآخرة ســـواء كـــان يخاف شيئاً غيره أو لا يخاف، فأنت عندما تقول: أخاف الضَّبع، فإن خوفك في هذه الحالة يكون مقتصراً على الضَّبع دون الأسد أو غيره، في حين إنك عندما تقـــول: أخاف من الضَّبع، فإن ذلك لا يقصر خوفك على الضَّبع، فقد تخاف غيره، وقـــد لا تخاف، فالنظم الأول هو ما يناسب الآية الكريمة، ذلك إن الآية مســـوقة لبيـــان أن العبرة مختصة بمن يخاف الآخرة ولا يخاف غيرها.

ومن مواطن حذف الباء قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاء الْآخِرَةِ فَأُوْلَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾[2]، فالتقدير: وبلقاء الآخرة، بدليل: كذبوا بآياتنا.

---

(1) سورة هود، آية 103.

(2) سورة الروم، آية 16.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

نلحظ في الآية الكريمة أن التكذيب بالآيات جاء مقترناً بالباء، ولم يجر ذلك في حال التكذيب بلقاء الآخرة، مما يشير إلى تعلق الإسقاط بتلك المخالفة، ومن المعلوم أن الباء تفيد التبعيض مما يدل على أن التكذيب بالآيات ليس بوجودها ذاتياً، وإنما هو من خلال التشكيك بصحة بعضها ومحاولة تشويهه، فوجود القرآن الكريم أمر ثابت لا فائدة من التشكيك فيه، أما بالنسبة للقاء الآخرة فهو أمر غير مشهود بالذات، وغير مدرك بالحواس الظاهرة، ذلك إنه أمر من أمور المستقبل الغيبية التي وصلت ببيان نظري غير مقترن بالتطبيق المشاهد، الأمر الذي يجعل التكذيب بأصل ذلك الحدوث المؤجل، وليس ببعض من أموره لكونها غير مشهودة، لذا كان إسقاط حرف الجر مناسباً لذلك التكذيب الوجودي، ولعل ذلك كان سبباً في قوله تعالى : (لقاء الآخرة)، وليس الحياة أو الدار أو ...، ذلك إن التكذيب به من أصله البسيط الذي يدل على اللقاء، بغض النظر عن كونه حياة أو داراً أو غير ذلك.

ومن حذف (من)قوله تعالى : ﴿يطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤاً مَّنثُوراً عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ﴾[1]*، إذ التقدير: ثياب من سندس، بدليل: أساور من فضة.

في هذه الآية أحد أنواع نعيم الأبرار المفصَّل في سوابق الآيات، يتضمن طواف الولدان الموصوفين بعدد من الصفات الموحدة، تناسباً مع أعمال الأبرار المتصفين بتلك الصفة المشيرة إلى توازي أعمالهم الذي يقتضي تساوي الجزاء، فكان من بين تلك الصفات لباس الولدان الثياب المصنوعة من السندس والإستبرق**، وعلى هذا الحال كان توحد جزاء الأبرار قاضياً بتوحيد نوع لباس الولدان؛ لئلا يزيد أحدهم عن الآخر، ولا سيما بالاقتصار على السندس والإستبرق

([1]) سورة الإنسان، الآيتان 19، 20.

*انظر شواهد أخرى، البقرة، آية 25، آل عمران، آية 180، الأنعام، الآيتان 15، 130، النحل، الآيتان 26، 90، سبأ، آية 33، الصافات، آية 39، فصلت، الآيتان 27، 29، الجاثية، آية 28، الحديد، الآيتان 20، 21، المدثر، آية 15، الإنسان، آية 21، الفجر، آية 30.

** السندس: ما رق من الحرير الإستبرق: غلظ من الحرير، وسمي بذلك لشدة بريقه، انظر : البقاعي، نظم الدرر، ج8، 273.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

دون غيرهما، وقد أشار إلى ذلك إسقاط حرف الجر (من) الذي يدل في هذا الموطن على التبعيض الدال ذكره على تعدد اللباس وحذفه على توحده.

فلو قال أحدهم : ألبس حريراً، لفهمت منه أن لباسه مختص بالحرير، في حين إنه لو قال : ألبس من حرير، لفهمت منه أنه يلبس الحرير وغيره، الأمر الذي يعد داعياً إلى اعتبار أنه عندما كان لباس الولدان المخلدون موحداً باقتصاره على السندس والإستبرق تم إسقاط حرف الجر، وقد أشار إلى ذلك ما نلحظه من ذكر لذات الحرف فيما يـ ماثل هذا السياق عندما كان الحديث عن لباس أهل الجنة، فيقول تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ... وَيَلْبَسُونَ ثِيَاباً خُضْراً مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ﴾[1]، الأمر الذي يشي إلى تعدد لباس أهل الجنة واختلافه بحسب درجاتهم في الإيمان، و يؤكد توحد لباس الولدان، فلذلك ـ والله أعلم ـ تم توحيد اللون (الأخضر) لكل من الولدان المخلدون، وأهل الجنة في سياق يختلف عن الآخر، ففي حال الولدان خُص بالإستبرق لكونه مع السندس قوام لباسهم، حيث إن جعل ذلك خلف الثياب يشمل السندس، وجعله خلف السندس يشمل الثـ ياب، أما في حال أهل الجنة وصف به الثياب المتعددة؛ لأن وصف السندس به لا يشمل الثياب.

ويؤكد هذا الإسقاط إسقاط آخر لحرف الجر (من)في نهاية الآية : (حلوا أساور من فضة)، أي: من أساور من فضة، والذي يعضد ما ذهبنا إليه آنفا بكون أساور الفضة هي حلي الولدان الموحد، على خلاف أهل الجنة فإن بعضهم يلبس أساور من ذهب ولؤلؤ، وبعضهم يلبس أساور الذهب فقط، فيقول عز وجل : ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤاً﴾[2]، ويقول تعالى أيضاً : ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ﴾[3]، فأساورهم في الأولى من ذهب ولؤلؤ، وفي الثانية من ذهب فقط، الأمر الذي يدل على عدم توحد الحلي واختلافها حسب درجاتهم في الإيمان.

---

(1) سورة الكهف، الآيتان 30، 31.
(2) سورة فاطر، آية 33.
(3) سورة الكهف، آية 31.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

2.13.1.4.3 ياء النداء:

حذف ياء النداء كثير في القرآن الكريم لكنه في عينه دراستنا لم يكن من المحذوفات الكثيرة، إلا أن حذفه في تلك المواطن القليلة لدينا كان متكرراً عند ندائه تعالى بصيغة (رب)ومن ذلك قوله تعالى : ﴿وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرِنَا الَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿قَالُوا رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ﴾[3]*، فالتقدير فيها جميعاً: يا ربنا... .

وقد نقل السيوطي عن الكرماني في كتابه الغرائب العجائب إن ذلك تنزيه وتعظيم؛ لأن في النداء طرفاً من الأمر[4].

وغير خاف ما في الحذف من دلالة على التنزيه والتعظيم لمقامه تعالى الذي يسقط أمامه كل مالا يليق بعلوه وعظيم جلاله، الأمر الذي يتوجب معه إسقاط تلك الأداة الندائية التي تلفت انتباه المنادى لطلب ينفذه بأسلوب يومئ في كثير من أحيانه بالإجبار، ناهيك عمّا في النداء من خطاب مباشر يبتدئ بالتفات الطرف المنادى، ثم الجواب وتبادل الحديث مشافهة لا تجوز على سيد الخلق، ورغم ذلك فإن الإسقاط ما يزال يومئ بغاية أخرى تتمثل بالاستغناء عن تلك المسافة الطويلة التي يومئ بها ذلك الأسلوب الندائي المستخدم لنداء البعيد، إشعاراً بإحاطة علمه وإدراكه لخفايا أمور العباد وصغائر أدعيتهم ونداءاتهم ، الأمر الذي تخرج الحاجة معه عن إطار النداء، لالتفاته تعالى إلى عبيده، أو للتنبيه بذلك النداء الذي يوحي بتشاغل المنادى المحتاج إلى صوت مرتفع.

وكما إن إسقاط ياء النداء يقدم غاية التعظيم والتنزيه، فإنه يقدم على حال اختلاف السياق غاية التحقير والتهوين، ومن ذلك قوله تعالى في خطاب المجرمين :

---

(1) سورة الأنعام، آية 23.
(2) سورة فصلت، آية 29.
(3) سورة ص، آية 61.
* انظر شاهدين آخرين، الأنعام، آية128، طه، آية125.
(4) الكرماني، الغرائب والعجائب، نقلاً عن السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ج3، ص189.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

﴿وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ﴾[1]، فالخطاب نقطة لبداية الكلام بين الطرفين المتحادثين والتي ينبغي فيها مراعاة أسلوب النداء الذي يناسب الطرف المتحدث معه، وما من شك في أنك إذا حادثت وزيراً قلت له : سعادة الوزير مسقطاً ياء النداء تكريماً لـه، كما إنك تستخدم الإسقاط ذاته عند مخاطبتك سارقاً، فتقول له : أيها السارق تحقيراً له وحفظاً لنفسك من أن تكون مساوياً له، فلو حادثته كما لو حادثت نظيرك لظن أنك راضٍ عن سرقته، فإذا كان هذا الحال بالنسبة للخطاب بين البشر الذين هم مخ لوقات الله، فكيف سيكون الأمر عندما يكون ذلك الخطاب بين البشر وخالقهم؟ ولا سيما عند مخاطبته المجرمين الذين يزيد في حالهم البون الشاسع بين المتحادثين، زاد تحقيرهم تغيير السبك بعد الإخبار عن عظيم شأن المؤمنين بما ينعمون به في الجنة من أسباب البهجة، وموجبات الـ سرور، فيقول عز وجل –فيما يسبق الآية التي نحن بصددها -: ﴿هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ، لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ، سَلَامٌ قَوْلًا مِن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾[2]ثم كان الانتقال بطريق مباشر إلى خطاب المجرمين بما يقرع نفوسهم، ويهرع نفوذهم(وامتازوا اليوم أيها المجرمون)، الأمر الذي يوحي بكمال تباين الفريقين وتباعد المآلين، وقد عضد ذلك اختيار ذلك الفعل (امتازوا) الذي يساعد في تجسيم ذلك التباعد بما يشير إليه الامتياز من اعتزال وافتراق يملآن نفس المتلقي بهوان شأن المجرمين بابتعادهم في أسفل الدرجات؛ إضافة إلى سوقهم بلفظ الإجرام المساعد للدلالة ذاتها، فكان إسقاط ياء النداء ليس إلا درجة في سُلّم التحقير والتهوين، إضافة إلى ما يوحي به إسقاط البعد الذي تدل عليه الأداة المستخدمة للبعيد من دلالة على أنهم في حالة لا يمنع ف يها من غاية التصرف بهم لكل ما يراد؛ لأنه لا حائل دونهم الآن.

([1]) سورة يس، آية 59.

([2]) سورة يس، الآيات 56-58.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

ولذلك –والله أعلم- تم ذكر النداء في الآية اللاحقة لهذه الآية عند قوله تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ ﴾[1]، ذلك إن الخطاب موجه لكل من المؤمنين والكافرين ولو كان على سبيل تقرير الكافرين.

3.13.1.4.3 حذف العائد:

ومن مواطنه حذف ما يعود على الموصول في قوله تعالى : ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَؤُلَاء الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا ﴾[2]، أي: الذين أغويناهم.

لعلنا نلحظ في الآية الكريمة محاولة للكافرين للتبرؤ من الوسوسة والتسويل في إغواء الناس، دل على ذلك إنزال اعتذارهم منزلة جواب الضالين بعد توجيه السؤال لهم، وذلك استعجالاً باستباق تلك الإجابة التي ستدينهم بإغواء المتبعين، وهذا الحذف يندرج ضمن هذه المحاولة لكون سوقه على هذا السنن يبين اقتصار إغوائهم على هذه الفئة المحتضرة أمامه تعالى دون تعديهم بالإغواء إلى غيرها، دل على ذلك الاحتضار الإشارة إليهم بـ (هؤلاء).

فأنت لو قلت لآخر : هذا ما صنعت، قصدت بذلك إفهامه أن صنيعك مقصور على ذلك الشيء فقط دون غيره، أما إذا قلت له : هذا ما صنعته، يكون ذلك دالاً على عدم اقتصار صنيعك على هذا الشيء فقط، وإنما تعديه لغيره، وهذا نظير ما جاء في الآية الكريمة لكون مقالهم جاء على سبيل الاعتذار والتسويغ لصنيعهم بالمتبعين، فكان إسقاط الضمير العائد تمشياً مع قصدهم بتحديد متبعيهم بالفئة المحتضرة دون غيرها طلباً لتخفيف العذاب.

ومثل ذلك قوله تعالى على لسان المضلين : ﴿وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِيَ أَجَّلْتَ لَنَا ﴾[1]، فقولهم الذي أجلت، دون ما يعود على الموصول، لكون ذلك هو الأجل الوحيد وعدم وجود غيره.

---

(1) سورة يس، آية 60.

(2) سورة القصص، الآيتان 62، 63.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

وقد يحذف ما يعود على الاسم المجرور كما في قوله تعالى : ﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ،فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ، إِلَى قَدَرٍ مَّعْلُومٍ، فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ﴾[2]، أي: فقدرناه، أو: فقدرنا عليه.

لقد ابتدأت الآيات بأسلوب الاستفهام التقريري المسوق لانتزاع اعتراف المخاطبين بعظمة الخالق، وحكمته، وعلمه الشامل، وقدرته على أن يخلق ما يشاء، من خلال ملاحظاتهم العجيبة لخلق الإنسان وإنشائه من ماء مهين، الأمر الذي يشير إلى أن الفعل (قدرنا)يدل على قدر ته تعالى القادرة على خلق ما يشاء، هذا من جانب، ومن جانب آخر، فإن السياق يوضح المسار التتابعي لخلق الجنين الذي يبتدئ بالماء المهين ثم جعله في قرار مكين، الأمر الذي يومئ بكون قوله تعالى : (فقدرنا) خطوة ثالثة في هذا التتابع الخلقي، تدل على تحديد مقادير كل شيء في خلق الأجنة بأبدع نظام وأتقنه وأحكمه وفق المقادير المحددة في خطة تكوينه، مما يجعل معنى (قدرنا)يحتمل دلالتين متوازيتين لا تترجح إحداهما على الأخرى، الأولى : التقدير، والثانية: القدرة، دل على ذلك استخدام اسم الفاعل بعد فعل المدح الذي يدل على المعنيين، فنقول: قَدَرَ على الشيء فهو قادرُ عليه، وقَدَرَ الشيء فهو قادرٌ له.

وصفوة القول: إنه لم يتم ذكر أي من التقديرين السابقين لشمول الجانبين، أي: القدرة على الخلق، وتقدير المقادير وفق نظام دقيق، فهما متلازمان، فالمقادير الزمانية والمكانية والذاتية والوصفية وكل شيء في خلق الإنسان من ذوات وصفات وأطوار وأحوال لا يكون إلا بقدرة خلاّق عظيم جليل، الأمر الذي استدعى بعد هذه الآية المدح والثناء بفعل المدح (نِعم) ثناء على وصفية بأنه مُقدِّر المقادير، والقادر على تنفيذها (فنعم القادرون).

ومن مواطن هذا الحذف قوله تعالى : ﴿تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا﴾[3]*، فالتقدير: التي نورثها.

([1]) سورة الأنعام، آية 128.
([2]) سورة المرسلات، الآيات 20-23.
([3]) سورة مريم، آية 63.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

وأطلق معنى الإرث على هبة ما في الجنة؛ لأن بعضاً من أقسامها كان معداً لمن اقتضى الله أن يدخل رحلة الامتحان في الحياة الدنيا إن آمن واتقى، فلما كفر جزء منهم أخذ الـ متقون حصصهم، فورثوا بذلك الحصص التي كانت معدة في الجنة لباقي العباد لو آمنوا وعملوا صالحا [(1)]، ويأخذ أهل الجنة هذا الميراث العظيم كل منهم حسب رتبته ودرجته، وعلى ذلك ترتب إسقاط الضمير العائد الذي لو ذكر لدل على أن الميراث شامل لجميع الجنة، وليس لتلك المساكن المشكلة لجزء منها فقط، يعضد ذلك عدم شمول الميراث لجميع المؤمنين، بقوله : (تقيا) التي على وزن فعيل الذي هو من صيغ المبالغة، فعندما كان الميراث لبعض المؤمنين دون غيرهم كان ذلك دالاً على جزئية الموروث من الجنة، فيستحيل أن يرث بعض المؤمنين الجنة كلية، ودل علىذلك أيضاً قوله تعالى : (من عبادنا) المشير إلى جزء منهم وليس إلى جميعهم، لذلك استعمل لفظ الوراثة الذي يعدُّ أقوى ما يستخدم في تخصيص التملك والاستحقاق بين الألفاظ من حيث إنها لا تعقب بتغيير في الحصص في ذلك المقام الذي يقتضي الدقة المتناهية في مساواة الجزاء للعمل.

4.13.1.4.3 حذف التاء:

وذلك يشيع في إحدى التائين اللتين تتقدمان الفعل المضارع، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ﴾[(2)]، أي: تتميز، وذلك التميز تمثيلاً لشدة اشتعال النار على أصحابها غضباً منهم، مما يؤدي إلى ارتفاع درجة حرارتها إلى أن تقرب من أن ينفصل بعضها عن بعض، كما يقال : يكاد فلان ينشق من غيظه، وفلان غضب فطارت شقه منه في الأرض وشقه في السماء، كناية عن شدة الغضب، فكان حذف إحدى التائين إشارة إلى أن النار يحصل منها افتراق وانفصال على وجه من

*انظر شواهد أخرى، البقرة، آية 25 آل عمران، آية 30 النساء، آية 42 الأنعام، آية 24، الأعراف، الآيتان37، 39 التوبة، آ ية35 يونس، آية 45 هود، آية 105 النحل، الآيتان 25، 86 الفرقان، آية 16، لقمان، آية33 الزمر، آية 61 غافر، الآيتان 73، 74 فصلت، آية 48، الزخرف، آية71 التحريم، آية 6، المرسلات، آية7، النازعات، الآيتان39، 41.

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج4، ص249؛ البيضاوي، أنوار التنزيل، 409.

(2) سورة الملك، آية 8.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

السرعة لا يكاد يدرك حق الإدراك، لما يشي به و جود كلا التائين من تقسيم متقطع ينم عن أناة في حدوث ذلك التشقق، يبينه ذلك التكرار المتدرج في اللفظ، مما يجعل ذلك اللفظ يحتاج زمنا أكبر يقابله ذلك الاحتياج الزمني لحدوث التشقق، ومؤشر تلك السرعة استخدامه عز وجل فعل المقاربة (تكاد) الذي يدل على ذلك الضيق الزمني للحدوث.

ومن تلك المواطن قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا﴾[1]*، أي: تتشقق، وقد بين البقاعي أن ذلك الإسقاط لما في التشقق من خفاء[2].

والحقيقة إن تعليل حذف التاء هنا بهذه الغاية التي لا نجد فيها علاقة بذلك الإسقاط أمر فيه نظر، إذ إننا نقف حائرين عند محاولة الربط بين إسقاط التاء وخفاء أمر التشقق لعدم وجد العلاقة بين الجانبين، ولنا في توجيه الحذف وجهة أخرى، وهي أنه للإيحاء بأن تشقق السماء غير متشعب بقدر ما هو متسع الشقوق، ففي تكرار لفظ التاء تدرج تقطيعي يشعر بنوع من التجزيء الناتج عن تكرار عملية التشقق، ليصل تشقق السماء إلى تشعبات تفصيلية دقيقة، إلا أن عدم تكرار التاء بذلك الإسقاط كان مشيراً لتوقف التشقق عند حد لا يصل إلى تفرعات كثيرة، على حين الاحتفاظ بالمقدار الزمني ذاته، الذي يحدث فيه التشقق فيما لو كان متشعباً، دل على ذلك سوق الفعل بصيغة المضارع الدالة على الاستمرار في تلك العملية (تشقق) إلى أن تصبح الشقوق على السعة المناسبة لنزول الملائكة بدفعات كثيرة أشير إليها بسوق فعل الإنزال (نزّل) بالتضعيف المقابل لمضاعفة التنزيل؛ فكان في مجيئه بصيغة الماضي في موطن يدل فيه المعنى على الاستقبال -إشعاراً بسرعة في النزول تحتاج هذه الدفعات الكبيرة من الملائكة في أثنائه، ومن ثم اتساع الشقوق لاستيعاب التنزيل، أشار إلى تلك السعة أيضاً سوق الفعل ذاته بصيغة المبني للمجهول مقابل صيغة المعلوم في التشقق التي تنم عن أناة في حدوثه تناسب التوسع فيه.

([1]) سورة الفرقان، آية 25.

* الغمام: هو ضباب أبيض دقيق، انظر: أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج5، ص6.

([2]) البقاعي، نظم الدرر، ج5، ص312.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

ومن تلك المواطن قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾[1]، أي: انتظرونا، ويقول المنافقون والمنافقات ذلك للمؤمنين يوم القيامة متأسين بردهم عليهم ليقتبسوا من نورهم؛ لأن ذلك منزل يغشى فيه الناس ظلمة شديدة، فيعطى فيه المؤمن نوراً دون الكافر[2].

إذن فالموقف عظيم بعرصاته وأهواله وزلازله، لا مجال فيه للانتظار ولا حتى للكلام، فكأن الفعل جُرِّد من التاء لاقتضاء الحال الإيجاز بغاية ما توصل إليه المقدرة خوف الفوت؛ لأ ن المسؤولين بالانتظار يسرعون إلى الجنة كالبرق الخاطف الذي ناسب الخطف اللفظي السريع في القول بإسقاط صوت التاء الذي له إشارة إلى التأخر الزمني، ولا سيما بلفظه الناتج عن انحباس النفس بين اللسان وسقف الفم ثم إطلاقه، كما إن الانتظار وإن حدث فإنه لا يمكن أن يعدو لحظة خاطفة يكون فيها اقتباس النور على عجالة تفرضها طبيعة الموقف، ثم الانطلاق بسرعة أكبر من السابقة تماثل الانفجار في صوت التاء بعد الانحباس، أشار إلى ذلك اختيار لفظ الاقتباس الذي يوحي باتخاذ قبسٍ بسيطٍ يستضاء به على قدر الإمهال البسيط، فكان الفعل بعد الإسقاط يشير إلى الإمهال بمدة وجيزة تقابل النظرة السريعة زمنياً التي لا تناسب الفعل قبل الإسقاط، ويعضد ذلك إسقاط (لام الجر) قبل نقتبس المبينة لسبب الانتظار في ذلك المقام الذي علم فيه سبب طلب الانتظار لوضوح ما يجري، الأمر الذي يستدعي لفظ ما أبهم وترك ما أفهم إسراعاً بطلب النجدة.

ومن تلك المواطن أيضاً قوله تعالى : ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾[3]*، أي: تتكلم.

وفي ذلك بيان لنوع الكلام المنهي عنه من ناحيتين : مقداره، وتكراره، ففي هذا الإسقاط تحجيم لفظي لتلك المفرد ة ناسب الإشارات الكلامية الصغيرة المنهي

---

(1) سورة الحديد، آية 13.
(2) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج5، ص505.
(3) سورة هود، ص105.
* انظر شواهد أخرى، الأعراف، آية40، يس، آية53، الصافات، آية25، الأعلى، آية10.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

عنها، فالمقصود ليس نفي المحادثة الطويلة فقط، وإنما نفي صغائر الكلام وحتى الإشارات، وذلك للإيذان بأنه لا أحد يتحدث بصغيرة ولا كبيرة إلا بإذنه، فما نهي عن قليله نهي عن كثيره، لذلك ـ والله أعلم ـ أسند الكلام إلى النفس وليس إلى صاحبها، مما يشعر بوصول التحجيم الكلامي إلى درجة أدخل عندها حديث الإنسان مع نفسه الذي لا يعدو التفكير - تحت نفي التكلم الذي يخرج عن إذنه تعالى، وكان هذا الإسقاط أيضاً بياناً لعدم تكرار الكلام المسموع به الذي لا يعدو إجابة محددة لسؤال محدد، ممّا ناسب إسقاط الحرف المتكرر (التاء) في مقابلة الكلام المأذون به غير المتكرر، ودل على ذلك التحديد المباشر لمصائر الناس في نهاية الآية فقال: ﴿فمنهم شقي وسعيد ﴾، الأمر الذي يشي بذلك الضبط الإلهي الذي أوجب تلك النتيجة السريعة.

5.13.1.4.3 حذف النون:

ومن مواطنه قوله تعالى في مدار تساؤل أهل الجنة لأصحاب النار عن سبب دخولهم النار: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ،وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ ، وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ﴾[1]، أي: لم نكن.

وجاء في (البرهان) للزركشي إن "حذف النون في نحو هذا قد يكون تنبيهاً على صغر مبدأ الشيء وحقارته، وأن منه ينشأ ويزيد إلا ما لا يحيط بعلمه غير الله"[2].

ونحن إذ نوافق على هذه الغاية في بعض المواطن لا نعممها على شواهد ذلك الإسقاط كما فعل الزركشي، وإنما نرى اختصاصاً لبعض المواقع بغايات تخرج عن ذلك الإطار ـ كما سنلحظ فيما بعد ـ.

ولعلنا في هذا الموطن نلحظ حالة من الضيق أشار إليها ذلك السؤال المسوق بفعل السلوك (ما سلككم) والمتبوع بحرف الجر (في)، الأمر المبين لدخول شيء في

---

(1) سورة المدثر، الآيات 42-45.

(2) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج1، ص407.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

ممر ضيق بصعوبة بالغة تمثيلاً لدخول الكافرين النار، حتى وكأنهم السلك في الثقب الذي ازداد ضيقاً، لأجل ارتكابهم من الدواهي والأهوال ما لا غاية له، وكأن ذلك الضيق كان داعياً لاختصار نطقي حتى بحرف يمكن الاستغناء عنه، لعظيم ما هم فيه من الدواهي الشاغلة، وأحوال الضجر والتذمر، وعدم الرغبة في القول، إلا عند مقتض شديد يقتضي منهم أن يطلبوا شيئاً أو يجيبوا عن سؤال مهم، فكيف إذا كان سؤالاً من أعدائهم؟ وذلك بضد ما فيه أهل الجنة من الفراغ الحامل لهم على السؤال عن أحوال غيرهم.

فلو اعترى أحدنا بعض الهموم الدنيوية البسيطة، فلا يخفى ما سينقاد إليه من الضجر والتذمر الداعيين لسوء حاله وانعكافه عن رغبة الحديث المؤدية لإجابته السائل باختصار شديد أو الصمت في بعض الأحيان، فإذا كان هذا الأمر بالنسبة لتلك الهموم البسيطة، فماذا سيكون بقبالة أعظم المصائر وأشدها؟

ومن تلك المواطن قوله تعالى : ﴿وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْماً مِّنَ الْعَذَابِ، قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾(1)*، أي: أو لم تكن.

لعلنا نلحظ أن جواب خزنة النار لطلب أهلها جاء بسؤال أرادوا به إلزامهم وتوبيخهم على إضاعة أوقات الدعاء، وتعطيل أسباب الإجابة، وقد كان ذلك الاستفهام المنفي داخلاً على الفعل المضارع (تك)، الذي يدل على استمرار تردد الرسل عليهم بالحجج الواضحة الدالة على سوء مغبة ما كانوا عليه من الكفر والمعاصي، فلو كان السياق بدون ذلك الفعل (ألم تأتكم) لدل على القدوم مرة واحدة دون التكرار، فلما كانت الدعوة بهذا التكرار كان لا بد من ابتدائها بأقرب شيء في البيان وهو الجانب الحسي، ثم الانتقال إلى العقل، ثم الذكر، ليرقوهم بذلك من أخفض رتبة وهي الجهل إلى أرفع رتبة في العلم وهي اليقين، فلما كان ذلك التدرج يبتدئ بهم من درجة الجهل المشيرة إلى الانتقاص في العلم لديهم -تمَّ ذلك الإسقاط اللفظي مناسبة لحالهم في ذلك العلم، أشار إلى ذلك إسقاط الجملة المعطوفة على

(1) سورة غافر، الآيتان 49، 50.

* انظر شاهد آخر، المدثر، آية83.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

همزة الاستفهام، والتي تقدر بـــ ألمْ تُنبهوا على ذلك ولم تأتكم رسلكم ...؟ لما فيها من إشعار بتوقف إدراكهم أمام مرحلة الجهل التي قادتهم إلى عدم تمييز صحة ما جاء به الرسل، إضافة لما يوحي به لفظ (البينات)، من إيحاء يعتمد على الشرح والتوضيح، ولكن ذلك من دون فائدة ترجى.

وقد تأكدت لدينا هذه الرؤية، بعدم وجود الإسقاط في قوله تعالى : ﴿أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ﴾(1)، وذلك لعدم وجود التدرج في تلاوة الآيات.

6.13.1.4.3 حذف الياء:

ومن مواطنه قوله تعالى آمراً الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ تكليف نفسه الإعراض عن التعلق بطلب نجاة الجاحدين، فما عليه إلا البلاغ : ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُكُرٍ﴾(2)، أي: يدعو الداعي، وقد أشار معظم المفسرين إلى أن هذا الإسقاط اكتفاء بالكسر(3)، على حين إن ذلك كان في رأي أبي حيَّان للتخفيف(4).

ولا نقف عند هذه الآراء التي لا تعدو التوجيه النحوي للظاهرة الذي لا يقف على أسرارها ودلالاتها السياقية، والتي لا تقدم غاية للإسقاط بقدر ما تثير التساؤل عن سبب إيقاع الحذف في ذلك الموطن الذي كثر نظراؤه في القرآن الكريم دون إسقاط مع القدرة على الاكتفاء فيها بالحركة وتحقيق التخفيف؛ لذا فإن في هذا الموطن غاية أخرى مختصة سنوضحها فيما يلي:

لقد جاء الدعاء في السياق بصيغة المضارع المسندة إلى الداعي وهو (إسرافيل) عليه الصلاة والسلام -التي تومئ بتصرفه بذلك الدعاء أنى يشاء رغم أنه بأمره تعالى، ولكن السياق كان منطوياً على صيغة أمر يمثلها تشبيه الفعل المضارع (يدع) بالفعل الأمر، بإسقاط الحرف الأخير منه (الواو)، وصيغة تنكير

---

(1) سورة المؤمنون، آية 105.

(2) سورة القمر، آية 6.

(3) الزمخشري، الكشاف، ج 4، ص432؛ أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج6، ص166؛ البيضاوي، أنوار التنزيل، ص701.

(4) أبو حيَّان، البحر المحيط، مجلد8، ص173.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

ينبئ عنها تشبيه المعرفة بالنكرة في (الداع)، الأمر الذي أنزل المضارع منزلة الأمر، والنكرة منزلة المعرفة، ليشي التمثيل بالأمر أن هذا الدعاء لا بد أن يكون على أعظم وجه وأتقنه وأهوله وأمكنه كما يكون كل مأمور من الأمر المطاع، دل على ذلك التمثيل بالنكرة التي تبهم الداعي لكونه مأموراً غير متصرف في الدعاء، حيث إن تنكير الداعي تأكيد للأمر بصرف النظر عمن يؤديه، فكان إسقاط الواو اتباعاً للدعاء لأمره تعالى، وإسقاط الياء إبهاماً للداعي للدلالة على عدم اختصاص أحد بالدعاء إلا بأمره تعالى.

ومن تلك المواطن قوله تعالى : ﴿وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ﴾[1]، أي: التنادي، تـ والبقاعي إلى غاية ذلك مبيناً أن هذا ومثله في قوله تعالى : ﴿يَوْمَ التَّلَاقِ﴾[2]، إشارة إلى قصر المدة الزمنية لذلك التلاقي وكذلك التنادي[3].

ولا نلحظ في السياق ما يدل على قصر مدة التلاقي أو التنادي، بل إن ما يقضيه هول ذلك اليوم هو زيادة المدة وليس قصرها.

وبالنظر إلى ما يتبع الآية التي نحن بصددها نلحظ إبدالاً لما يقتضيه التنادي بالضد، إذ من عادة المتنادين الإقبال، ولكن ما تنبئ عنه هذه الآية هو الإدبار ﴿يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ﴾[4]، الأمر الذي يدل على أن هذا التنادي لا يعدو كونه صراخاتٍ غير مفهومة يقولونها هاربين من هول الموقف وعظيم جبروته، ومتصفة بشدة التداخل الصوتي الذي أشير إليه بلفظ (التناد) الدال على تعدد الأصوات في الزمن الواحد، فبذلك يكون النداء ناقصاً من جانبين، أولهما : إنه لا يعدو مقطعات لفظية غير مكتملة حتى تـ قدم الإفهام ناتجة عن خوف الموقف، وثانيهما: عدم حصول نتيجة ذلك النداء بالرد أو الإقبال، فالجميع مدبر لا يستقبل إلا نداءه، ولذا كان ذلك الإسقاط اللفظي في (التناد) مناسباً لذلك النقص، ولا سيما بما يشير إليه الصوت

---

(1) سورة غافر، آية 32.
(2) سورة غافر، آية 15.
(3) البقاعي، نظم الدرر، ج6، ص494، 511.
(4) سورة غافر، آية 33.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

المحذوف (يهل) إشعار باكتمال اللفظ وامتداد الند داء الذي يقابل الامتداد الصوتي في ذلك الحرف المعتمد على المد، إضافة إلى ما توحي به تسمية يوم القيامة بتلك الصفة (التناد) من دلالة على ظهورها في ذلك اليوم حتى حقت بها التسمية، وذلك الظهور يعد الإشعار الأول بكثرة النداءات وتداخلها.

ومن ذلك ما تحذف منه ياء الـ متكلم ويكتفى بالحركة قبلها، ومثاله قوله تعالى على لسان الشيطان عندما يخاطب من أغواهم : ﴿مَّا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ﴾[1]، أي: أشركتموني.

ونكتة هذا الإسقاط مختصة بإبعاد المقابل لله تعـالى والنظير لـه، خاصة إذا كان من أدنى الخلق، ولو كان ذلك المقابل على سبيل الادعاء، فكما نلحظ في ظاهر السياق أن الشيطان ينزل نفسه منزلة الشريك لله تعالى عن ذلك علواً كبيراً - ولكن باطنه يقدم الإشارات لذلك الإبعاد من خلال ما نلحظه من ذلك الإبهام في الموصول (ما)، الذي يدعونا للتساؤل عن عدم مجيئه بـ (مَنْ) المحددة للمدلول، مع العلم بعدم وجود ما يشرك به غيره تعالى . قلنا: إن في ذلك إبهاماً رغم وضوح المراد، وذلك إبعاداً لجعله تعالى بموازاة سفيه خلقه، إذ لو قال : بمن أشركتموني، لكان بذلك تحديداً للمقابل يزداد ظهوراً في ذلك الموطن المناظر للشيطان، الأمر الذي لا يجوز على الله تعالى، ولكن أشار بـ (ما) الدالة على الإبهام إبعاداً له تعالى عن تلك المقابلة من جانب، ومن جانب آخر، فإن إسقاط ياء المتكلم التي تزيد من اختصاص النفس بصفة الإشراك (نفس الشيطان) في ذلك المقام -إسقاط لصاحبها من موطن الإشراك، وبالتالي من ادعاء المقابلة، وفي ذلك إشارة لاستحالة الند لله تعالى بالفعل لاستحالته بالقول، خاصة أن ذلك في معرض الادعاء.

14.1.4.3 متفرقات:

1.14.1.4.3 حذف المصدر:

---

(1) سورة إبراهيم، آية 22.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

وموطنه في قوله تعالى : ﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾[1]، إذ التقدير: يضل الله من يشاء إضلاله، ويهدي من يشاء هدايته.

من خلال النظر إلى هذه الآية وسابقتها نلحظ أن الإضلال والهداية متعلقان بعدد الخزنة الذي جعله الله تعالى فتنة ازداد على أثرها كفر الكافرين وإيمان المؤمنين، فيقول تعالى فيما يسبق هذه الآية: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا﴾[2]، فكان ذلك العدد واحداً من الأمور التي ينقسم حولها الناس مفترقين إلى الكفر والإيمان، والتي تتعدد في الحياة غير متعدية أسباباً يختلف عندها التفكير، فيضعها الله ممتحناً عباده غير مسيِّر لهم لطرق الهداية أو الضلال، دل على ذلك إدخال اللام السببية على استيقان أهل الكتاب وقول الكافرين التي تشير إلى الانسياق الذاتي خلف ذلك الاختيار، فكان إسقاط المصدر في الآية التي نحن بصددها، لإخراج الهداية والضلال من مشيئته تعالى التي قد تخصهما بأناس معينين، وبيان أن الهداية هي بصرف اختيار صاحبها عن مشاهدته للآيات الناطقة بالحق، وأن الضلال لاختيار صاحبه لمشاهدة الحق، فالله تعالى يضع الضلال والهداية أمام عيون البشر دون تسيير اختيارهم إلى أي منهما . الأمر الذي لا تتم الدلالة عليه في حال ذكر المصدرين، لدخولهما عند ذلك حيز مشيئته تعالى مسيِّراً لأصحابهما.

2.14.1.4.3 حذف التمييز:

وموطنه في قوله تعالى : ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾[3]، فالتقدير: تسعة عشر ملكاً أو صفاً أو صنفاً.

([1]) سورة المدثر، آية 31.

([2]) سورة المدثر، الآيتان 30، 31.

([3]) سورة المدثر، آية 30.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

لعلنا نلحظ أنه تعالى حدد العدد وأبهم المعدود، وفي ذلك إبهام في ذات التحديد، إذ بتأرجح المعدود بين الصف والصنف والملك الواحد إبهام لذلك العدد لا يتحدد إلا بتحديد المعدود بإحدى فئاته السابقة، ثم أبان بعد هذه الآية عن نوع ذلك المعدود فقال: ﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً﴾[1]، وأوضح سبب تحديد العدد بجعله فتنة للكافرين، من خلال استبعادهم لتولي هذا العدد القليل لتعذيب أكثر الثقلين، واستهزائهم به، فقال: ﴿وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا﴾[2] دون بيان سبب إبهام المعدود، وكأننا نلمح بذلك العدد تحديداً صورياً جاء لذلك السبب ينطوي على إبهام لذات التحديد لم يتم تعليله في الآيات، وهو إبهام المعدود، الأمر الذي يشي إلى أن كون أصحاب النار تسعة عشر ملكاً أو صفاً أو ما يدل على ما يزيد على ذلك ليس مؤثراً على توليهم أمر النار، وتسليطهم على أهلها، فما بث الله تعالى من قدرة في ملائكته لا تزداد بازدياد عددهم، وتنقص تبعاً لذلك كما عند البشر، فإن ما يقوم به جمعهم قد يقوم به أحدهم بأمره تعالى، لذلك تم إسقاط التمييز وبيان نوعه بعد الإسقاط مباشرة، والذي لو تم ذكره لحدد العدد، ولم يتم التوصل إلى تلك الغاية، أشار إلى ذلك اختيار ذلك العدد المستغرب الذي لم يصل إلى العشرين مثلاً ولم ينقص، لما فيه من دلالة على الاختصاص العملي بالخزنة أنفسهم وليس بعددهم، يعضد ذلك حصر الخزنة بالملائكة الذين يفوقون عامة خلقه قدرة وإرادة (إلا ملائكة).

ولا ننسى ما يقدمه هذا الإسقاط من تناسب للفواصل القرآنية الذي جرى عليه النسق القرآني فيما يسبق هذه الآية (البشر، سقر، تذر، عشر) الموحي بـ تدرج حالة التصعيد لهول العذاب، حتى الوصول إلى ذلك الإبهام في الحذف، الذي يضيف إلى ذلك الهول هولاً.

3.14.1.4.3 حذف الموصول الحرفي:

---

[1] سورة المدثر، آية 31.

[2] سورة المدثر، آية 32.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

PDF Complete
Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages

وموطنه قوله تعالى على لسان الكافرين يوم القيامة: ﴿يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾(1)، أي: وأن لا نكذب بآيات ربنا.

وذلك مقال من صدر منه التقصير، ثم عاين لأجله الشدائد والأهوال، فيتمنى الرد إلى حالته الأولى لتدارك التقصير، لكن ذلك -التمني كما نلحظ في الآية- يجمع جانب الرد، وعدم التكذيب، والكون من المؤمنين، من خلال عطف هذه الأمور على بعضها، الأمر الذي يوحي بإدخالها جميعاً تحت التمني رغم أن مناط تمنيهم يقتصر على الرد وحده خلاصاً من العذاب، فلربما أن جعل الرد وعدم التكذيب والانخراط في صف المؤمنين ضمن التمني، للدلالة على أن عودتهم إلى الدنيا لا تؤكد تدارك التقصيرات، وإنما سيعودون لما نهوا عنه؛ وذلك لأن التمني للشيء يعني عدم القدرة على القيام به، وهم بتمنيهم أن يكونوا من المؤمنين ومن غير المكذبين بعد الرد دلالة على عدم تمكنهم من ذلك حتى ولو أعيدوا، فكان مناسباً لما جاء بعد هذه الآية: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾(2)، أشار إلى ذلك حرف الإضراب الانتقالي (بل) الموحي بانتفاء ذلك التدارك.

على حين إنه لو تم ذكر المحذوف لأخرج عدم التكذيب والانخراط في صف المؤمنين من إطار التمني موحياً بكونهما جواباً للتمني يحدثان وجوباً بشرط حدوثه؛ فسيكون المعنى: ليتنا نرد فلا نكذب بآيات...، الأمر الذي سيوحي بقدرتهم على الابتعاد عن التكذيب، والإيمان بالله تعالى بعد الرد.

4.14.1.4.3 حذف حرف التحقيق (قد):

وموطنه قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾(3)، أي: وقد خشعت الأصوات.

(1) سورة الأنعام، آية 27.
(2) سورة الأنعام، آية 28.
(3) سورة طه، آية 108.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

لعلنا نلحظ أنه تم التحول بالفعل (خشعت) عن صيغة المضارع التي تناسب السياق السابق (يتبعون) إلى صيغة الماضي، والذي فيه إشارة إلى تحقق وقوع ذلك الفعل، الأمر الذي يدل على عدم توقع حدوث ذلك الخشوع لدى الناس من قبل، للذهول عنه بعرصات ذلك اليوم وأهواله، ذلك إن حرف التحقيق قبل الفعل الماضي غالباً ما يدل على توقع وقوع ذلك الفعل قبل حدوثه، كما يقال : قد فعل، لقوم ينتظرون الخبر، وقول المؤذن : قد قامت الصلاة؛ لأن الجماعة منتظرون ذلك، وفي التنزيل: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ﴾[1]؛ لأنها كانت تتوقع إجابة الله سبحانه وتعالى لدعائها، فعندما كان ذلك الخشوع أمراً غير متوقع تمَّ إسقاط (قد) التي تفيد عكس ذلك، أشار إلى ذلك إسناد الخشوع إلى الأصوات وليس لأصحابها بعد إسناد الاتباع لأصحابه، لكون الخشوع يطلب منهم على حالة فزع ورعب ومهابة أثناء الحوادث العظام لا يتسنى لإرادتهم الذاتية أثناءها الإقلاع عن الصراخ إلى الخضوع المتوجب للسكوت؛ فيحدث ذلك لا إرادياً بتصرف الحواس طاعة لله تعالى، الأمر الذي يومئ بعدم دخول الخشوع لديهم في ذلك الوقت ضمن متوقع ولا محسوس.

ولما علمنا أن الفعل الماضي (خشعت)، جيء به على هذا السنن للتأكيد على تحقق ذلك الفعل، ليس لبيان أن حدوث ذلك الفعل كان في الماضي، كان ارتباطه بحرف التحقيق لا يناسب تلك الدلالة من جانب آخر، يفسر من خلال أن دخول ذلك الحرف على الفعل الماضي يدل على أن انقضاءه في زمن قريب من الحال، فقولنا : خرج الصاحبان، يحتمل الماضي القريب والبعيد، بخلاف قولنا : قد خرج الصاحبان، فإن الاحتمال الثاني يمتنع ويصير زمن الماضي قريب من الحال، وزمن حدوث فعل الخشوع قريب من حال اتباع الداعي، ولكنه في الحقيقة ليس قبل ذلك الحال وإنما بعده، فتم إسقاط ذلك الحرف لعدم إرجاع زمن الخشوع للماضي، أشار إلى ذلك القرب ما في الإتِّباع من استمرارية اتبعت بذلك القطع المفاجئ بصيغة الماضي، الأمر الذي يزيد التقارب الزمني ولكن بعد الإتِّباع.

---

(1) سورة المجادلة، آية 1.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

5.14.1.4.3 حذف الواو:

وموطنه قولــه تعالى : ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُواْ عَنْهَا أُوْلَـئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[1]، أي: وهم فيها خالدون.

لعلنا نلحظ أن الآية الكريمة تبين لنا في دلالتها السطحية أن المكذبين بآيــات الله والمستكبرين عنها مخلدون في النار، ولو دققنا النظر نلمس أن هناك ما يشــعر باختصاص المكذبين بآيا ته تعالى المستكبرين عنها بالخلود في النار دون العاصــين من غير استكبار ولا تكذيب، أشار إلى ذلك المبالغة التعجيزية لنفي دخولهم الجنــة بتمثيل دخولهم بدخول ما يماثل عظيم جرمهم بحجمه وهو الجمل، فيما هو علم فــي ضيق المسلك وهو ثقب الإبرة، مضاعفة لاستبعاد الدخول الذي ينم عن عدم الخروج من النار، فيقول عز وجل فيما يتبع هذه الآية -: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُواْ عَنْهَا لاَ تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاء وَلاَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ﴾[2].

ولما كان صاحب الشيء هو الملازم له، المعروف به -قال في الآية التــي نحن بصددها مصرحاً بذلك : هم، التي تفيد حصر الخلود بتلك الفئة، ليخرج العاصي من غير تكذيب ولا استكبار، بعد أن أشار إليهم باسم الإشارة (أولئك)، الذي يــومئ بالتحديد الإشاري لمن ذرأه الله لجهنم ليخلد فيها، فتم لهذا الغرض إسقاط الواو التي تعطف ما بعدها على ما قلبها دون أن تخصّه فيه.

وقد تأكدت لدينا هذه الرؤية عند إظهار (هم) في موضع إضمارها، في الآية السابقة على هذه الآية، عندما كان الحديث عن المصدقين بآياته تعالى بعــد ســبق تكذيبهم، فقال عزوجل: ﴿فَمَنِ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[3]، فإن الأصل في السياق:﴿فلا خوف عليهم ولا يحزنون ﴾، وإنما أظهر ضميرهم لبيــان اختصاصــهم بعدم الحزن على ما فاتهم من عدم التصديق.

([1]) سورة الأعراف، آية 36.
([2]) سورة الأعراف، آية 40.
([3]) سورة الأعراف، آية 35.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

ولذلك تمفيما يتبع الآية موضع الدرس - ذكر المؤمنين عامة عند بيان اختصاصهم بالخلود في الجنة على خلاف الآية موضع الدرس، التي ذكر فيها المستكبرين غير العاصين –وليس الكافرين -لاختصاصهم بالخلود في النار، فقال عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ لاَ نُكَلِّفُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا أُوْلَـئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[1]، ذلك إن كل من يدخل الجنة مخلد فيها على خلاف أصحاب النار الذين منهم من يخرج منها.

6.14.1.4.3 حذف الفاء:

وموطنه قوله تعالى : ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُواْ إِلاَّ سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ﴾[2]، أي: فيتعارفون بينهم.

وفي تقديرنا أن هذه الصورة تقدم غاية مختصة بزمن هذا التعارف من جانبين، أولهما: مختص بكون حدوث هذا التعارف غير مقصور على وقت الحشر، فلما كان تعارفهم حاصلاً في حياتهم الدنيا، ثم يتكرر يوم الحشر ، تم إسقاط الفاء التي تقوم بوظيفة ترتيب الأحداث، فتتبع التعارف لبدء الحشر رغم ابتدائه سابقاً .

ثانيهما: بيان أن حدوث التعارف يكون فور خروجهم من القبور، إذ هم حينئذ على ما كانوا عليه من الهيئة المتعارفة فيما بينهم، ثم ينقطع التعارف بشدة الأهوال المذهلة، واعتراء الأحوال المعضلة المغيرة للصور والأشكال، وذلك بصورة سريعة تدل على قصر مدة التعارف، وملاصقتها بزمن الخروج من القبور، الأمر الذي كان مناسباً لإسقاط الفاء التي تشير إلى ترتيب الوقوع بنظام يقتضي التسلسل الحدثي الذي يحتاج إلى الفواصل الزمنية بين الأحداث، ممّا يوحي بالتراخي في بدء التعارف وحدوثه، أشار إلى ذلك المبالغة في قصر حياة البرزخ بالنسبة لهم، بجعلها مثلاً في غاية القلة، من خلال مساواة زمنها بساعة واحدة من النهار، الأمر الذي

([1]) سورة الأعراف، آية 42.

([2]) سورة يونس، آية 45.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

يترتب عليه عدم الحاجة لتعارف طويل إزاء ذلك الافتراق القصير، إضافة إلى ما يوحي به الانتقال المباشر فيما ذيلت به هذه الآية - من التعارف المسوق بصيغة المضارع إلى بيان خسرانهم المسوق بلفظ الماضي من دلالة على قطع زمن التعارف المستمر بالحدوث الماضي للخسران؛ فيقول تعالى : ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَاء اللّهِ﴾[1].

2.4.3 حذف الجملة: ويقع في:

1.2.4.3 جملة الشرط:

حذفها قليل في الكلام ولاسيما عند مقارنته بحذف جملة جواب الشرط، لكون الجواب متمّماً لفعله، وليس الفعل متمّمًا للجواب، ومن مواطن حذفها قوله تعالى : ﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاء فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ﴾[2]، إذ التقدير: فإن أرادوا ولياً فالله هو الولي.

لعلنا نلحظ أنه تعالى ينفي فيما يسبق هذه الآية وجود ولي أو نصير للظالمين، فيقول تعالى: ﴿وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾[3]، ثم يعود في الآية التي نحن بصددها لإعطاء خيار أنهم اتخذوا ولياً من دونه عز وجل، فكيف سيلتئم ذلك؟ إن جملة (أم اتخذوا من دونه أولياء) مقربة لما قبلها من انتفاء أن يكون للظالمين ولياً أو نصيراً، وما فيها من معنى التخيير بذلك الاستفهام، لإنكار الوقوع ونفيه على أبلغ وجه وآكده(وقوع الولاء لغير الله سبحانه وتعالى)فما فعلوا ليس من اتخاذ الأولياء في شيء؛ لأن فرع كون الأصنام أولياء هو أظهر الممتنعات، فاتخاذها أولياء كان تجاوزاً عن الولي الأحد، فالمعنى أم اتخذوا متجاوزين الله أولياء من الأصنام وغيرها، فكانت هذه الجملة لإنكار وجود الولاء لغير الله التي لو سيقت بـ (بل) في موضع (أم) لأدت غرض الإنكار ذاته، فناسب إسقاط جملة الشرط (فإن أرادوا ولياً

---

(1) سورة يونس، آية 45.
(2) سورة الشورى، آية 9.
(3) سورة الشورى، آية 8.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

في الحقيقة) التي تومئ بالاختيار عند إرادة الولاية، وإنزال الجواب (فالله هو الولي) منزلتها، لإزالة التخيير الذي يزيل اعتقاد الولاية لغير الله، إذ بإنزال أحد الخيارات مكان عملية التخيير إشعار بأن ذلك الخيار مناط تلك العملية وصاحبها المختص بها، أشار إلى ذلك تقديم لفظ الجلالة، وتأخير بيان أنه الولي زيادة في اختصاصه تعالى بالولاية عما لو قال : فالولي هو الله، فالمعنى في الأولى قصر الولاية على الله سبحانه وتعالى، وفي الثانية جعل الله ولياً دون اختصاصه بها.

ومن تلك المواطن قوله تعالى : ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ﴾(1)*، فالتقدير: فإن كنتم منكرين له فهذا يوم البعث.

في هذه الآية الكريمة رد لما أقسم به المجرمون فيما سبقها بأنهم لم يلبثوا غير ساعة، فقد قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ﴾(2)، وكأنهم من فرط حيرتهم لم يدروا أن ذلك هو البعث الموعود الذي كانوا ينكرونه، وكانوا يسمعون أنه يكون بعد فناء الخلق كافة، ويقدرون لذلك زماناً بعيداً، وإن لم يعتقدوا بتحققه، فرد العالمون مقالتهم ونبهوهم على أنهم لبثوا إلى غير غاية بعيدة كانوا يسمعونها وينكرونها، وبكتّوهم بالإخبار بوقوعها، ولكن ما علاقة ذلك بالإسقاط؟

نريد أن نقول : لما كان إنكار المجرمين في هذا السياق لتقارب زمن البعث (من منظورهم) تم إسقاط جملة الشرط (فإن كنتم منكرين له)، التي تدل على إنكار البعث ذاته لا زمنه، وأنزل مكانها جملة الجواب المبتدئة باسم الإشارة، الأمر الذي يومئ بالاحتضار العيني لذلك اليوم تأكيداً لحدوثه الآني أمام استبعادهم له، إضافة إلى ما توحي به الفاء العاطفة من تدرج ترتيبي للأحداث ينتهي بيوم البعث، بعد لبثهم في كتاب الله من غير فاصل قد يشير إليه المحذوف فيما لو وجد، لما سيكون فيه من دلالة على هفوة زمنية بين اللبث والبعث تناسب اعتقادهم باستبعاد يوم البعث.

(1) سورة الروم، آية 56.
* انظر شاهد آخر، الصافات، آية19.
(2) سورة الروم، آية 55.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

2.2.4.3 حذف جملة جواب الشرط:

ويتكرر ذلك في حال جواب لو عندما يكون فعل الشرط (ترى)، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ﴾(1)، وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى رَبِّهِمْ﴾(2)، وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ﴾(3)، وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ﴾(4)، وقد انقسمت آراء المفسرين والبلاغيين حول بيان غاية هذا الحذف إلى ثلاثة أقسام:

فكانت في رأي ابن الأثير والقزويني والبقاعي، هي الدلالة على أن ذلك الشيء لا يحيط به الوصف، أو لتذهب نفس السامع كل مذهب ممكن، فلا يتصور مطلوباً إلا يجوز أن يكون الأمر أعظم منه (5)، وفي رأي أبي حيان وأحمد مطلوب أن ذلك لدلالة المعنى عليه، وفي(6) رأي العلوي والميداني أن ذلك للإيجاز (7)؛ وفي ذلك إذ يقول العلوي : "... والسر في حذفها في هذه المواضع أنها ربطت إحدى الجملتين بالأخرى حتى صارتا جملة واحدة أوجب ذلك لها فضلاً وطولاً، خصوصاً مع الدلالة على ذلك"(8).

ونحن نستبعد ما جاء في الرأيين الثاني والثالث، فالنص يحمل دلالات أكثر عمقاً من مجرد الاختصار ودلالة المعنى؛ لأن الحذف تصرُّف تصفَّى به العبارة، ويقوى حيكها، ويتكاثر إيحاؤها ، ويمتلئ مبناها، ولا عائق في العبارة تحسن استقامة السياق بإسقاطه، فحذف جواب (لو) في الآيات، لغرض المبالغة في تصوره، وذهاب الفكر والخيال مذاهب شتى في ماهيته، وعدم تحديده بشيء معين، وذلك يجعل حذفه

---

(1) سورة الأنعام، آية 27.
(2) سورة الأنعام، آية 30.
(3) سورة سبأ، آية 31.
(4) سورة سبأ، آية 51.
(5) ابن الأثير، المثل السائر، ج 2، ص107؛ القزويني، الإيضاح ، ص179؛ البقاعي، نظم الدرر، ج 2، ص623.
(6) أبو حيَّان، البحر المحيط، مجلد4، ص104؛ مطلوب، أساليب بلاغية، ص220.
(7) الميداني، معارج التفكر، ج11، ص204.
(8) العلوي، الطراز، ج2، ص114.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

أبلغ من ذكره؛ لأن ذكره يخصّ وجهاً، ومع الحذف يظن وجوها كثيرة، فلو قــدرت الجواب لكان التقدير : لرأيت سوء منقلبهم، أو لرأيت سوء حالهم، ولكن الحذف أبلغ ألا ترى أنك لو قلت لابنك، والله لئن قمت إليك، وسكتَّ عن الجواب - ذهب بفكــره إلى أنواع المكروه من الضرب، والقتل، والكسر، وعظم الخــوف، ولــم يــدر أي الأقسام تبغي، ولو قلت : والله لئن قمت إليك لأضربنّك، فأتيت بالجواب لعلم أنك لــم تبلغ شيئاً غير الضرب، ولا يخطر ببالك نوع من المكروه ســواه، فثبــت أن هــذا الحذف أقوى تأثيراً في حصول الخوف.

وقد أشار إلى ذلك خطابه تعالى لغير معلوم بالفعل (ترى) الذي ناسب تجاوز العذاب لكل حد معهود بتوجيهه لكل وا حد من أهل المشاهدة والعيان، قصداً إلى بيان كمال سوء حالهم وبلوغها من الشناعة والفظاعة إلى حيث لا يختص استغرابها براء دون راء ممن اعتاد مشاهدة الأمور العجيبة؛ بل كل من يأتي منه الرؤية يتعجب من هولها وفظاعتها، إضافة إلى ما يوحي به إسقاط مفعول الفعل ذاته من إ شــارة إلــى جعل المرئي مما لا يقع عليه نطاق البصر ولا يشمله، لتجاوزه إلى حــدود واســعة يعجز أمامها البصر بالنظر دون شمولها.

ومن حذف جواب (من) قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِي النَّارِ﴾[1]، إذ التقدير: أفأنت تخلصه، ذلك إن الذي تحق عليه كلمة العذاب لا يكون في النار بعد.

فنرى في هذه الآيةوسابقتها تتحدث عن أحوال المتقــين - بيانــاً لأحــوال أضدادهم وتعجيل عليهم بحرمان الهداية كما يلوح به التعبير عنهم بمن حــق عليــه كلمة العذاب، والذي يدل على ذلك الحرمان حتى في حال اجتهاد الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ في تخليصهم من النار، وأصل الكلام: أمن حق عليه كلمة العذاب فأنت تنقذه؟!، على أنها شرطية دخلت عليها الهمزة لإنكار مضــمونها، ثــم الفــاء لعطفها على جملة مستتبعة لها مقدرة بعد الهمزة، ليتعلق الإنكار والنفي بمضمونيهما

(1) سورة الزمر، آية 19.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

معاً، أي: أأنت ملك أمر الناس؟ !أفمن حق عليه ...، ثم وضع (من في النار) موضع الضمير لمزيد الإنكار والاستبعاد، ولكن ما علاقة كل ذلك بالإسقاط؟

كان الإنكار الشديد لمحاولة تخليصهم من العذاب داعياً كبيراً لعذاب مؤكد لا مفر منه، دلّ عليه إنزال من استحق العذاب منزلة من دخل النار، وتصوير اجتهاد الرسول صلى الله عليه وسلم - في دعائه إلى الإيمان بصورة إنقاذه من النار، الأمر الذي ناسب حرمانهم من الهداية بعد فظائع أعمالهم، والذي لو تم ذكر المحذوف حياله (فأنت تخلصه)، لما دل على تلك الغاية، حيث إن التخليص في الجملة المحذوفة هو من دخول العذاب ، والإنقاذ في الجملة المنزلة مكانها هو من قلب العذاب، فتم الإسقاط تأكيداً لعذابهم، والله أعلم.

ومن حذف جواب (إذا)قوله تعالى : ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ،وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ، وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ،وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ﴾(1)*، وقد وقف بعض المفسرين عند هذه الصورة مبينين أن الحذف فيها للتهويل والإيماء على قصور العبارة عن بيانه، أو للتعويل على ما مر في سورة الانفطار(2).

وما مر في سورة الانفطار هو كالآتي :قال تعالى : ﴿إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ، وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ،وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ، وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ، عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ، يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾(3)، ففي المشهد الأول الجواب محذوف وفي الثاني مذكور، وذلك

---

(1) سورة الانشقاق، الآيات 1-6.

*انظر شواهد أخرى، البقرة، الآيتان 165، 167؛ النساء، آية 42 الأعراف، آية 43 الأنبياء، آية 39 الفرقان، آية 26، الشعراء، آية102؛ النمل، آية 102؛ القصص، آية 64 السجدة، آية 12؛ غافر، آية 73، الواقعة، آية1؛ الزلزلة، الآيات1، 2، 3، المرسلات، الآيات8-12، الرحمن، آية37.

(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج6، ص401؛ البيضاوي، أنوار التنزيل، ص791.

(3) سورة الانفطار، الآيات 1-6.

* يشير إلى ذلك ما يدل عليه المعنى المعجمي لكلا اللفظين، فالشَّق هو الصدع البائن، أما الفَطْر فهو الشق ولكن ليس البائن، ويدل على عدم بينونته ارتباط معاني مشتقات تلك المفردة بدلالة الابتداء والقلة، فالفَطْر : القليل من اللبن حين يحلب، وفَطَرَ نابه: طلع، والفُطْرُ: العنب إذا بدت رؤوسه لأن القضبان تنفطر، والفِطْرة: الابتداء والاختراع، انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج2، ص341، ص1108.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

الاختلاف يجعلنا ننعم النظر لبيان السبب فيه الذي يقود لبيان غاية الإسقاط ــ كما سنرى فيما بعد ــ لا أن نقف عليه في تعليل تلك الغاية.

لعلنا نرى أن كلاً من السورتين تصدَّرت بما يحدث للسماء يوم القيامة، ففي الأولى انشقاقوفي الثانية انفطار، والانشقاق أشد وأوسع من الانفطار *، مما يجعله تالياً للانفطار، وقال في الأولى و:ألقت ما فيها وتخلت، وفي الثانية : فإذا بعثر ما في القبور، والإلقاء يختلف عن البعثرة، بكون الأول يشترط فيه ظهور الشيء الملقى دون اشتراط ذلك في البعثرة التي تدل على اضطراب الشيء بغض النظر عن ظهور ما فيه؛ الأمر الذي يشي ــ والله أعلم ــ إلى أن الأهوال في المشهد الثاني هي ما يحدث مرافقاً للنفخة الأولى (نفخة الصعق)، في حين إن أهوال المشهد الأول ما يحدث مرافقاً للنفخة الثانية (نفخة البعث)مناسبة تأخر الانشقاق الذي يتسع عن الانفطار، والإلقاء الدال على إخراج الموتى كلياً للبعث، ومناسبة تقدم الانفطار الذي يضيق عن الانشقاق، والبعثرة الدالة على اختلاط عظام الموتى واضطرابها دون إخراجها لنفخة الصعق، الأمر الذي كان داعياً لإظهار جواب الشرط في الأول (علمت نفس ما قدمت وأخرت)، أي: يكون لها علم أكيد عند رؤية هذه الأهوال للمرة الأولى بوجود الجزاء على هذه الأعمال، رغم أن العلم حاصل في الدنيا، ولكن ما يكون في الآخرة تأكيد لذلك العلم، فلما كان التأكيد لذلك حاصلاً في بداية ظهور أهوال يوم القيامة التابعة لنفخة البعث، تم إظهار ما يدل عليه في الأهوال المرافقة لنفخة الصعق (النفخة الأولى) دون نفخة البعث (النفخة الثانية) لعدم الحاجة إلى تكراره في حالها، لذلك تبع جواب الشرط في الأولى قوله تعالى : (يا أيها الإنسان ما غرّك بربك الكريم؟) بعد أن تأكد من صحة ما كان يدعى إليه بذكر جواب الشرط، وأُنزل مكان الثانية قوله : (يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحاً فملاقيه)؛ لأنه قد تحقق لديه ذلك التأكيد بفور رؤية الأهوال وهو الآن في انتظار جزائه.

3.2.4.3 حذف جملة جواب القسم:

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

ومن مواطنه قوله تعالى : ﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ، أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَلَّن نَجْمَعَ عِظَامَهُ﴾[1]، أي: ليبعثن.

لقد ابتدأت الآية الكريمة بـ (لا النافية) الداخلة على فعل القسم المفيدة لتوكيده، ونفي ما ينبئ عنه من إعظام المقسم به وتفخيمه، فكأن معنى لا أقسم بكذا : لا أعظمه بإقسامي حق إعظامه فإنه حقيق بأكثر من ذلك، دل على ذلك تكرار القسم في الآيتين، الأمر الذي يشي إلى أن المقسم لأجله (ليبعثن) صار إلى حدوث مؤكد لا يحتاج إزاءه إلى القسم بتلك الأمور العظام، بل ولا حاجة لذكر المقسم لأجله، يعضد ذلك إنزال الاستفهام الاستنكاري منزلة جواب القسم متضمناً إنكار نفي البعث واستقباحه، من خلال سياقه الذي يقدم نشأة الإنسان الأولى دليلاً على النشأة الأخرى، والتي هي أشد وزراً من الثانية؛ لأنها إيجاد من العدم، والثانية جمع لما أوجد، إضافة لسوق تسوية البنان دليلاً على جمع العظام، لكون التسوية أدق عملاً من الجمع، فكل ذلك كان دالاً على تحقق حدوث البعث.

فلو أنكر أحدهم على طبيب ماهر قدرته على الإسعاف الأولي لأحد الجرحى، فمن الطبيعي ألاّ يكون جواب الطبيب بالقسم الذي يثبت تلك القدرة، وإنما سيكون جوابه بطريق الإنكار المشير إلى كمال تلك القدرة، فسيقول مثلا : أأنا لا أقدر على مداواة الجرحى؟! بل أقدر على إجراء عمليات القلب؛ وذلك لأن تلك القدرة محققة لا مجال للشك فيها، وأما إذا أنكر ذلك على أحد الممرضين وهو قادر عليه، فإن جوابه سيكون بإثبات تلك القدرة دون الإنكار؛ لأنه غير حقيق بتلك القدرة التي تزيد عن مجاله، فثبوت البعث استدعى إنكار نفيه في موطن ذكره في جواب القسم.

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا ، وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا ، وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا ، فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا ، فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا﴾[2]، أي: لتبعثن، وذلك إقسام من الله عز وجل بطوائف من الملائكة الذين ينزعون الأرواح من الأجساد، وينشطونها نشط الدلو من البئر،

---

(1) سورة القيامة، الآيتان 1، 2.

(2) سورة النازعات، الآيات 1 -5.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

ويسبحون في إخراجها سبح الغواص، فيسبقون بأرواح الكفرة إلى النار، وبأرواح المؤمنين إلى الجنة، فيدبرون أمر عقابها وثوابها[1].

والمقسم عليه في هذا الموطن محذوف، تعويلاً على إشارة ما قبله من المقسم به إليه، ودلالة ما بعده من أحوال القيامة عليه، فإن الإقسام بمن يتولى نزع الأرواح ويقوم بتدبير أمورها، واتباعه ببيان أحوال القيامة المرافقة للنفخ في الصور : ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ، تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ﴾[2]، يلوح بكون المقسم عليه من قبيل تلك الأمور لا محالة، أكد ذلك حلول النفخ في الصور الذي هو منبه البعث مكان جواب القسم المؤكد، وفي المشهد من الجزالة ما لا يخفى على من ينظر لتلك المتوالية القسمية التي تقدم توضيحاً لمسيرة خروج الروح من جسد صاحبها وكيفيتها إلى أن تصل بها الملائكة إلى الجنة أو النار مدبرين أمر عقابها؛ ويبين الكيفية العطف الموحي بذلك التغاير الذاتي المشعر بأن كل واحد من الأوصاف المعدودة من معظمات الأمور، حقيق بالانفراد في بيان كيفية ذلك الخروج في حاله المختلفة عن غيره، وجاءت الفاء في الآيات اللاحقة مبينة الترتيب المساري لتلك الروح، إلى أن تصل إلى مأواها لتتهيأ لإدراك ما أعد لها من الآلام والملذات، فلما كان المقسم به مبيناً لمسيرة الروح منذ قبضها حتى لقاء ما أعد لصاحبها في الجنة أو النار، وكان البعث ضمن مدرجات هذه المسيرة التي مرت بها الروح لا محالة، كان الاستغناء عن جواب الشرط (لتبعثن) مسوَّغاً –من هذا الجانب أيضاً- لدلالته على ذات الشيء.

4.2.4.3 حذف جملة القول:

([1]) البيضاوي، أنوار التنزيل، ص782.

([2]) سورة النازعات، الآيتان 6، 7.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

لقد وقف أحد الدارسين المحدثين عند الكثير من صور هذا الحذف مبيناً أن الغاية في جميعها هو كون المقول هو غرض الكلام، فيحذف القول لتتوفر العناية على المقول، إضافة إلى أن حذفه يعيد الصورة أو الحال التي قيل فيها وكأنها ماثلة[1].

ومن هذه المواطن قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا﴾[2]، أي: يقولون: ربنا أبصرنا وسمعنا.

ونحن لا نتوقف في تعليل الحذف في هذه الآية بـ كون المقول هو غرض الكلام، فذلك ظاهر في السياق حتى ولو ذكر المحذوف، فالمجرمون يتحسرون على مآلهم هذا، وقد اشتدت بهم تباريح الذل والخجل عند لقائهم الله، والتهب بهم الشعور بالخطيئة، حتى صاروا إلى ضيق لا يستطيعون فيه الحديث من فرط خجلهم، أشار إليه عدم قدرتهم على رفع رؤوسهم متحدثين بأوجز الكلمات الدالة على ما يختلج صدورهم، الأمر الذي كان معه إظهار القول يشي بمقال طويل يتعدى تلك العبارات الموجزة التي تناسب موقف الذل والهوان، الذي أشير إليه بحذف جواب الشرط المشعر بتجاوز حالهم في الخجل إلى ما لا تحيط به دائرة الوصف، وما لا تختص بالتعجب منه عين راءٍ دون راءٍ ممن اعتاد رؤية الأمور الفظيعة، ناهيك عما يوحي به إسقاط مفعولي (أبصرنا وسمعنا)، من إيجاز ناسب شدة الخجل الذي يجعل صاحبه يعبر بإشارات بسيطة تناسب المقام، إضافة إلى إسقاط ياء النداء لرب العالمين (ربنا أبصرنا و ...) في تلك الحالة التي لا يتسنى لهم فيها لقاءه، فكيف نداءه تعالى؟

ومن تلك المواطن أيضا قوله تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا، إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾[3]، والتقدير: ويقولون: إنما نطعمكم... .

([1]) أبو شادي، الحذف البلاغي في القرآن الكريم، ص128.
([2]) سورة السجدة، آية 12.
([3]) سورة الإنسان، الآيتان 8، 9.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

هنا تنقل الآية الكريمة بياناً لشدة إيثار الأبرار للمساكين واليتامى والأسرى، بتقديم الطعام لهم بطيب نفس على حاجتهم إليه، ودون إشعار بمنٍّ ولا تفضلٍ، ومن غير انتظار شكر ولا جزاء، ولا مراد لهم إلى إرضائه تعالى، الأمر الذي استد عى الحاجة لتأكيد ذلك المراد عندهم، ولا سيما بذلك الإسقاط الذي أخبر عن تحول من الإخبار عن إطعام تلك الفئة لغيرهم إلى تكلمهم أثناء بيان أن مرادهم من ذلك نيل رضا الله، لكون المشافهة أدخل في تأكيد مضمون ذلك المقال، وأكثر استبعاداً لتوهم المن المبطل للصدقة، وتو قع المكافأة المنقصة للأجر، ولو تم ذكر المحذوف لسيق المقال بطريق الإخبار الذي لا يشير إلى ذات التأكيد، وقد أنبأ عن ذلك حصر ذلك المقال في المراد نفسه (إنما)، زيادة في التأكيد بتلك الأداة المفيدة عدم تجاوز مرادهم غاية إرضائه تعالى، كما ضاعف من تلك الدلالة اخت يار صيغ المضارع (يطعمون ـ نطعمكم ـ نريد) التي تتعاون على تثبيت تلك الأعمال لهم من خلال دلالة الاستمرار الموحية بامتداد الأعمال إزاء امتداد غاية إرضائه تعالى، إضافة لما يوحي به الشمول الذي تدل عليه صيغة الجمع، لما فيها من إشراك جميع أفراد تلك الفئة (الأبرار) في ذلك العمل، مما يؤكد الغاية نفسها.

ومن تلك المواطن أيضاً قوله تعالى : ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾[1]، والتقدير: نقول لهم أو يقال لهم : بشراكم...

والآية الكريمة توضح كيفية مسير المؤمنين والمؤمنات على طريق الجنة أثناء أهوال القيامة العظام، التي من بينها الظلام الذي ينيره ما خصّهم الله تعالى به من نور دون المنافقين، فيقول في حال المنافقين فيما يتبع هذه الآية :- ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُوراً﴾[2].

لعلنا نلحظ أن المؤمنين مسرعون في طريقهم إلى الجنة، بتقدمهم على الكافرين الذين يتوسلون بهم لاقتباس بعض ما خصهم الله به من النور الساعي

(1) سورة الحديد، آية 12.
(2) سورة الحديد، آية 13.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

بمحاذاتهم، أشار إلى تلك السرعة ذلك الاختصار اللفظي في طلب الكافرين منهم الانتظار (أنظرونا)، لكون التأخر في اللفظ يقتضي التأخر الزمني ذاته في تحقق الطلب أو عدمه، لسرعة السير، مناسباً ذلك إسقاط القول أثناء تبشيرهم بدخول الجنات الذي كان قبل وصولها، على أنا لم نلحظ ذلك الاختصار اللفظي في حال الكافرين، لتأخرهم في التخبط والتعرض لأهوال ذلك اليوم، فتم ذكر القول أثناء إعطائهم الملائكة الحل لاقتباس النور الذي يزيد ذلك التأخر (قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نوراً)، فالمؤمنون يزدادون تقدماً على مصاعب ذلك اليوم واجتياحاً لها، ولا يزداد الكافرون إلا انتكاساً فيها، فذلك يؤكد -والله أعلم- أن المؤمنين لا تنالهم أهوال القيامة على خلاف الكافرين الغارقين في عرصاتها.

ومن مواطن هذا الحذف أيضاً قوله تعالى : ﴿يَوۡمَ يُسۡحَبُونَ فِي ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ ذُوقُواْ مَسَّ سَقَرَ﴾[1]*، أي: يقال لهم: ذوقوا مسَّ سقر.

وكما أشرنا سابقاً فإن إسقاط القول يظهر في السياق تحولاً مباشراً، وهو هنا من أسلوب الغيبة (يسحبون على وجوههم)، إلى أسلوب الخطاب (ذوقوا مس سقر)، فلو ذكر القول المحذوف لنقل خطابه عز وجل بطريق الغيبة، ولكن الإسقاط أشعر بذلك الخطاب، ولكن ما علاقة ذلك بالإسقاط؟

لا شك أن في الخطاب دلالة آنية على حدوث الفعل لا يكتنهها سوق الكلام بطريق الغيبة، مما ينزلنا منزلة المشاهد لتبكيت المجرمين وتوبيخهم في النار، لا سامعين له، الأمر الذي لا يتحقق كما لو جاء السياق على وتيرة واحدة دونما تحول، فلو نقلت إليك رواية على لسان راوٍ شاهد* بأسلوب إخباري سردي من غير حوار فيه ولا تحول، فإنك لا تنغمس في معطياتها، وتشعر بأحداثها، ولا بحركة شخوصها وتأثيراتهم، بقدر لو نقلت إليك كل شخصية مقالها أو مثلت أمامك كمشهد، وعلى ذلك فإن التحول والخطاب في هذه الآية يجعلان القارئ يشعر بحضوره لذلك

---

(1) سورة القمر، آية 48.

*انظر شواهد أخرى، الطور، الآيات 1، 2، 4، 5، 6، الصافات، آية19، الطارق، آية1، العاديات، الآيات1-3.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

الموقف كمن يشاهده عياناً، وينزلان الكافر منزلة المخاطب، فيُشَافَه بتلقي عرصات ذلك المقام توبيخاً وتقريعاً يملأ نفسه بمشاعر الخوف والحذر إزاء ذلك المآل الذي سيق إليه المجرم، وشعر بمصاعبه وآلامه، كمن شرب شيئاً مراً وأدرك مرارته بكل قطرة كان يتذوقها بأناة تنم عن تبجح وتذمر تزأر بهما نفسه (وقوا مس سقر)، فلما كان الإسقاط أساس ذلك التحول الميسر لدلالة مفردات السياق المنقولة كما لو كان متلقيها حاضراً حسن ذلك الإسقاط، وقد دل على ذلك عدم وجود ذلك التحول عن الغيبة إلى الخطاب أثناء بيان مآل المؤمنين إزاء بيان أحوال الكافرين، فيقول عز وجل: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ، فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾[1].

5.2.4.3 حذف العامل:

ومن مواطنه قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾[2]، فـ(يوم) منصوب بمضمر مؤخر يقدر بـ: ويوم نحشرهم كان كيت وكيت، وقد عزا بعض المفسرين هذا الإسقاط إلى أنه أدخل في التهويل والتخويف[3] أما أبو السعود فقد سار إلى وجهة أخرى يجعل فيها ذلك الإسقاط إيذاناً بضيق العبارة عن شرحه وبيانه، وإيماء إلى عدم استطاعة السامعين لسماعه، لكمال فظاعة ما يقع فيه من الطامة والداهية التامة[4].

وحري بنا أن نشير إلى أن الرأيين السابقين لا يختلفان وإنما يتعاضدان في بيان غاية الإسقاط، فعدم استطاعة سماع ا لمحذوف ما هو إلا لهوله ولشدة ما يقع فيه من الدواهي العظيمة، ولكن لا بد من بيان الظلال لذلك السياق.

---

* الراوي الشاهد: الراوي الذي يكتفي بنقل الأحداث دون أن يتدخل بمشاركة في تلك الأحداث، أو يقوم بتحليل، وبذلك يكون غائباً عن معطيات الرواية تماماً، انظر : العيد، يمنى، 1420هـــ - 1999م، تقنيات السرد الروائي في ضوء المنهج البنيوي، ط2، دار الفارابي، بيروت، لبنان، ص98، 99.

(1) سورة القمر، الآيتان 54، 55.

(2) سورة الأنعام، آية 22.

(3) الزمخشري، الكشاف، ج 2، ص12؛ الرازي، التفسير الكبير، ج12، ص181؛ البيضاوي، أنوار التنزيل، 171.

(4) أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج2، ص365.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

يظهر ما يدل عليه الإسقاط من إبهام يجعل القارئ حائراً في تقدير المحذوف وتصوره، مما يوسع دائرة خياله لتشمل من الأحوال والأهوال ما لا تحيط به دائرة المقال، الأمر الذي يضعف مقدرته على سماع ما فيه لكمال ما يقع فيه من الطامة والداهية التامة، مما يحيل الأمر إلى خوف عظيم يشد عصفه ذلك الإبهام المتبوع بالسؤال الكاشف عن حقيقة الآلهة الباطلة، من خلال حذف مفعولي (تزعمون)، الدال على غيبة الشركاء عند الحاجة إليهم، ويعضد ذلك التحدث بطريق الغيبة أثناء بيان حشرهم، لموازاة ما تؤول إليه حالهم من غيبة الإدراك الناتجة عن شدة الخوف، ثم التحول إلى طريق التكلم الدال على حضور إدراكهم عند الحساب بين يدي الله بعد انقشاع غيبته المرافقة لهول الحشر.

ومن تلك المواطن قوله تعالى : ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُ ، بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُ﴾[1]*، أي: نجمعها قادرين.

لقد ابتدأت الآية الكريمة بهمزة الإنكار في سياق الاستفهام المستقبح لواقع تكذيب ما هو من سفاسف الأمور بالنسبة لقدرة الله تعالى وهو جمع عظام الإنسان يوم البعث، آزر ذلك دخول الهمزة على فعل الرجحان غير محقق الوقوع، بل المستخدم للدلالة على الظن الضعيف جداً، المساوي للتوهم، الذي يجب طرحه واستبعاده، مما أفاد بطلان ذلك الظن وإثبات ضده بالقدرة على جمع تلك العظام بعد تشتتها ورجوعها رفاتاً مختلطاً بالتراب، ثم ا بتدأت الآية الثانية بحرف الإيجاب المختص بالنفي الذي يفيد ذلك الإبطال، وإثبات الضد بما جاء بعده من بيان لقدرته تعالى على القيام بما يزيد دقة عن جمع تلك العظام، وهو جمع سلامياتها وضم بعضها إلى بعض كما كانت مع صغرها ولطافتها، فكيف بالعظام الكبيرة أو جمع الأطراف؟! وقد ساق ذلك بلفظ التسوية الدال على جعل الشيء بالغاً الغاية المقصودة من صنعه محكماً في مقادير أجزائه، لإعداد الغاية المقتضية له في إعداد خُطَّة تكوينه، لبيان أن من يقدر على التفصيل يقدر على الجمع والتوصيل، وبذلك لما

(1) سورة القيامة، الآيتان 3، 4.
* انظر شاهد آخر، الحجر، آية47.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

PDF Complete
Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages

ساقت الآية الثانية ما هو أدق من الجمع لإثبات القدرة عليه تم إسقاطه من السياق تمشياً مع ذلك الثبات لحدوثه وهونه على الله تعالى، أشار إلى ذلك الثبات مجيء الحال (قادرين) بصيغة اسم الفاعل الدال على الاختصاص في القدرة.

وقد دل على ذلك صيغة القسم المنفية المحذوفة الجواب الدال على البعث - فيما يسبق هذه الآيات فقال عز وجل: ﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾[1]، ففي إدخال النفي على فعل القسم، تأكيد لما ينبئ عنه من إعظام المقسم به وتفخيمه، فكأن معنى لا أقسم بكذا: لا أعظمه بإقسامي حق إعظامه فإنه حقيق بأكثر من ذلك، وذلك لهوان المقسم لأجله، إضافة إلى أن حذف جواب القسم الدال على البعث المشتمل لجمع العظام إشارة لتحقق الحدوث وإلى ذات الهوان.

ومن مواطنه قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا﴾[2]، فالتقدير: أنزل خيراً، و قد وقف بعض المفسرين عند هذه الصورة مبينين أن في ذلك دليلاً على أنهم لم يتلعثموا في الجواب[3].

ونحن إذ نقدر غاية أخرى لذلك الإسقاط لا نشير بذلك إلى أنهم تلعثموا في الجواب، فهم سلكوا في الجواب مسلك السؤال من غير تلعثم ولا تغيير في الصورة، ولكن ما نود إيضاحه أن عدم التلعثم غير ناتج عن تجبرهم على الخوف، وإنما هو ناتج عن عدم وجود ذلك الخوف أصلاً، ومن أين سيأتي الخوف إلى تلك الفئة المطمئنة بأعمالها، المُسَيَّرة إلى خير مأوى؟! فيجب أن يكون الخوف موجوداً حتى يتسنى لنا القول أنهم تجاوزوا إجابة السؤال بدون تلعثم ناتج عنه، والذي نراه في توجيه ذلك مختص بالنظر إلى ذات الإنزال، فلو نظرنا إلى الآيات التي تسبق الآية التي نحن بصددها نجد ذات السؤال في حال المستكبرين ولكن على حال رفع الجواب، فيقول تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾[4]، كما نجد اختلافاً بكون جواب المتقين مطابق للسؤال ولسبك الواقع في الأمر نفسه مضموناً، وأما

---

(1) سورة القيامة، الآيتان 1، 2.
(2) سورة النحل، آية 30.
(3) الزمخشري، الكشاف، ج2، ص603؛ البيضاوي، أنوار التنزيل، ص355.
(4) سورة النحل، آية 24.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

المستكبرين فقد غيروا نهج الحق الواقع من غير دافع مشوهين صورته وعادلين بها عن سنن السؤال، فجواب المتقين يدل على أن تصديقهم بالإنزال أمر حادث لا شك فيه، وإنما هم يحددون ذلك الإنزال بالخير دون الشر، أما جواب المستكبرين فيدل على عدم تصديق الإنزال نفسه وإنكاره، وذلك بجعله لا يعدو أسطورة من أساطير الأولين، الأمر الذي يشي إلى أن المتقين لما كانوا موقنين بالإنزال تم إسقاطه في حالهم ونصب ما بعده ليدل عليه، في حين إن المستكبرين لما كانوا منكرين لوقوعه لم تتم الدلالة على حذفه من جملة جوابهم، التي أشارت إلى انتفاء وجود ذلك الإنزال من الأصل، وليس إلى أن ما أنزِل من أساطير الأولين، وقد دل على ذلك سوق مقال المستكبرين بأسلوب الشرط الدال على ثبوت تلك الإجابة إزاء كل سؤال عن إنزاله تعالى وإن اختلف الشيء المنزل - إشعاراً بإنكارهم لذات الإنزال من غير استقبال لوجود أمر منزل (إذا قيل لهم)؛ وعدم وجود ذلك الأسلوب في حال المؤمنين، الأمر الذي يشعر بثبوت الإنزال لديهم (وقيل للذين اتقوا).

ومن مواطنه أيضاً قوله تعالى : ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾[1]*، أي: قال قولاً صواباً.

والآية الكريمة تنبئ عن عظم خطابه عز وجل الذي يشترط فيه طلب الأذن من قبل المخاطب وقول الكلام الصواب، ويبين ذلك قوله تعالى فيما يـ سبق هذه الآية: ﴿لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا﴾[2]، وفي ذلك إشارة إلى أن أهل السموات والأرض إذا لم يقدروا يومئذ على أن يتكلموا بشيء من جنس الكلام -إلا من أذن الله تعالى له منهم في التكلم، وقال ذلك المأذون له قولاً صواباً (قولاً حقاً) - فكيف يملكون خطاب رب العزة مع كونه أخص من مطلق الكلام وأعز منه مراماً؟ ! فلما كان خطابه تعالى بهذه الدرجة من الخصوصية والتعظيم تم إسقاط ما يدل على الكلام في الآية وإنزال صفته مكانه، وكأن الكلام أصبح غير موصوف بالصواب، وإنما هو الصفة ذاتها

([1]) سورة النبأ، آية 38.

*انظر شواهد أخرى، الأنعام، آية 128، يونس، الآيتان 28، 45، هود، آية105، إبراهيم، آية48، النحل، آية11، الفرقان، آية16، فصلت، آية47، القارعة، آية5، التوبة، آية35.

([2]) سورة النبأ، آية 37.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

(الصواب)لخصوصية خطابه عز وجل وعظيم مواجهته، أشار إلى ذلك ما في التحول عن المضارع (يتكلمون) إلى الماضي (أذن -قال) من تأكيد على سبق الأذن، والتأكد من قول الصواب قبل الخطاب، لذلك تم إيثار الصيغة الدالة على صدور الخطاب منه تعالى (لا يملكون منه خطاباً) على الصيغة الدالة على تلقيه الخطاب، بالقول مثلاً: له خطاباً أو لا يملكون خطابه، على الرغم من دلالة الآيات على تلقيه الخطاب، فهم من يطلب خطابه لا هو، الأمر الذي يزيد اختصاصه بالأذن، وانفراده بإعطائها في حال تلقيه الخطاب كما لو كان صادراً منه تعالى، فصاحب مصدر الخطاب يتحكم في وقت إصداره بلا منازع.

ومثل ذلك ما يتكرر في مجالس النظر في حل بعض المشكلات، التي تطرح حولها الكثير من الآراء، والتي قد يصل أحدها إلى درجة كبيرة من الصواب، الأمر يجعل أحد الجلساء أو جميعهم إلى القول مثلاً : هذا هو الصواب، مسقطاً ما يدل على القول، إشعاراً بعلو درجته في الصواب بين الآراء المطروحة.

6.2.4.3 حذف المقابل:

وتقرير هذا النوع أن يحذف من صدر الكلام ما يؤتى به في آخره، فيكون دليلاً عليه[1]، وهو ما أسماه بعض البلاغيين (الإضمار على شريطة التفسير)[2]، وانفرد السيوطي بتسميته الاكتفاء[3].

ولم نختر أيا من هذين المصطلحين؛ لأن الأول مقتبس من ذلك الاشتراط التفسيري الذي نجد فيه اتساعاً عن حدود هذا المجال، ولا سيما بما نلحظه من وجود التفسير في كثير من مجالات الحذف الأخرى كما مر سابقاً، وفيما يخص مصطلح الاكتفاء فإن في دلالته اللغوية إشارة إلى الاكتفاء بالمذكور دون الحاجة إلى المحذوف، الأمر الذي يشي إلى أن حذف الثاني هو لغاية الاكتفاء بالأول، مما يخرج هذا الإسقاط من تأدية ظلاله الدلالية المقصودة في السياق، ولذا فقد آثرنا

---

(1) ابن الأثير، المثل السائر، ج2، ص85.

(2) ابن الأثير، المثل السائر، ج2، ص85؛ العلوي، الطراز، ج2، ص96.

(3) السيوطي، معترك الأقران، مجلد2، ص242.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

مصطلح (حذف المقابل)، الذي نجد فيه بعض التطابق مع صورته المشتملة على عنصرين متقابلين يحذف أحدهما -كما سنرى فيما بعد-.

ومن مواطن هذا الحذف قوله تعالى : ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَى، سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَى﴾[1]، والتقدير: فذكر إن نفعت الذكرى وإن لم تنفع؛ لأن تذكير الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ودعوته غير مقتصرة على من تنفع فيه الذكرى، وقد استدل البقاعي على أن ذلك ليس إعراضاً عن تذكير من تولى، وإنما هو إعراض عن الحزن عليه، وعن تقطيع النفس لأجله حسرات[2].

لعل في ابتداء إنْ الشرطية لجملة (نفعت الذكرى) المشيرة إلى تأرجح نجاح عملية التذكر دلالة على تكرير التذكير، وحصول اليأس، فطالما كان الرسول -صلى الله عليه وسلم - يذكرهم ويستفرغ فيهم غاية المجهود، ويتجاوز في الجدِّ كل حد معهود حرصاً على إيمانهم، وما كان يزيد ذلك بعضهم إلا كفراً وعناداً، فلما كان الأمر كذلك خص الله تعالى التذكير بمواد النفع؛ ذلك لأنها الطريق المجدية من تلك العملية، وأسقط ما يدل على غير النافع من التذكير، ولذلك قالفي الآية اللاحقة : (سيذكر من يخشى)، مدخلاً على الفعل (سين الاستقبال)، المشيرة إلى معرفة حصول فائدة التذكير في ذلك الاتجاه قبل حدوثه إيذاناً بالتأكد من تلك الفائدة في جانبها الصحيح، وقد عضد ذلك أيضاً الاختصار اللفظي بإسقاط التاء في فعل التذكير، التي هي من الأصوات الناتجة عن انحباس النفس بين اللسان وسقف الفم، فإسقاطها إسقاط لما يقابل ذلك الانحباس من تأخير في التذكير، تناسبه السرعة التذكيرية في حال تلك الفئة سريعة التذكر، الأمر الذي يدل على التأكد من التذكير في هذا الجانب.

ومن مواطن هذا الحذف أيضاً قوله تعالى : ﴿يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنِ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[3]، فابتداء هذه الآية بحرف الشك

---

(1) سورة الأعلى، الآيتان 9، 10.

(2) البقاعي، نظم الدرر، ج8، ص398.

(3) سورة الأعراف، آية 35.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

(إما)، يوحي بوجود طرفين يشك في اعتماد أحدهما قبل التأكد، فسيكون التقدير: إما يأتينكم رسل... وإما لا يأتينكم، ولكن أي شك في قدوم الرسل المشهود؟ وأي غاية ورائه؟

لعلنا نلحظ أن الآية الكريمة صيغت بأسلوب الشرط المصدر بـ (إن) الشرطية المدغمة بـ (ما) مما يؤكد معنى الشرط، ولذلك لزمت فعلها النون الثقيلة في (يأتينَّكم) وكانت جملة جواب الشرط (فمن اتقى وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون) جملة شرط أخرى، تشترط اتقاء التكذيب وإصلاح العمل في إبعاد الخوف والحزن عن صاحبه، وتقف بدلالتها كنتيجة مباشرة لخيار إرسال الرسل من خلال اتباعها به، وكون الإصلاح والتكذيب ناتجين عن قدوم الرسل ودعوتهم لا محالة، رغم وجود خيار عدم الإرسال المحذوف الذي يسبق هذه الجملة أيضاً، الأمر الذي يشي إلى عدم وجود الخيار الثاني كالنظير المحقق الوقوع إزاء الإرسال، وإنما لمحض الدلالة على وجوده إشعاراً بعدم وجوب الإرسال، مما يشير إلى أن قدوم الرسل –والله أعلم- أمر جائز غ ير واجب عقلاً، ناسب ذلك إسقاط خيار عدم الإرسال والإبقاء على خيار الإرسال مع وجود الشك فيه دلالة على عدم وجوبه، وقد ساعد تلك الدلالة التحديد لمصدر هؤلاء الرسل بقوله : (رسل منكم)، على الرغم من أن مناط الحديث هو بيان قدوم الرسل أو عدمه بصرف النظر عن مصدر الرسل، الأمر الذي يخرج الدلالة عن التأرجح الحقيقي بين الخيارين إلى الإيماء بما ذهبنا إليه، فلو أن المقصود هو الشك الفعلي بين القدوم وعدمه -لما تم تحديد مصدر الرسل، الذي لا يفيد في مدار الحديث.

ويأتي هذا الإسقاط عن طريق الاستفهام فتحذف الجملة الأولى وتبقى الثانية، ومنه قوله تعالى: ﴿أَفَمَن يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾[1]، فالتقديرأفمن يتقي بوجهه سوء العذاب كمن يأتي آمنا؟ ! وقد وقف بسيوني

(1) سورة الزمر، آية 24.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

عبدالفتاح عند هذه الصورة موجهاً الإسقاط لـ غاية تحقير المحذوف [1]، وكانت في رأي مصطفى عبد السلام لدلالة المذكور عليه واكتفاء به[2].

وتعليل الحذف بتلك الغايات التي تكررت إزاء صور هذا الإسقاط في هذا المجال أمر غير مقنع، إذ لا بد من الوصول إلى البعد الدلالي الذي يعين عليه السياق، ففيما يسبق هذه الآية نـ لحظ إسقاطاً آخراً مماثل في حال المؤمنين، فيقول تعالى: ﴿أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ﴾[3]، فالتقدير: أفمن شرح الله صدره للإيمان كمن قفل صدره؟ ! ولكن الإسقاط في هذه الآية كان مختصاً بالكافرين على خلاف السابق المختص بالمؤمنين، مما يجعلنا ننطلق من هذه الزاوية في بيان سر الإسقاط.

والناظر في المقامين بشكل عام يجد أن الثاني يسوق لنا ـ فيما يسبق الآية المذكورة ـ بياناً لأصحاب العقول الخالصة عن شوائب الخلل، سريعي الـ تقصي والانصرام لأحوال الدنيا غير مفتونين بفتنتها، فيقول : ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِأُوْلِي الْأَلْبَابِ﴾[4]، أما المقام الأول، ففيه بيان لمآل أضدادهم الضالين أصحاب مفاتن الدنيا وملذاتها، كما يظهر في آخر الآية (وقيل للظالمين ذوقوا ما كنتم تكسبون)، وبذلك نصل إلى أن المقام الأول عندما كان متحدثاً عمن شرح الله صدره للإيمان تم إظهار هذه الفئة وإضمار غير المهتدين، وكذلك الأمر بالنسبة للمقام الثاني المتحدث عن فئة الضالين، إذ تم إظهارهم وإضمار المهتدين، وذلك زيادة في اختصاص كل منهما بطريقته التي سار عليها دون الآ خر، ولاستبعاد كل منهما عن الآخر بإسقاط نظيره من السياق، مما يشي بسعة المفارقة وشقة التباعد اللذين يتعذر إزاءهما إظهار المقابل لمحال المقارنة.

وقد أشار إلى ذلك ابتدار كل من الآيتين بهمزة الاستفهام في (أفمن) المؤدية غرض إنكار تقارب الفريقين، والتي دخلت عليه ا الفاء لعطفها على جملة مستتبعة

---

(1) فيود، علم المعاني، ص138.
(2) أبو شادي، الحذف البلاغي في القرآن الكريم، ص133.
(3) سورة الزمر، آية 22.
(4) سورة الزمر، آية 21.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لها مقدرة بعد الهمزة، ليتعلق الإنكار بمضمونيهما معاً زيادة فيه، أي : أكــل النــاس سواء فمن يتقي بوجهه سوء العذاب كمن هو آمن؟ !، وقد ضاعف من تلك الدلالــة اختيار أكثر الأعضاء البشرية إحساساً في الموقفين (يتقي بوجهه ــ شــرح قلبــه)، اللذان يُشعر كل منهما في مقامه بقمة ابتعاده عن نقيضه الذي لو ذكر لسـيق معـه العضو الأقل إحساساً.

ومثل ذلك قوله تعالى : ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ﴾[1]*، التقدير: أفمن زين له سوء عمله فرآه حسناً، كمن هـ داه الله؟! وفيه تقرير لما سـبق هذه الآية من التباين البيّن بين عاقبتي فريق الضالين والمهتدين، فيقول تعالى : ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾[2]، وذلك لبيـان تبـاين حاليهما المؤديين إلى تينك العاقبتين المتعاكستين، اللتين تنافر كل منهمـا الأخـرى، الأمر الذي كان داعياً لإسقاط أحدهما من السياق.

7.2.4.3 حذف جملة السبب:

ومن مواطنه قوله تعالى : ﴿قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُم مِّنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ﴾[3]، فالقدوم ليس سبباً لهدم البنيان، فلا بد من تقدير سبب آخر، مثل : فضعضعها، فخر عليهم.

وفي الآية الكريمة شبهت أحوال الماكرين في تسويتهم المكايد والمنصـوبات التي أرادوا بها الإيقاع بالرسل، وفي إبطاله تعالى تلك الحيل والمكايد، وجعله إياها أسباباً لهلاكهم بحال قوم بنوا بنياناً وعمَّدوه بالأساطين، فأُتي ذلك من قبل أسـاطينه بأن ضُعْضِعَت، فسقط عليهم السقف، فهلكوا، ولكن الضعضعة لم تظهر في السياق، وأنزل مكانها قدوم أمره تعالى سبباً في التهدم، وكأنه حدث بدون ضعضعة سـابقة،

([1]) سورة فاطر، 8.

* انظر شاهدين آخرين، طه، آية123، محمد، آية15.

([2]) سورة فاطر، آية 7.

([3]) سورة النحل، آية 26.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

وفي إسقاط هذه المفردة إسقاط لعنصر زمني تتأرجح أثناءه عملية التهدم، التي تقابل ذلك التأرجح اللفظي في تكرار بعض أصوات المفردة (ضعـــ - ضعت)، ليعبر عن عدم المهادنة في اتخاذ قرار الإهلاك، وتعاظم السرعة في إجراء عملية الهدم إلى أن صارت إلى درجة كاد عندها تزامن الهدم مع الضعضعة، الأمر الذي أشار إليه إنزال الهدم منزلة الضعضعة وعطفه على قدوم أمره تعالى، مما يشعر بكفاية صدور الأمر لحصول التهدم بصرف النظر عن تلك الأعمال المسببة التي لا تناسب السرعة العظيمة في تنفيذ أوامره تعالى، الأمر الذي كان مناسباً إزاء هذه الفئة رة بالطيكيق التهكم، ولا سيما بقولهم فيما يسبق هذه الآية عن آياته تعالى: ﴿أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ﴾[1].

وقد عضد ذلك إسقاط أمره تعالى في (أتى الله)، وكذلك إسقاط حرف الجر (على) قبل (بنيانهم)، وفي ذلك إزاحة للتراخي الزمني غير المناسب لغاية سرعة التنفيذ وعدم إمهال هذه الفئة، ولعل ذلك سببٌ في رفع (السقف) في موطن النصب لوقوعه مفعولاً به، إذ في إجراء الفاعل مجرى المفعول به إشعار بتسارع حدثي وصل إلى درجة حلول المأمور به موطن الآمر المسبب له، وكأنه قد زامنه.

ومن تلك المواطن قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجاً﴾[2]، فالتقدير: يوم ينفخ في الصور، فتبعثون من القبور، فتأتون أفواجاً، وقد أشار أبو السعود إلى أن جملة (فتأتون) تفصح عن المحذوف ثقة بدلالة الحال عليها[3].

ولا خلاف في دلالة الحال على المحذوف، وإلا كيف سيتم تحديده لولا تلك الدلالة؟! لكن الاقتصار عليه في بيان غاية المحذوف أمر لا يناسب السياق، فلا بد من البحث عن غاية تناسب البعد الدلالي الذي يعين عليه السياق.

ولو وسعنا دائرة النظر في تلك الآية إلى المشهد الذي سيقت فيه وهو: ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجاً ، وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَاباً ،وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَاباً﴾[1]، لوجدنا

([1]) سورة النحل، آية 24.

([2]) سورة النبأ، آية 18.

([3]) أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج6، ص358.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

نوعاً من التسارع في حدوث تلك الأهوال، يمثله تتابع الإسقاط في تلك الآيات، ففي الآية الأولى تم إسقاط الفعل العامل في الظرف (يوم)، وفاعل (ينفخ)، وإسقاط السبب الذي نحن بصدده، وفي الثا نية أسقط المضاف قبل (أبواب)، أي: ذات أبواب، وفي الثالثة أسقط (مثل) قبل سراباً، الأمر الذي يوحي بمبالغة تتجاوز كل حد في حدوث الأفعال في الآيات (ينفخ – فتحت – سيرت) حتى تحولت السماء إزاء مبالغة الفتح إلى أبواب وليس ذات أبواب، والجبال إزاء مبالغة التسيير إلى سراب وليست مثل السراب، وقد ساعد تلك الدلالة سوق الأفعال المؤجل حدوثها بصيغة الماضي (فتحت -سيرت)، إشعاراً بالتقاصر الزمني أمام المبالغة في التسارع الحدثي الذي كان بمعيته القدوم التابع بشكل مباشر للنفخ من المحاور الرئيسة في تلك المبالغة في سرعة القدوم. التي آلت إلى درجة تزامن فيها الخروج من القبور مع القدوم للقاء الأخير، أشار إلى ذلك عطف القدوم مباشرة على الخروج، الأمر الذي يشي إلى شدة هول المقام الذي يدفعهم إلى الهروب فور الخروج من القبور، وكأنهم لم يلبثوا في مرقدهم غير أمد قصير وقد ضاعف من تلك الدلالة التحو ل عن صيغة المبني للمجهول (ينفخ) إلى صيغة المبني للمعلوم (تأتون) المؤكد لهول المقام بالنسبة للآتي وليس للنافخ.

8.2.4.3 حذف جملة المسبب:

ومن مواطنه قوله تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُوا وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾(2)، فاللام متعلقة بمحذوف مؤخر كأنه قيل : وليوفيهم أعمالهم قدر الأجزية على مقادير الجزاء. وفي توجيه هذا الإسقاط بيَّن بعض المفسرين أنه لدلالة الكلام عليه(3).

ولا نحسب أن الكلام المتضمن لاختلاف الناس في مراتب الأجزية حسب مقادير منظمة لا يدل على المحذوف المحقق للأمر نفسهبل إن قوله تعالى : (لكل درجات ما عملوا) يكاد أن يكون المحذوف نفسه فيما لو سارت الجملة دون الفصل

---

(1) سورة النبأ، الآيات 18 -20.

(2) سورة الأحقاف، آية 19.

(3) الزمخشري، الكشاف، ج4، ص304؛ الرازي، التفسير الكبير، ج28، ص25.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

بواو العطف قبل (ليوفيهم)، وذلك لمماثلته للمحذوف في الدلالة على مساواة الجزاء للعمل، ولعل في ذلك مدعاة للتساؤل عن سبب عدم الاكتفاء بهـذه الجملـة معلـلاً بـ(ليوفيهم)، دون الإشارة للمحذوف فقد كان من الممكن أن يأتي السـياق اعتمـاداً على تلك المماثلة كالآتي (ولكل درجات مما عملوا ليوفيهم أعمالهم ...) دون أن تذكر الواو، نريد أن نقول : لقد تمت الإشارة إلى مسبب محذوف مع مماثلته مـا يسـبق السبب تأكيداً لذات السبب الذي هو مناط عملية إحصاء الأعمال وتقدير أجزيتها على مقاديرها؛ لذلك أتبعه بقولـه (وهم لا يظلمون) المؤكد للاهتمـام بمسـاواة العمـل للجزاء، وقد أشار إلى ذلك إسقاط لفظ في موضعين في تلك الآية، فالتقدير : لكل درجات من أجزية ما عملوا، وليوفيهم الله أجزية أعمالهم، فإن الدرجات من أجزيـة الأعمال وليس من الأعمال ذاتها وكذلك الوفاء بها، الأمر الذي يضاعف الدلالة على مساواة العمل للجزاء بحالة جاز فيها وضع الجزاء موطن العمل إشـعاراً بتسـاوي مقداريهما بدقة بالغة تؤخذ فيها الفروق الفردية بعين الاعتبار؛ من خلال ما نلحـظ من تعدد الدرجات للفرد، إزاء تعدد مستويات أعماله فقال : (ولكل درجـات) ولـيس (لكل درجة).

ومن مواطن هذا الحذف أيضاً قوله تعالى : ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُم﴾[1]، فاللام في (ليحملوا) متعلقـة بمحذوف تقديره: قالوا ما قالوا ليحملوا، وقد دل عليه ما سبقه، ومع تلك الدلالة فإن وراء هذا الإسقاط سر مختص بتعدي مقالهم (أساطير الأولين) حدود القول وإضلال النفس إلى الاقتناع الفعلي وإضلال غيرهم، فإشهارهم بذلك المقال الموحي بالسخرية المفرطة، لإضلال الناس، وإقناعهم بمحال الإنزال، لذلك جـاء جـزاؤهم بحملهـم أوزارهم ومن أوزار من أضلوا، ولكن ما علاقة ذلك بالإسقاط؟

لو ظهر المسبب المحذوف المقدر بـ (قالوا ما قـالوا) لكـان فـي السـبب المتضمن لحمل الوزرين جزاء مقتصراً على حدود القول دون إضلال الآخرين، فتم إسقاطه؛ لئلا يظن أحد أن حمل أوزار الآخرين جزاء لمحض ذلك القول، أشار إلى

(1) سورة النحل، الآيتان 24، 25.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

ذلك سوق الإضلال بصيغة الاستقبال (يضلونهم) الدالة على استمرار الإضلال، الأمر الذي يشي إلى تعدي إجابتهم حدود الرد على السؤال لتصل إلى قصد الإضلال المستمر، الذي يحتاج تكرار ذلك المقال لكثير من الناس.

9.2.4.3 حذف جملة المعطوف عليه:

ومن مواطنه قوله تعالى : ﴿وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾[1]، فالواو في (وخاب) دل على معطوف عليه محذوف تقديره : فنصروا وخاب...، والآية الكريمة مسوقة لبيان نصرته تعالى لرسله سائليه الفتح، وخيبة كلّ عاتٍ متكبر عليهم بتلك النصرة، ولكن أسقطت نصرتهم من السياق زيادة في تحققها ورفعاً للشك بها، وذلك كقولك استفسرت المحامي عن القضية صارفاً لسانك عن قول : ففسرها لي، لتيقن السامع من تفسيره إليك مجرد سماعه القول الأول، أشار إلى ذلك سوق عدم استفتاح الكفار بالخيبة الدالة على مطلق الحرمان من المطلوب المؤكد حصوله لديهم، لكونهم يزعمون أنهم على الحق بعنادهم وجبروتهم، فلما كانت نصرة الرسل حادثة لا محالة تم الاستغناء عما كان كإجابة لحدوثها، والاقتصار على الاستفتاح المساق بلفظ الجمع المؤكد لذلك الحدوث بشموله لجميع الرسل، ولما استحالت نصرة الكفار المرجوة باعتقادهم سيق محالها بالخيبة المسندة إلى كل منهم مبالغة في تلك الاستحالة، أشار إلى ثبوت نصرة الرسل على أعدائهم ذلك الانتقال المباشر من طلبهم الفتح إلى خيبة الكافرين، إشعاراً بثبوت نصرتهم إزاء خيبة أعدائهم، إضافة إلى أنه عندما كان ذكر الخيبة دالاً على عدم الاستفتاح في حال الكافرين، فإن ذكر الاستفتاح كان دالاً على النصرة في حال الرسل.

ومن تلك المواطن أيضاً قوله تعالى: ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ فَنَذَرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾[2]، (فنذر) معطوف على محذوف تقديره: ولكن نمهلهم فنذر.

---

(1) سورة إبراهيم، آية 15.

(2) سورة يونس، آية 11.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

والآية الكريمة مسوقة لبيان استعجال الذين لا يرجون لقاء الله تعالى بما وعدوا به من العذاب، ولـ كنهم أوردوا في بداية الآية باسم الجنس (الناس) الذي يجمع راجين اللقاء وغير الراجين؛ ذلك لأن تعجيل الخير لهم ليس دائراً على وصفهم المذكور، ثم أوردوا عند بيان إمهال أجلهم بالموصول المقتصر على عدم رجاء اللقاء رغم تعدي طغيانهم إلى إنكار البعث والجزاء وما يتفرع عن ذلك من أعمالهم السيئة ومقالاتهم الشنيعة، الأمر الذي يشعر بعلية ترك تعجيل العذاب واستدراجه، حيث إن وصفهم بعدم رجاء اللقاء دون صفاتهم السيئة الأخرى بعد ورودهم باسم الجنس (الناس) إشارة لقيمة إمهاله تعالى لأجلهم إزاء استعجالهم العذاب، ولذلك تم إظهارهم في مو ضع الإضمار بذلك الموصول، الأمر الذي لو تم معه ذكر المحذوف لكان السياق كالآتي : لقضي إليهم أجلهم ولكن نمهلهم، فنذر الذين لا يرجون لقاءنا...، والذي به يعود ضمير الممهلين على الناس في بداية الآية، مما يجعل منكري لقاء الله غير الممهلين، ولكن الإسقاط كان بمثابة الرابط بين الناس والممهلين.

ومن هذا الحذف ما يأتي في سياق الاستفهام مثل قوله تعالى : ﴿أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ، إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾(1)*، والتقدير: أنحن مخلدون فما نحن بميتين؟! وهذا كلام أحد أصحاب الجنة لجلسائه فيها تـ بجحاً وابتهاجاً بما أتاح الله لهم من الفضل العظيم والنعيم المقيم، جاء في سياق الاستفهام التعجبي ﴿أفما نحن بميتين؟ !﴾ من عدم وجود الموت غير الموتة الأولى، مسقطاً منه الخلود المندرج في سلك ذلك التعجب، ومثل هذا التعجب الصادر عن الفئة التي أيقنت بعدم تكرار المو ت في حياتها الدنيا ما يدل على أنهم يبعثون يوم القيامة لا يعلمون أنهم لا يموتون من فرط ابتهاجهم وتعجبهم مما سيؤولون إليه؛ وكأن لديهم الشك بوجود الموت الآخر، وقطع يوم القيامة بعدم الوجود، فجاء السياق مظهراً نفي الموت ومسقطاً تأكيد الخلود؛ لأن غايتهم الخلاص من الموت نفسه، التي ناسبها تعدي المتحدث عن الابتهاج بالخلود متعجباً بالانتهاء

---

(1) سورة الصافات، الآيتان 58، 59.

*انظر شواهد أخرى، إبراهيم، آية 16 الشعراء، آية 102 القصص، آية 75 فاطر، آية 36 الزمر، آية 24، محمد، آية15، القارعة، آية9.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

من الموت؛ لأنه مناط اهتمامه، ومؤرق فرحه بعد رؤيته الأهوال العظام، أشار إلى ذلك تعجبه أولاً من انتفاء الموت (أفما نحن بميتين؟)، ثم من انتفاء العذاب (وما نحن بمعذَّبين؟) لما امتلأت به نفسه من الهوان العظيم الذي احتاج تفريغه بفرحة عدم الموت التي تمثل المؤرق الأكبر، ثم ما يتبعها من الكرامات الأخرى.

ولم يقف ذلك الإبهام لديهم بسبب شدّة الفرح عند هذا الحد، بل تعدى ذلك ليصل شكّهم في خلاصهم من العذاب على الرغم من أعمالهم الحسنة المقدمة (وما نحن بمعذَّبين؟).

10.2.4.3 حذف جملة المعطوف:

ومن مواطنه قوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ﴾[1]، والتقدير وعدكم وعد الحق فصدقكم . وذلك من كلام الشيطان لمتبعيه يوم القيامة يفصح فيه عن إغوائه لهم بوعده الباطل، في حين إن الله تعالى وعدهم وعد الحق فوفى ذلك.

ولعلنا نلحظ أنه تم إضمار صدق وعده تعالى، وإظهار إخلاف الشيطان ما وعد به، وحذف الأول لدلالة تلك الحالة على صدق ذلك الوعد؛ لأن متبعي الشيطان كانوا يشاهدونها وليس وراء العيان بيان؛ ولأنه ذكر في وعد الشيطان الإخلاف فدل على الصدق في وعد الله تعالى، يعضد ذلك إظهار ما وصف به وعده تعالى من الحق الذي كان داعياً لصدق الوعد السابق لوعد الشيطان، عرضاً وإيفاءً وظهوراً في السياق، فغالباً ما يتقدم الخيار الإيجابي على نظيره السلبي في السياق، وذلك كقولك لابنك: عاملتك باللين فاعتزلت، وقسوت عليك فاعتدلت، فالخير سابق الشر؛ فتقديم وعده تعالى أمر يزيد صدقه وضوحاً، مما يسوّغ الاستغناء عنه في السياق، لذلك حذف مفعول (أخلفتكم) المقدَّر بـ: (موعدي)، والذي يوحي باختصاص الشيطان بالإخلاف في ذلك الوعد وغيره، بخلافه من الله عز وجل -تعالى على أن يكون مقابلاً له إلا عند إيراد شدة المفارقة وعدم المقاربة - الذي تم معه إسقاط ما

(1) سورة إبراهيم، آية 22.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

يدل على إيفاء الوعد المذكور إشعاراً باختصاصه بالوفاء إزاء الوعود كلها، الأمر الذي ضاعف وضوح الدلالة على إيفاء وعده تعالى في السياق، فتم إسقاطه، وأظهر الثاني (خلاف وعد الشيطان)؛ لأنه ما يزال في طور الإخبار لهؤلاء المتبعين، فما زالوا ينتظرون إيفاء ذلك الوعد غير مشاهدين ما يوحي بصدقه، إلى أن صرَّح صاحبه بإخلافه.

ومن تلك المواطن قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ﴾(1)*، أي: جاءت ولم نصدقهم.

وذلك من مقال الكافرين يوم القيامة عند معاينة ما جاءت به الرسل، وشهود ما وعدوا به عياناً، معترفين بقدوم الرسل بالحق ومصدقين بصحة ما دعوا له، وقد ابتدأ مقالهم هذا بحرف التحقيق (قد) الموحي بذلك التثبت بعد طول الإعراض عن سماع آياته تعالى، وتكذيب رسله، والاستهانة بحقيقة إرسالهم، ومن ثم يكون التصديق بعد الوقوف على وقائع الأمور وحقائقها بما يقدمه المثال من وصفهم لدعوة الرسل بالحق بعد إبطالها، واعتراف برب العباد يبينه لفظه الجليل المضاف لتلك الفئة (ربنا) بعد الإنكار، وبذا لما كانت العبارة مسوقة لإيصال تحققهم بعد عنادهم، وتصديقهم بعد تكذيبهم -كان الداعي لذكر ما يدل على تكذيبهم الرسل في هذا الموطن ضعيفاً، فتم الاستغناء عنه، إضافة إلى أن التكذيب واضحٌ جليٌّ في ثنايا السياق غير محتاج لبصر عين نافذ.

3.4.3 حذف أكثر من جملة (التركيب):

وهو إسقاط أكثر من جملة من الكلام في موطن واحد، الأمر الذي يحد من ظهوره في السياق بسبب استطالة المحذوف التي تودي بعدة جمل مسببة اقتطاع طويل في التعبير يؤثر على الإفهام*، إضافة إلى احتياجه إلى إشارات تدل عليه أكثر من غيره لطول المحذوف، الأمر الذي يحد من حدوثه، ومن مواطنه قوله

(1) سورة الأعراف، آية 53.

* انظر شواهد أخرى، الأعراف، آية39، إبراهيم، آية15، الشعراء، آية102، القصص، آية75.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

تعالى: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ﴾[1]، والتقدير: أجميع البشر سواء، فمن هو خالد في ملذات الجنة ونعيمها كمن هو خالد في النار؟! وكان ذلك في رأي البقاعي؛ لأن السياق مرشد لهذا الإسقاط[2].

ولا نقف عند هذه الغاية التي تكررت إزاء كثير من صور الإسقاط دون ربطها بالسياق، والذي نراه في ذلك يتضح بما يلي:

لعلنا نلحظ فيما يسبق هذه الآية في قوله تعالى : ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ كَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ﴾[3]،تقرير لتباين حالي فريقي المؤمنين والكافرين بكون الأولين في أعلى عليين والآخرين في أسفل سافلين، وبيان لعلّة ما لكل منهما من الحال، من خلال ما نلحظه من ذلك الإنكار بالهمزة المتبوعة بالموصول الدالّ على فئة المؤمنين الذي يزيد الشقة والتباعد بين الحالين بتقدمه في تلك الموازنة على الطرف الآخر، وفي الآية التي نحن بصددها نلحظ الموازنة نفسها بين مآل كل من الفريقين، ولكن بإسقاط الطرف الأول المتضمن لإنكار التقارب وزيادة التباعد، وفي ذلك تصويرٌ لمكابرة من يسوي بين المتمسك بالبينة وبين التابع للهوى في الموازنة الأولى بمكابرة من سوى بين الجنة الموصوفة بما فصل من الصفات الجليلة وبين النار، الأمر الذي كان معه إسقاط المتنعم في تلك الصفات المذكورة مشيراً إلى انتفاء تلك التسوية وشدة الابتعاد بين طرفيها، حتى وصلت استحالة الموازنة بينهما إلى درجة لا يسمح عندها بالتقابل ولو في معرض بيان شدة التباعد.

---

* نقصد بذلك أن وجود هذه الإسقاط في السياق مسبب لقلة الإفهام في التعبير في شتى مواطنه، وإنما إيقاعه يؤدي إلى ذلك في بعض المواطن التي يتعذر فيها إجراء ذلك القطع الكبير في تراكيب الكلام، لإحداثه فاصلاً طويلاً يبعد طرفي الكلام عن بعضهما معنوياً.

(1) سورة محمد، آية 15.

(2) البقاعي، نظم الدرر، ج7، ص161.

(3) سورة محمد، آية 14.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

ويؤدي حذف التركيب غاية تأكيد إنكار الكافرين وغلوهم في الاستكبار، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُم بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ﴾(1)*، فالتقدير: ولو يعجل الله الناس الشر عند استعجالهم به تعجيلا كتعجيله لهم الخير عند استعجالهم به لقضي إليهم أجلهم.

أشير في الآية الكريمة إلى إحدى عظائم معاصي الكافرين المتفرعة وهي استعجالهم بما أوعدوا به من العذاب تكذيباً واستهزاءً به، ورُدَّ ذلك الاستهزاء ببيان عاقبة الاستعجال المؤدية لإهلاكهم في طرفة عين (لقضي إليهم أجلهم) في حال تحقق المشيئة بصدور التعجيل، وقد مُثِّل تعجيله تعالى للشر عند استعجالهم به بتعجيله للخير عند استعجالهم به، إلا أنه تم إسقاط استعجالهم بالشر من المشبه، وتعجيله للخير من المشبه به، ومقابلة تعجيله بالشر باستعجالهم بالخير في سياق الشرط (ولو يعجل) الذي يوحي بعدم حدوث التعجيل لاستمرار عدم المشيئة، أشار إلى ذلك سوق التعجيل بصيغة المضارع المسبوقة بحرف الشرط في ذلك الموطن الدال على المضي، وذلك يشير إلى استمرار عدم تحقيق التعجيل، ويدل بدوره على إبطال التشبيه بين الطرفين لعدم تحقق مضمون المشبه (التعجيل)، مما يدل على عدم مماثلة تعجيله تعالى للشر باستعجالهم بالخير، لعدم تحققه أصلاً حتى يتسنى له بلوغ درجة استعجالهم بالخير، وقد عضد ذلك إسقاط تعجيله تعالى للخير وإنزال استعجالهم به منزلته، الأمر الذي ينفي بدوره مماثلة تعجيله تعالى للخير بتعجيله للشر، ويدل على سرعة استجابته تعالى لاستعجالهم بالخير، حتى كان استعجالهم به نفس تعجيله له، لحلول استعجالهم به مكان تعجيله به بسبب الحذف، مما يضاعف جرمهم في جنب رحمته تعالى، بكون تعجيله للشر لا يمكن يربو إلى درجة استعجالهم الحقيقي بالخير، ولعل ذلك السبب في إسقاط أداة التشبيه، والذي به إسقاط لذلك التشبيه، الأمر الذي كان داعياً لإسقاط استعجالهم بالشر في المشبه، وتعجيله تعالى للخير في المشبه به، للإيذان بكمال المماثلة بينهما التي لا تتحقق في حال

---

(1) سورة يونس، آية 11.

* انظر شاهد آخر، هود، آية 102.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

ذكرهما في ذلك السياق المبطل لتماثل طرفي التشبيه، وذلك لمضاعفة إنكار هذه الفئة بجعل استعجالهم بالشر وصل إلى درجة تساوى عندها مع تعجيله تعالى للخير.

5.3 الخاتمة

أحمد الله سبحانه وتعالى الذي أعانني على اجتياز هذا الموضوع، ولعل أهم ما انتهيت إليه ما يلي:

1. أبرز البحث أهمية كل من ظاهرتي الالتفات والحذف في تأدية كل منهما أسرار وغايات تقترب من المعنى أحياناً، وتبتعد عنه أحياناً أخرى.
2. كشف البحث عن جهود أصحاب النظر من بلاغيين، ومفسرين إزاء هاتين الظاهرتين، التي اقتصرت على التمثيل عليهما في أغلب الأحيان، وتعدّي ذلك إلى غاياتٍ بسيطة تكاد تكون معدودة –عند بعضهم-، ومقتصرة على بعضها المتكرر، كغاية الاختصار التي نرى أن وجودها إن جاز أن يكون هدفاً في بعض الأساليب التي بها بسط وتفصيل، فلا ينبغي أن يكون الهدف الشائع في غيرها، فالقرآن الكريم مليء بالأساليب الموجزة غاية الإيجاز دون أن يُتوصّل بها إلى الحذف.
3. رغم سيطرة موضوعات يوم القيامة على تلك الآيات، إلا أن ظاهرتي الالتفات والحذف قد خرجتا أحياناً كثيرة لتؤديا غايات تتعدّى ما يناسب تلك الموضوعات من وعيد، وتهديد، وتوبيخ، وتهويل، وتكريم، وتعظيم ...، فكان من هذه الغايات ما يختص بطبيعة الكون والإنسان واللغة، الأمر الذي يدل على أن القرآن الكريم لم يحد من دلالاته ومعانيه، بل حوى ظلالاً دلالية كثيرة ومتشعبة، بكل من ألفاظه، وأساليبه، وتراكيبه.

إلاّ أن ظاهرة الحذف كانت أقرب لتأدية غايات الوعيد، والتهديد ... السابقة الذكر من ظاهرة الالتفات، وذلك لارتباط تلك الغايات بالمشاعر والأحاسيس التي تُؤدَّى بالصمت وتتسع أكثر من الذكر، لسبب عدم التحديد الذي يؤديه الحذف، حيث يُطلق استشعار الدلالة به، ليشمل ما يحتضره خيال القارئ

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

وما لا يحتضره، وبالذكر يُحصر بما يُذكر، إضافة إلى أن ذلك يُترك دون الذكر لاستشعاره لا تلقيه بالكلام، وفي ذلك فرق بيِّن.

4. لاحظ الباحث اطِّراد الالتفات بين الغيبة والخطاب، والإفراد والجمع، والمعلوم والمجهول؛ وقلته بين التثنية والجمع، والتثنية والإفراد، وبين الأدوات، وانعدامه بين التكلم والخطاب، وبعبارة أخرى فإن الالتفات يكثر في التَّحول بين طرفين يُشكل كل منهما مقابلاً للآخر، أو يبتعد عنه أكثر مما يبتعد عن الأطراف الأخرى في مجال المخالفة ذاته، حيث يزداد بين الإفراد ومقابله البعيد وهو الجمع، ويقل بين الإفراد ولصيقه -الذي يعد أقرب إليه من الجمع - وهو التثنية، ولعل مردّ ذلك لطبيعة موضوعات يوم القيامة التي كثر فيها بيان شدة التباعد بين الكثير من الأمور المتقابلة: جنة - نار، مؤمنين - كافرين، ثواب - عقاب،... حتى كان التباعد في الأمر ذاته بين طرفين مختلفين، كالصراط الذي يكون يسيراً مع المؤمنين، وعسيراً مع الكافرين، وكذلك الحشر، والحساب، وغيرها...، ويدل على ذلك ما لحظناه في بعض المواطن من تزامن الالتفات بين تلك المجالات التي تباعدت بعض الأطراف فيها، كتزامنه بين الغيبة والخطاب، وبين الإفراد والجمع.

5. لاحظ الباحث اطِّراد الحذف في المبتدأ والمضاف والموصوف، وقلته في الخبر والمضاف إليه والصفة، وندرته في حذف التركيب، وقد يُعزى ذلك لأسباب تختص بطبيعة المحذوف، ووظيفته التي يؤديها في تمام المعنى، وعلاقته بمتمِّمه في التركيب، وأسباب تتعلق بموضوعات عينة الدراسة.

فبالنظر إلى كثير مما قل فيه الحذف نجد أنه يرتبط بسابقه الذي اطرد فيه الحذف بعلاقة تمامه لمعناه، فالمضاف إليه يُتمِّم معنى المضاف، والصفة تُتَمِّم معنى الموصوف..، فكانت زيادة الحذف في المُتَمَّم وقلته في المُتَمِّم لما لِمُتَمِّم المعنى من أهمية في وصوله وبلوغه إلى الأفهام لا يُستغنى عنها في إزاء مُبتدئه، ويعضد ذلك كون طبيعة موضوعات ذلك اليوم تجعل الاهتمام بالنتائج أكثر من المقدمات والوسائل، فتُجلَب فيه القلوب والأنظار تجاه نتيجة وزن الأعمال لا وسيلتها، ونتيجة الحشر لا كيفيته، وغيرها من الأمور التي يكتنفها عالم الغيب حتى حدوثها.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

أما حذف التركيب الذي جاء نادراً - فهو من الحذوفات الطويلة التي تُؤدي لقطع طويل في ثنايا التركيب والمعنى، حيث يكون فاصلاً بين طرفي الكلام اللـذين حذف ما بينهما، يؤثر على الإفهام ووصول المعنى، فيندر حذفه.

6. توصلت الدراسة بعد استقصاء وقفات البلاغيين والمفسرين إزاء ظـاهرة الالتفات، إلى أن الزمخشري أول من تنبه إلى أسـرار الالتفـات -بشـكل ظاهر - وأفاض في الحديث عن سحره، وكشف عمّا تزخر به مـن إيمـاء وإيحاء، وذلك بحكم و قفاته المستفيضة إزاء شواهدها مقارنة مع معاصـريه وسابقيه، وكان عبدالقاهر الجُرجاني المماثل له فـي كشـف قنـاع دلالات الحذف، حيث فتح باباً سار عليه تابعوه بلاغيون، ومفسرون، كالزمخشـري وأبي السعود، وإن كان قد اقتصر على حذف المبتدأ، والخبر، والمفعول به.

7من خلال الغ ايات التي تم الوصول إليها، والأبعاد الدلالية التي تكشفت عـن تلك الظاهرتين، تم تأكيد كون هاتان المخالفتان وسـيلتين لتكثيـف الدلالـة، وامتلاء المبنى، وتقوية حيك العبارة، لا لإمتاع السامع فقط، وتطرية نشاطه، وتنبيه استماعه كما أورد البعض في فائدة الالتفات -، ذلك إننا لا نتحدث في هاتين الظاهرتين عن التغيير، وإنما عن المخالفة التي لا يُشَكُّ فـي أسـبابها المتعددة، التي تُخرج أيضاً ظاهرة الحذف من الاقتصار على غايـة تقليـل الكلام التي أوردها البعض.

ونحن بذلك لا نخالف تلك الغايتين اللتين أوردهما بعض البلاغيـين، ولا سيما إمتاع السامع وتنبيه استماعه، حيث لا يخفى ما في القـرآن مـن هـدف تربوي ينبه المتلقي قراءة واستماعاً، ويجعله إيجابياً في بحثه عـن المحـذوف وتعليله الالتفات، وإنما نضعهما إلى جانب ما تم التوصل إليه من غايات، فتتعدد بذلك دالَّة على أن المخالفة في هاتين الظاهرتين ليست خ طأ في السـياق يجـب استبعاده كما قد يُنظَر لها -، وإنما هي خروج على ما يقتضي السـياق، ولـو كانت كذلك لاستبعدها القرآن، وهو سيّد اللغات وأفصحها.

8. توصلت الدراسة إلى أن الالتفات لا يقف عند حدود المجالات التي أشار إليها البلاغيون والمفسرون، ولا حتى ما أوردناه في هذه الدراسـة، وإنمـا هـو

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

يتضمن كل تحول في الأسلوب، سواء أكان في الجوانب النوعية أم اللفظية؛ وذلك لأن الظاهرة تدل في عمومها على الانتقال والتحول عـن المعـروف، دون حصر ذلك في جوانب محددة، إذ إن الذي يجعل الانتقال من الغيبة إلى الخطاب التفاتاً لكونه تحولاً على خلاف ظ اهر سوق الكلام يجعل انتقالاً آخر التفاتاً في حال خروجه عن ظاهر الكلام، وإذا كانت الدراسة قـد اقتصـرت على تلك المجالات المدروسة -فإن ذلك ليس لعدم وجـود غيرهـا ضـمن ظاهرة الالتفات، وإنما لاقتصار مشاهد القيامة على تلك المجالات.

9. لقد اختلف العلماء في تقدير المحذوف، ويدل ذلك على أن الحذف يدخل فـي باب الاجتهاد، الذي يرتبط بدوره بما يتكشف من أسرار القـرآن فـي كـل زمان، لذا نرى أن الحذف في القرآن سيظل الباب البكر الـذي يجـد فيـه الباحث في كل زمان من الجديد بقدر توفيق الله إياه.

"وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ"

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

المراجع

ابن أبي الإصبع، أبو محمد زكي الدين عبد العظيم بن عبدالواحد . (654هـ-1256م). (د.ت). **بديع القرآن** تحقيق محمد شرف، (د.ط)، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، مصر.

ابن أبي شيبة، أبو بكر عبدالله بن محمد . (ت235هـ-849م). 1409هـ-1988م. **المصنف**، تحقيق كمال يوسف الحوت، ط1.

ابن الأثير، أبو الفتح نصر الله بن محمد بن محمد. (ت637هـ-1239م). (د.ت). **كفاية الطالب في نقد كلام الشاعر والكاتب**، تحقيق نوري القيسي وآخرين، (د.ط)، دار الكتب العلمية، الموصل، العراق.

ابن الأثير، أبو الفتح نصرالله بن محمد بن محمد . (ت637هـ-1239م). 1358هـ- 1939م. **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر**، تحقيق محمد محيي الدين، (د.ط)، مكتبة الحلبي، مصر.

ابن المعتز، أبو العباس عبدالله بن محمد . (ت296هـ-911م). 1410هـ-1990م. **البديع**. تقديم وشرح وتحقيق محمد عبدالمنعم خفاجي، ط1، دار الجيل، بيروت، لبنان.

ابن تيمية، أبو العباس تقي الدين أحمد بن عبدالحليم . (ت728هـ-1327م). 1421هـ-2000م. **مجموع فتاوي شيخ الإسلام أحمد بن تيمية**، تحقيق مصطفى عبدالقادر عطا، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

ابن جني، أبو فتح عثمان بن جني . (392هـ-1001م). 1407هـ-1987م. **الخصائص**، تحقيق محمد علي النجار، ط3، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر.

ابن حُجَّة الحموي، أبو بكر علي بن عبدالله . (ت837هـ-1433م). 1412هـ-1991م. **خزانة الأدب وغاية الإرب**، (د.ط)، شرح عصام شعيتو، ط2، دار ومكتبة الهلال، بيروت، لبنان.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

PDF Complete
Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages

ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد . (ت456هـ-1063م). 1403هـ-1983م. راجعه لجنة من العلماء بإشراف الناشر، (د.ط)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

ابن حنبل، أبو عبدالله أحمد بن حنبل. (ت241هـ-855م). 1419هـ-1998م. **مسند أحمد بن حنبل**، (د.ط)، بيت الأفكار الدولية، الرياض، السعودية.

بن راهويه، أبو يعقوب إسحاق بن مخلد الحنظلي . (ت230هـ-853م). 1412هـ-1991م**مسند إسحاق بن راهويه** ، تحقيق عبدالغفور عبدالحق البلّوشي، ط1، المدينة المنورة، السعودية، ج1، ص86.

ابن رشد، أبو الوليد محمد بن أحمد . (ت595هـ-1198م). 1419هـ-1998م. **تهافت التهافت انتصاراً للروح العلمية وتأسيساً لأخلاقيات الحوار**، مدخل ومقدمة تحليلية وشروح محمد عابد الجابري، ط 1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان.

ابن رشيق، أبو علي الحسن بن رشيق. (ت456هـ-1063م). 1408هـ- 1988م. **العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده**، تحقيق محمد قرقزان، ط 1، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

ابن عباس، أبو العباس عبدالله بن عباس . (ت68هـ-687م). 1421هـ-2000م. تنوير**المقباس من تفسير ابن عباس** ، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

ابن قتيبة، عبدالله بن مسلم . (ت276هـ-889م). 1401هـ-1981م. **تأويل مشكل القرآن**شرحه ونشره السيد أحمد صقرا، ط 3، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

ابن قتيبة، عبدالله بن مسلم . (ت276هـ-889م). 1410هـ-1989م. **تأويل مشكل القرآن**إعداد ودراسة عمر محمد سعيد، ط 1، مركز الأهرام، القاهرة، مصر.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

ابن كثير، أبو الفداء اسماعيل بن كثير الدمشقي . (ت774هـ-1372م). 1415هـ-1995م.**تفسير القرآن العظيم** أشرف على تصحيحه علي شيري، ط 1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

ابن مالك، جمال الدين محمد بن عبدالله. (ت672هـ-1273م). 1410هـ-1990م. **شرح التسهيل**، تحقيق عبدالرحمن السيد وآخرين، ط1، دار هجر، مصر.

ابن معصوم، علي صدر الدين المدني. (ت1120هـ-1708م). 1388هـ-1968م**أنوار الربيع في أنواع البديع** ، حقّقه وترجم لشعرائه، شاكر هادي شكر، ط1، مكتبة العرفان، كربلاء، العراق.

ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد . (ت711هـ-1311م). (د.ت). **لسان العرب المحيط**إعداد وتصنيف يوسف الخيَّاط، (د.ط)،دار لسان ا لعرب، بيروت، لبنان.

ابن منقذ، أبو الحارث أسامة بن مرشد بن علي. (ت584هـ-1188م). 1407هـ-1987م. **البديع في البديع في نقد الشعر**، حقّقه وقدّم له عبد آ. علي مهنّا، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

أبو السعود، محمد بن محمد الحنفي . (ت982هـ-1574م). 1419هـ-1999م. **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم** ، وضع حواشيه عبداللطيف عبدالرحمن، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

أبو حيان، محمد بن يوسف . (ت745هـ-1344م). 1422هـ-2001م. **البحر المحيط**دراسة وتحقيق وتعليق عادل أحمد عبدالموجود وآخرين، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

أبو شادي، مصطفى عبد السلام . 1413هـ-1992م. **الحذف البلاغي في القرآن الكريم**، (د.ط)، مكتبة القرآن، القاهرة، مصر.

أبو عبيدة، معمّر بن مثنى التميمي . (ت210هـ-825م). (د.ت).**مجاز القرآن** ، عارضهبأصوله وعلّق عليه محمد فؤاد سزكين، (د.ط)، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

أبو موسى، محمد . 1425هـ-2004م. **خصائص التركيب/دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني**، ط6، مكتبة وهبة، القاهرة، مصر.

الأشقر، عمر. 1415هـ-1995م.القيامة الكبرى، ط 6، دار النفائس، عمان، الأردن.

الألوسي، أبو الفضل (وفي الأعلام: أبو المعالي) محمودشكري بن عبد الله. (ت217هـ-732م). 1422هـ-2001م. **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني** ، ضبطه وصحّحه علي عبدالباري عطية، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

الباقلاني، أبو بكر محمد بن الطيّب . (ت403هـ-1012م). 1411هـ-1991م. **إعجاز القرآن**شرح وتعليق محمد عبدالله نعم خفاجي، ط 1، دار الجيل، بيروت، لبنان.

بالمر، ف. ر. 1416هـ-1995م. **علم الدلالة/إطار جديد**، (د.ط)، ترجمة صبري إبراهيم السيد، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر.

البخاري، أبو عبدالله محمد بن إسماعيل . (ت458هـ-1065م). 1415هـ-1995م. **صحيح البخاري** تحقيق محب الدين وآخرين، ط 1، المطبعة السلفية.

البدوي، خليل كنش . 1420هـ-1999م. **موسوعة الحواس**، ط1، دار عالم الثقافة، عمان، الأردن.

البقاعي، أبو الحسنإبراهيم بن عمر . (ت885هـ-1451م). 1415هـ-1995م. **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور** ، خرّج آياته ووضع حواشيه عبدالرزاق غالب مهدي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

بوربيلي، ألكسندر. 1407هـ-1986م. أسرار **النوم/أحدث الاكتشافات العلمية**، تعريب شبيب بيضون، دار المروج للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.

بوغارتش، آ. ف وآخرون. 1417هـ-1993م**علم الفلك مفاهيمه وأسسه** ، ط3، دار دمشق، دمشق، سوريا.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

البيضاوي، أبو سعيد عبدالله بن عمر بن محمد الشيرازي . (1305هـ-1897م). (د.ت). **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، (د.ط)، دار الفكر.

البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين . (ت458هـ-1065م). 1415هـ-1995م. **السنن الصغرى مع حاشيته المسماة بغية المتّقي في تخريج سنن البيهقي**، حقّق نصوصه وقدّم له وصنّف حاشيته وعلّق عليه بهجة يوسف حمد أبو الطيب، ط1، دار الجيل، بيروت، لبنان.

الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى . (ت279هـ-892م). 1408هـ-1987م. **الجامع الصحيح**، تحقيق كمال يوسف الحوت، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

الثعالبي، أبو منصور عبدالملك بن محمد . (ت340هـ-951م). 1418هـ-1998م. **فقه اللغة وسرّ العربيّة**، تحقيق أمين نسيب ، ط1،دار الجيل ، بيروت، لبنان.

الجاحظ، أبو عثمان عمر و بن بحر . (ت255هـ - 868م). (د.ت). **البيان والتبين**، تحقيق وشرح عبدالسلام هارون، (د.ط)، دار الجيل، بيروت، لبنان.

الجرجاني، أبو بكر عبدالقاهر بن عبدالرحمن بن محمد . (ت471-1078م). (د.ت). **أسرار البلاغة في البيان العربي** ، صحّحه محمد عبده، وعلّق عليه محمد رشيد رضا، (د.ط)، دار المطبوعات العربية.

الجرجاني، أبو بكرعبدالقاهر بن عبدالرحمن بن محمد . (ت471هـ-1078م). 1409هـ - 1988م. **دلائل الإعجاز في علم المعاني** ، صحّح أصله محمد عبده ووقف على تصحيح طبعه وعلّق حواشيه محمد رشيد رضا، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

جرير، أبو حزرة جرير بن عطية بن حذيفة . (ت114هـ-732م). 1390هـ-1970م. **ديوان جرير**، (د.ط)، دار صادر، بيروت، لبنان.

حلمي، محمد عز الدين. 1405هـ-1984م. **علم المعادن**، ط6، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

الخضري، محمد الأمين . 1413هـ-1993م. **الإعجاز البياني في صيغ الألفاظ/دراسة تحليلية للإفراد والجمع في القرآن** ، ط1، مطبعة الحسين الإسلامية، القاهرة، مصر.

الخطيب، عبدالكريم. (د.ت). **التفسير القرآني للقرآن**، (د.ط)، دار الفكر العربي.

خليل، حلمي. 1416هـ-1995م. **الكلمة/دراسة لغوية معجمية** ، (د.ط)، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر.

الخولي، محمد علي . 1421هـ-2000م. **علم الدلالة (علم المعنى)**. (د.ط)، دار الفلاح، عمان، الأردن.

الرازي، أبو عبدالله محمد بن عمر بن حسين . (ت606هـ-1209م). (د.ت). **التفسير الكبير**، ط2، دار الكتب العلمية، طهران، إيران.

الزركشي، أبو عبدالله محمد بن بهادر بن عبدالله . (ت794هـ-1391م). 1391هـ-1505م. **البرهان في علوم القرآن**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، (د.ط)، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت.

الزركلي، خير الدين محمود . 1405هـ-1984م. **الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين** ، ط6، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان.

الزمخشري، أبو القاسممحمود بن عمر . (ت528هـ-1133م). (د.ت). **الكشَّاف عن حقائقغوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل** ، رتَّبه وضبطه وصحَّحه مصطفى حسين أحمد، (د.ط)، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

السفاريتيأبو العون محمد بن أحمد بن سالم . (ت1188هـ-1774م). 1403هـ-1983م**مختصر لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية** ، حقّقه وضبطه ونسّقه وصحّحه محمد زهري النّجَار، (د.ط)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

السكاكي، أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر . (ت626هـ-1228م). 1400هـ-1981م. **مفتاح العلوم**، تحقيق أكرم عثمان يوسف، ط 1، دار الرسالة، بغداد.

السيوطي، أبو الفضل عبدالرحمن بن أبي بكر . (911هـ-1505م). 1408هـ-1988م. **معترك الأقران في إعجاز القرآن**، ضبطه وصحَّحه وكتب فهارسه أحمد شمس الدين، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

السيوطي، أبو الفضل عبدالرحمن بن أبي بكر . (ت911هـ-1505م). 1407هـ-1987م. **الإتقان في علوم القرآن**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، (د.ط)، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت.

السيوطي، أبو الفضل عبدالرحمن بن أبي بكر . (ت911هـ-1505م). 1408هـ-1987م. **المزهر في علوم اللغة وأنواعها**، شرحه وضبطه وصحّحه وعنون موضوعاته وعلّق على حواشيه محمد أحمد جاد المولى، (د.ط)، المكتبة العصرية، صيدا، لبنان.

الشافعي، أبو محمد عز الدين. (660هـ-1261م). (د.ت). **الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز**، (د.ط)، دار المعرفة ، بيروت، لبنان.

الشعراوي، محمد متولي. (د.ت). **الدار الآخرة**، (د.ط).

الشعراوي، محمد متولي. (د.ت). **من فيض الرحمن في معجزة القرآن**، (د.ط).

الصابوني، محمد علي . 1414هـ-1993م. **صفوة التفاسير**، (د.ط)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

الضحّاك، أبو القاسم (ويقال: أبو محمد) بن مزاحم الهلالي . (ت105هـ-723م). 1419هـ-1999م. **تفسير الضحاك**، جمع ودراسة وتحقيق محمد شكري الزوايتي، ط1، دار السلام، القاهرة، مصر.

الطباطبائي، محمد حسين . 1417هـ-1997م. **الميزان في تفسير القرآن** ، ط1، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان.

طبل، حسن، 1411هـ-1990م. **أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية**، (د.ط)، دار الكتب العلمية.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

الطيبي، شرف الدين الحسين بن محمد بن عبدالله . (ت743هـ-1342م). 1406هـ-1986م.**التبيان في البيان** ، تحقيق توفيق الفيل وآخرين، ط1، دار ذات السلاسل، الكويت.

عامر، فتحي أحمد . 1395هـ-1975م. **فكرة النظم بين وجوه الإعجاز في القرآن الكريم**، (د.ط)، مطابع الأهرام التجارية، القاهرة، مصر.

عتيق، عبدالعزيز. 1405هـ-1985م. **علم البديع**، دار النهضة العربية، لبنان، بيروت.

عرار، مهدي أسعد. 1423هـ-2002م.**جدل اللفظ والمعنى /دراسة في دلالة الكلمة العربية**، ط1، دار وائل، عمان، الأردن.

عرفة، عبدالعزيز عبدالمعطي . 1405هـ-1984م**من بلاغة النظم العربي /دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني**، ط2، عالم الكتب، بيروت، لبنان.

العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن حجر. (ت852هـ-1448م). 1408هـ-1988م. **فتح الباري بشرح صحيح البخاري** ، ط4، دار إحياء التراث، بيروت، لبنان.

العسكري، أبو هلال الحسن بن عبدالله بن سهل. (ت395هـ - 1004م).1371هـ-1952م. **الصناعتين/ الكتابة والشعر**،تحقيق محمد علي البجّاوي وآخرين، ط1، دار إحياء الكتب العلمية.

العفيفي، طه عبدالله . 1404هـ-1984م**أسباب السلامة من أهوال القيامة** ، ط2، دار الجيل، بيروت، لبنان، مكتبة الزهراء، القاهرة، مصر.

العلوي، يحيى بن حمزة بن علي . (ت749هـ-1348م). (د.ت). **كتاب الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز** ، أشرف على مراجعته وضبطه وتدقيقه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، (د.ط)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

العيد، يمنى. 1420هـ-1999م**تقنيات السرد الروائي في ضوء المنهج البنيوي** ، ط2، دار الفارابي، بيروت، لبنان.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد (ت505هـ-1111م). 1406هـ-1986م. **إحياء علوم الدين** ، تحقيق هيئة التأليف والتحقيق والترجمة في دار قتيبة، ط1، دار قتيبة، بيروت، لبنان.

الفحل، علقمة بن عبده بن النعمان . (ت3هـ-124م). 1390هـ-1970م. **الديوان**، تحقيق لطفي الصقّال وآخرين، (د.ط)، دار الكتاب العربي، حلب، سوريا.

فيّود، بسيوني عبدالفتاح . 1425هـ-2004م. **علم المعاني/دراسة بلاغية ونقدية لمسائل علم المعاني** ، ط2، دار المعالم الثقافية للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر.

قدامةبن جعفر، أبو الفرج قدامة بن جعفر . (ت337هـ-948م). (د.ت). **نقد الشعر**، تحقيق كمال مصطفى، ط3، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر.

القرطبي، أبو عبدالله محمد بن أحمد . (ت671هـ-1272م). 1402هـ-1982م. **التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة** ، تحقيق أحمد حجازي السقّا، ط2، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان.

القرطبي،أبو عبدالله محمد بن أحمد . (ت671هـ-1272م). 1405هـ-1985م. **الجامع لأحكام القرآن** ، اعتنى به وصحّحه هشامسمير البخاري وحقّقه أحمد عبدالعليم البردوني، (د.ط)، دار إحياء التراث، بيروت، لبنان.

القزويني،أبو عبدالله بن محمد بن سعد الدين . (ت739هـ-1338م). 1322هـ-1904م. **التلخيص في علوم البلاغة** ، ضبطه وشرحه عبد الرحمن البرقوقي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

القزويني،أبو عبدالله محمد بن سعد الدين . (ت739هـ-1338م). 1410هـ-1989م. **الإيضاح في علوم البلاغة**، شرح وتعليق وتنقيح محمد عبدالمنعم خفاجي، ط2، الشركة العالمية للكتاب، بيروت، لبنان.

الماوردي، أبو الحسين علي بن محمد . (ت450هـ-1058م). 1412هـ-1992م. **النكت والعيون**، راجعه وعلّق عليه السيّد بن عبدالمقصود، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، مؤسسة الكتاب الثقافية، بيروت، لبنان.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

مجاهد، عبدالكريم. 1406هـ-1985م **الدلالة اللغوية عند العرب** ، (د.ط)، دار الضياء.

مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجّاج. (ت261هـ-874م). 1392هـ-1972م. **صحيح مسلم** ، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، ط2، دار إحياء التراث، بيروت، لبنان.

مطلوب، أحمد. 1401هـ-1980م. **أساليب بلاغية (الفصاحة، البلاغة، المعاني)**. ط1، دار غريب للطباعة، مصر، القاهرة.

المعتزلي، أبو الحسن عبدالجبّار بن أحمد . (ت415هـ-1024م). 1408هـ-1988م. **شرح الأصول الخمسة** تحقيق وتقديم عبدالكريم عثمان، ط 2، مكتبة وهبة، عابدين، مصر.

المقدسي، أنيس، "المسوِّغات العقلية للبلاغة" **مجلة المجمع العربي بدمشق** ، مجلد30، عدد، 1374هـ-1955م.

موسى، علي وآخرون . (1414هـ-1993م). **علم الفلك مفاهيمه وأسسه** ، ط3، دار دمشق، دمشق، سوريا.

الميداني، عبدالرحمن حسن حبنّكة . 1420هـ-2000م. **معارج التفكر ودقائق التدبر**، ط1، دار القلم، دمشق، سوريا.

الميداني، عبدالرحمن حسن . 1408هـ-1988م. **العقيدة الإسلامية**، ط5، دار القلم، دمشق، سوريا.

النابغة الذبياني، أبو أمامة زياد بن معاوية . (ت182ق.هـ-604م). 1396هـ-1976م. **ديوان النابغة الذبياني** ،جمعه وشرحه وعلّق عليه محمد الطاهر بن عاشور، (د.ط)، الشركة التونسية، الديوان للتوزيع، تونس.

النجار، زغلول راغب . 1425هـ-2004م. **من آيات الإعجاز العلمي/السماء في القرآن الكريم**، ط1، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

النسفي، أبو البركات عبدالله بن أحمد . (ت710هـ-1310م). 1416هـ-1996م. **مدارك التنزيل وحقائق التأويل** تحقيق مروان محمد الشعار، ط 1، دار النفائس، بيروت، لبنان.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

النيسابوري، نظام الدين الحسن بن محمد . (728هـ-1327م). 1416هـ-1996م. **غرائب القرآن ورغائب الفرقان** ضبطه وخرّج آياته وأحاديثه زكريا عميرات، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit